



محمد حسنين هيكل

## إمبراطور من تكساس!



سدام حسين في قصر النهاية / يوسف القعيد • الحرب النفسية / قدرى حفى • النفط مقابل الدماء / إبراهيم عبد الجليل • الحملة على العراق أولى مراحل الاستعمار / جلال أمين • المفكرون في خدمة الطفلة / مارك ليلا • تقاسيم على قانون عراقي / محيي الدين اللاذقاني • النساء يتكلمن أكثر / جانيث هولمز • قراءة، دراما التمثال / أيمن الصياد • نون، العرب وموسم الهجرة إلى الديمقراطية / سلامة أحمد سلامة



## من أحرق بغداد!

طالب البغدادي • روبرت فيسك  
تصوير ششم • زاهي حواس



## كتب العدد

- إبراهيم عبد الجليل.. خير في شئون الطلبة.
- أحمد محمد عبد الله.. من سماء الطب بجامعة الزقازيق.
- أيمن الصياد.. صحفي.
- جانيث مولز.. استاذة علم اللغويات بجامعة كتوريا، نيوزلاند.
- جلال أمين.. استاذ الاقتصاد بجامعة الأمريكية في القاهرة.
- هادية غوني.. صحفية مصرية من أصل كروي.
- روبرت فيسك.. صحفي بريطاني.
- زاهي حواس.. أمين علم البنى الأثرية في مصر.
- سلامة أحمد سلامة.. صحفي.
- طالب البغدادي.. استاذ جامعي عراقي وخبير دولي في الآثار.
- طه حنفي.. استاذ علم النفس بجامعة عين شمس.
- طارق ليلا.. استاذ بقسم الفكر الاجتماعي بجامعة سيناء.
- محمد حسين فيكل.. صحفي.
- محمد عدنان سالم.. ناشئ سوري.
- محيي الدين اللانقاني.. صحفي وأديب سوري مقيم في لندن.
- نصيف شعث.. موسيقي عراقي مقيم في القاهرة.
- يوسف القعيد.. صحفي روائي.

رسوم العدد للفنانين

محمد حجي - محمد حاكم - سعد الدين شحاتة - أحمد الباد



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعمات ورقية  
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض المجلات المنشورة  
أو أجزاء منها، بغیر إذن كتابي مسبق من الناشر.



## المراسلات

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي  
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية  
ت. ٤٩٠ - ٤٩١ / ٢٩٣٠ - ٢٩٣١ / ٢٩٣٢ - ٢٩٣٣ فاكس ٤٩٨ - ٢٩٣٤ (٢٠٢)  
البريد الإلكتروني (لتحريم): e-mail: info@alotob.com  
الموقع على الإنترنت: www.weghainazar.com

## الاشتراكات

السنة الواحدة (ثلاثة عشر عدداً) شاملة لجرة البريد - داخل مصر ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد  
بريد عربي ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وإفريقيا ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا  
٨٠ دولاراً أمريكياً، باقي دول العالم ١٠٠ دولار أمريكي  
إدارة الاشتراكات: شارع سيويو المصري، ص. ب. ٢٣ الباترولما، مدينة نصر  
هاتف: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس ٤٠٤٨٥٤٦ e-mail: wegahat@alotob.com

## نسخة

في مصر ١٠ جنيهات مصرية - السعودية ٢٠ ريالاً - الكويت ١٠٠ دينار - الإمارات  
٢٠ درهماً - البحرين ديناراً - قطر ١٥ ريالاً - عُمان ريالاً - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - سوريا  
١٥٠ ليرة - الأردن ديناراً ونصف - ليبيا ديناراً - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب ٣٠ درهماً -  
تونس ١٠ دينار - اليمن ٣٠٠ ريال - فلسطين ٢ دولاراً -  
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

رئيس التحرير  
سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير الفني  
حلمي التوتوني

مدير التحرير  
أيمن الصياد

## محتويات العدد

- ٣ • كلمة .. «من سرق بغداد؟»
- ٤ • محمد حسين فيكل ..
- ١٦ • «إمبراطور من تكساس» ..
- طالب البغدادي ..
- «من أحرق بغداد: التراث.. للذاكرة.. التاريخ؟» ..
- ٢٤ • روبرت فيسك ..
- شاهد عيان .. «حرب تحرير» أم «حرب تدمير»؟ ..
- ٢٦ • نصير شعث ..
- «أت من الماضي .. ذاهب باتجاه المستقبل» ..
- ٢٨ • زاهي حواس ..
- «في التاريخ» ..
- ٣٠ • محيي الدين اللانقاني ..
- «تأسيس على قانون عراقي» ..
- ٣٢ • قدر حنفي ..
- «الحرب النفسية» ..
- ٣٧ • أحمد عبد الله ..
- «المعارك النفسية في حرب العراق» ..
- ٤٠ • إبراهيم عبد الجليل ..
- «الخط مقابل الدماء» ..
- ٤٤ • جلال أمين ..
- «الحملة على العراق.. أولى مراحل الاستعمار» ..
- ٤٨ • ردية غوني ..
- «المشكلة الكردية هل تجد حلاً أم تزداد تعقيداً؟» ..
- ٥٢ • يونس القعيد ..
- «صدام حسين في قصر النهاية» ..
- ٥٧ • مارك ليلا ..
- «سحر الاقتراب من الحاكم.. المفكر بين حب الحكمة وخدمة  
الطغاة» ..
- ٦٤ • جانيث مولز ..
- «النساء يتكلمن أكثر» ..
- «فرقة: Language Myth، تحرير: لوري باور وبيرت تروندجيل
- ٦٨ • محمد عدنان سالم ..
- «ثقافة استباحة حقوق الملكية الفكرية» ..
- ٧٢ • أيمن الصياد ..
- «دراما التمثال.. والرمز: الوجه الأمريكي للطاغية» ..
- ٧٤ • إصدارات جديدة ..
- ٨٢ • سلامة أحمد سلامة ..
- «نور: العرب وموسم الهجرة إلى الديمقراطية» ..

## كلمة..

### من سرق بغداد؟

الكتب والمصاحف، أن ترى حافظ جميل يخرج متباطئاً أحد الكتب وخلفه يسير عبد الكريم العلاف وهو في حوار مع الشيخ جلال الحنيلي لا تعرف كتبه ونحوه ربما عن آفة العود أو ربما حول الفارابي وما كتبه من أنغام موسيقية..



وليس عن آفة العود، يكتب عزله المقيم نصير شمة لوجهات نظر.. ولكن عن جرحه العميق وذكرياته الخاصة: «بين جناحي نور عظيم.. خلفي نابو.. وعلى يميني الواح آشور» ويحكى كيف أنه استلمهم من رقبته في محراب التاريخ (الذي سرق قبل أسابيع) أمه في المستقبل. ويتذكر أنه «بعد مرور بضعة أيام على وقف إطلاق النار في حرب الخليج الثانية قررت أن أقدم أول حفل.. كانت الدماء ما تزال ساخنة تنزف من عروق وشرايين الشعب العراقي.. وأردت لهذا الحفل أن يكون داخل الصالة الأثرية في المتحف العراقي وكان عنوان الحفل (أت من الماضي، ذاهب إلى المستقبل) لم يكن هذا العنوان مجرد شعار، بل إنني أردت أن أقول من خلاله أن الحاضر ليس دائماً كما تمنيتي، وحينما اخترت مكانتي بين الذين من الجيران للجنة العملاقة التي يزن الواحد منها سبعة وثلاثين طناً من الحجر الصلب وهو عبارة عن قطعة واحدة، وخلفي الإله الآشوري نابو الذي يتجاوز طوله الذي عشر مترًا، وعلى اليمين واليسار ألواح عظيمة من الحجر تصف وتلف شاهدًا على الحضارة الآشورية العظيمة في العراق.

ويستخلص نصير شمة الفكرة بأنه يضرب بأنامله ليقس على أوتار العود الذي فضضته، بل على أوتار قلوب حطمتها الحروب والثورات.. والمغامرات: «كنت قلت للحضور يومها، نحن سالة هؤلاء الذين يستضيفوننا اليوم، والذين أبدعوا هذه الفنون التي سبغت مابل أنجلو في استخدام العزفة في التخت وفي التفافيل شديدة الدقة، خاطبت الجمهور شارحاً: من هنا يجب أن تبدأ من أن تنقلت إلى الأطفال التي خلفتها الحرب، كنت كمن يريد أن يطمئن نفسه على إرثه الذي يعيشه وعلى مستقبله الذي يريد أن يسهم به بقوة، وفي الوقت نفسه كنت أريد أن أشير إلى عراقية شعبنا العراقي بعد أن طوقته كل دول العالم الشقيفة والصديقة والعدوة في حرب لم يشهد التاريخ مثيلاً لها من قبل، خصوصاً أن إيمان الشعب بنفسه وبتاريخه ويعربونه ويأتمنونه بكل الوابحات كان قد اهتز».



اسم بغداد في كتب التاريخ: «مدينة السلام»، وفي كتب التاريخ سقروا بعد عام.. أو ألف عام، أنه: «في التقاسم من نيسان من السنة الثالثة للفرق الحادي والعشرين من ميلاد المسيح عليه السلام، دخل الآشوريون بغداد.. ويومها ضاع التاريخ، سرقه.. وانتهبها.. ودماراً.. ألقبس هناك من يسأل أولئك الداميين «ليصطوبوا درساً في التخضر والمدنية» هل قرأوا في كتب التاريخ.. الذي يكرهونه ويحقدون عليه.. يوم رفض عمرو بن العاص (المسلم) أن يُنمّر «صنم» أبي الهول في صحرها الجزيرة الجرداء؟



أيما كان الأمر.. فربما لن نعرف أبداً من نهج وسرق.. ثم دمر وأحرق تراثنا عالمياً يعود إلى سبعة آلاف عام، وجهذاً علمياً وتاريخياً استغرق قرنين من الزمان. ربما لن نعرف أبداً الجرم الذي تولدت يداه.. ولكننا.. طبقاً للقانون.. نعرف المسئول، والذي يجب مواده، ارتكب بقلعه «جريمة حرب».

ولكن «من يجرؤ على الكلام؟»

وبالإعتذار إلى بول فتلي، صاحب المقالة.. ومؤلف الكتاب. ■

■ قدر ذلك المدينة.. أن يسرق حلمها الطفلة، وأن يحرق تاريخها الفاصيون والغزاة.

بعد ربع قرن.. أو يزيد.. من القمع.. وبعد عقد من الجوع والجفاف، ماهي عاصمة الرشيد.. والخلافة.. ومدينة السلام.. نكتهب.. ونحترق.



لعل قرون سبعة أحرق القنار: القوة الجارية في ذلك الزمان، مكتبة بغداد: الأكبر في زمانها والأكثر ثراءً بالعلم والمعرفة.

واليوم.. وتحت العلم الأمريكي: القوة الأولى الطاغية في أيامنا هذه، وفي ظلال مدافع الدبابات والمدافع الثقيلة لن قرر أن يعتبر نفسه «شرطي العالم»، دمر الرعاع أو المجاورون.. ربما.. مكتبة بغداد الوطنية.. ومكتبتها.. ودار المخطوطات والوثائق.



شهود عيان، ومنهم مصطفىون غربيون، قالوا أن هناك دلائل تشير إلى أن الأمر كان مرتباً ومنظماً، وأن الفوضى جاءه وأبعد أن كانت الجريمة قد وقعت فعاد.. وبقول مسؤولين في ليونسكو أن الأمر قد خرجت فعلاً من العراق.. رغم أن الآشوريين يروا حدوثه بالمعكوس وبسبب خشية تهريب مسطولين أو أسلحة أو وثائق.

ومهما شككوا في الروايات.. إذا فعلوا.. يبقى الذابت أن قوات الغزو المدججة بالأسلحة والالكترونيات.. والمعركة.. حرصت على حماية وزارة النفط وأبارده الترامبولين، فلم تدمر.. ولكننا أثرت أن تنفجر (ولا تقول تأمرت) على مشهد نهج وتدمير سبعة آلاف سنة كاملة من تاريخ البشرية.

والذابت ناشياً أن بنود اتفاقية لاهاي (١٩٥٤) وتبعياتها (١٩٩٩) تحلّ قوات الاحتلال الأمريكية (كاملة) عن حماية التراث الثقافي والفني للآراء الحروب. والثابت دائماً أن النهب.. أو الدمار.. قد طال كافة الوثائق التي أرخت لعلاقات العراق بالخلافة العثمانية، وكافة مراسلات العراق مع الشريف حسين في مكة قبل الثورة العربية الكبرى.. فضلاً عن كل ما يلوح لفترة السبي المباني لليهود.. ولبنينا كل موزون التاريخ.

من انتقبي.. ومن هو صاحب المصلحة في إلغاء فصول من الذكرة.. وقاربخ؟ في ملف متكامل تقدم وجهات نظر، رسماً وتحليلاً.. وأسي لهول ما حدث. فيكتب عالم الآثار العراقي والاساتذ في فلسفة الرياضيات ويختار طالب البغدادي عن ستة عقود أمضاهما بين جدران أزقة بغداد القديمة التي تحمل بين جدرانها تراكم حضارة تمتد مع الحروف الهجائية من الألف إلى الياء.. ويحكى لنا عن الأفاعيل التي احترقت واحترقت معها ذكريات لغاته و مشاهداته لتنازل للالذكة وبين شاكر السباب والجواهرى.

ويحكى كاتبنا البغدادي كيف كانت المكتبة الوطنية التي لحقها النهب والتدمير هي المكان الأكثر ارتباطاً من قبلنا حين كنا طلاباً في المدارس الثانوية ثم في الجامعة حيث كانت مكان دراستنا اليومية، نأخذ من كتبنا نراجع فيها ونبحث فيها ونسلمها بعد نهاية اليوم.. وكان المرحوم الأستاذ مكي السيد جاسم والمرحوم المؤرخ عبد الحميد العلوجي المشرفين عليها.. يستقبلون الرواد بالابتسامتهما الدائمة فقط بل بروح المساعدة والدعم.. وقد قضى الأديب الكبير مكي السيد جاسم كل حياته في خدمة هذه المكتبة والبحث في كتبها.. كان يعتبر كل كتاب من كتبها التي لا تحصي إلا بعد أن ولد من أولاده.. كما كان له المكتب مجلس أدبي يعقد في بيته مرة كل أسبوع، وأصبح واحداً من أهم المجالس البغدادية، يلتقي فيه كبار الأدباء والمؤرخين والعلماء والفنانين، وكان رحمه الله.. يعيش وفي مجلسه حياة المكتبة الوطنية فكان يتحدث عنها وعن أهم ما يقرأه من كتب ومجموعات.. ولا ينسى كاتبنا البغدادي: «مغرباً أرواحاً من سعادة وإشباع حين رأينا نازل المكتبة وهي جالسة تطالع في بهو المكتبة وأصابنا تشريراً في نفس الوقت إلى سليمان العيسى ونسبة عباس عارة وعبد الوهاب البياتي وهم يستمعون

والإنكار ومع العصر والتاريخ ويستدعي الاهتمام بالشأن العام.

٤- وفي مهمته... أخيراً، أن يقوم بدور يشبه ما يقوم به الراصد الجوى، بحيث يكون قارئاً مستعداً لتقارير الطقس، فلا تتعمه على غير تنبه وتحوط، فإذا وقعت مفاجأة... وجد أمامه باباً أو أبواباً لها مفاتيح قد تتوافق مع الأفعال.

في هذه الحدود عليه أن يمارس مهمته... يصيب مرة أو يخطئ، وينجح مرة أو يفشل ويحرب دائماً، فإذا استطاع الوصول فسعد أضاف، وإذا لم يصل فسعد غطى جزءاً من الساحة.

تلك هي الحدود... أو كذلك أتصور، ولعلني لم أخطئ كثيراً. لم أقصر دون الحدود، ولم أتجاوز بعدها

■ ■ ■ خطر على بالي أن هناك حاجة إلى كلمة عن مهمة كاتب اختيار لنفسه مجلة شهرية... بعيدة عن أعمدة الصحف اليومية وزحامها. وظروفها أيضاً!

وخطر على بالي أنني في هذا الصدد أستطيع أن أعدد عدة أغراض لا يصح لهذا الكاتب أن يطمح إلى غيرها:

١- في مهمته استشارة الفكرة حتى تترايط الحوادث وتتكد طبيعتها تياراً يتدفق وموجات تتلاحق، يتواصل بها الأمس واليوم، مع المستقبل والحتم.

٢- وفي مهمته أن يبحث في الحاضر ويطلو النظر إليه بجهد يتجاوز العارض العابث حتى يركز على فهم سيقاها ومعناه ودلالاته.

٣- وفي مهمته أن يقدم ما يمكن أن يكون حواراً هاملاً مع الناس



## محمد حسنين هيكل

٤

# إمبراطور

في ذلك الوقت لم ينتبه كثيرون على الأقل بالقدر الكافي - إلى أن هناك فكرة «إمبراطورية» تملكها الولايات المتحدة، وأن هذه الفكرة «تتمتعت» بعد سقوط حائط برلين (١٩٨٩) وما تلاه من تداعي الاتحاد السوفياتي، ثم إن هذه الفكرة طرحت نفسها بالبحاح في ظروف حرب الخليج الثانية التي هيأت للقوة الأمريكية فرصة تمارس فيها تجريب ترسانتها الإلكترونية المتطورة في ميدان قتال، ورغم أن الهدف المعلن في تلك الحرب كان تحرير الكويت (نقط الخليج) - فإن الهدف الثاني بعده بأن درسا تعطيه أمريكا للعالم - بالذخيرة الحية - في فاعلية البطش لا يشاء أحد!

وكان مغزى هذا الدرس أن يسهم العالم - وليس فقط أن يعرف العراق - أن الولايات المتحدة الأمريكية لديها الإرادة ولديها الوسائل التي تضمن لها ما لا يصح لغيرها أن يجاريها فيه، فضلاً عن أن يتحداها عليه.

وكما يتأكد الآن فإن تلك الحرب (حرب الخليج الثانية) كانت في جانب العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣

أولاً:

## الإمساك بالبيت الأبيض وبالقنصلية الحادية والعشرين!

الشباب أو الجنس زمن رئاسة «بيل كلينتون» الذي قضى في البيت الأبيض فترتين رئاسيتين: الأولى: منها استعراض للقوة الشباب وعددها المتحفز: والفتية: عرض للضعف الأخلاقي والمعنوي القدر مركز لقرار مهابة. لكن تلك كانت نظرة تركزت على الواجهة لا تتجاوزها إلى ما وراءها أو إلى ما سبقتها، بنظر أن الواجهة تكفي للحكم على أي عمل باعتباره أن المرئي يغني عن الخفي - ولم تكن تلك كل الحقيقة!

لنحو منافسة يستحق أن يخسر فيها الرجلان معاً لو كان ذلك ممكناً، وهو لسوء الحظ لم يكن، وبالتالي فإن الولايات المتحدة خطت إلى قرن جديد (الحادي والعشرين) وفي البيت الأبيض رجل يمثل عوامل الضعف الأمريكي ولا يمثل عوامل القوة - بمعنى أن ذلك التردى على مستوى القيادة الأمريكية العلمية، والذي زاد مع فضائح «بيل كلينتون» في البيت الأبيض سوف يستمر ويواصل نزوله على السفوح بأساليب أخرى تؤدي فيها القفاهة أو اللال - في عهد «جورج بوش» الابن أو «آل جور» - ما صنعتها

■ ■ ■ لم ينتبه كثيرون في العالم - على الأقل بالقدر الكافي - لانتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة (نوفمبر ٢٠٠٠) - لأن معظم المراقبين اكتفوا بالنظر إلى ما يجري على أوجه المسرح، ولم تلتفتهم - كما كان لا زماً - تلك الحركة الهائلة التي تمشي وراء الكواليس حيث يتواجد المشرفون والمديرون والمخرجون والفنيون من كل اختصاص، وكان الاهتمام بهؤلاء أوجب، لأن حركتهم كانت بمثابة التحضير للعرض بما فيه بلورة الفكرة، وكتابة النص، وترتيب المشاهد، واختيار الأبطال، والتأكد من تطابق شخصياتهم مع أدوارهم حين يرتفع الستار ويبدأ حوار المشاهد ويتواصل نحو مقاصده.

وكما بدأ فإن معظم المراقبين للمعركة الانتخابية الرئاسية (سنة ٢٠٠٠) - ركزوا على مرشحين واجه كلاهما الآخر في المناظرات الانتخابية أمام عدسات التلفزيون، لم يجمعوا على أنها منافسة بين «السلطانية» والمال» (جورج بوش) عن الحزب الجمهوري - و«آل جور» عن الحزب الديمقراطي - وهي على هذا



حارس النفط

# من تكسس اس!

● سيطرة مباشرة على منابع النفط تتحكم في إنتاجه وتقيّن استهلاكه (سواء بضبط الحصص أو توجيه جزء من الموارد للبحث عن بديل، لأن النفط مورد مستنفد وما هو معروف عن مخزونه يغطي نصف هذا القرن بالكاد). ● ونفاذ غاز وراسخ في منطقة هي على الخريطة - قلب العالم ومفترق طرقه البرية والجوية والبحرية ولا تزال (لأن التكنولوجيا مهما حققت لا تستطيع إلغاء الجغرافيا، باعتبارها الجسم الطبيعي لتوكب الأرض مهما قال وقيل).

لكن غير المتوقع يحدث دائما (باستعارة عنوان قصة مشهورة لاندريه مور) - وذلك ما جرى حين خسر «جورج بوش» (الأب) معركته الانتخابية وسقط أمام مرشح آخر مجهول من ولاية «أركانساس» أطلق شعرا سحريا لمس فيه نبض الشعب الأمريكي بقوله «إنه الاقتصاد يا غبي» - موجها الخطاب بالطبع إلى الرجل الصالح بتعزير

ظهر من أدوات قوتها سواء بموض النار أو بوجه الأفكار يشيعها إعلام تفوق في استعمال الإلكترونيات توجيهه وتركيز السلاح، ويقتس الدرجة في نقل ونشر الصور، وكان سابقا في الحالتين: - زاد على ذلك أن تنفيذ الأمر في استطاع أن يعثر على ثرائعه القانونية والأخلاقية، لأن تلك الحرب في الخليج سنة ١٩٩١ بدت لكثيرين حرب تحرير لبلد صغير أغار عليه جار أقوى منه، وذلك أغار فرزه ودفعه إلى طلب النجدة من مصادرها، وقد وصلت النجدة بالفعل إلى طالبها قبل أن يوجه طلحه كناية أو شفاهة - لأن خطأ أحمر وقع تجاوزه، وذلك أخطر من حق الجيرة ومن حق القانون معا! - وعليه كان التقدير - أن «جورج بوش» (الأب) على خلفية حرب تحرير الكويت، سوف يحصل يقينا على رئاسة ثانية تدم فيها عملية التعزيز الإمبراطوري وتأكيد ثلاثة أهداف: ● سيطرة أمريكية مطلقة في العالم، غير قابلة للمناقشة في التحدي (الآن وفي المستقبل أيضا).

الواسعة على طريق التعزيز الإمبراطوري - بمقدرة وكفاءة: - ضربت شريعتها في الواقع الصحيحة من الناحية الاستراتيجية، عندما وجهتها نحو الشرق الأوسط وهو المساحة المكشوفة بين آسيا وكتلتها البشرية الكبيرة (الصين والهند) وبين أوروبا (ونولها الصناعية القوية)، وبالتالي تحقّق الاختراق نالها حتى النخاع. - ثم إن هذا النفاذ تمثل في انتشار عسكري واسع مديد - وقدمه! - إلى أغنى منابع الليترو (الذي أكد نفسه، رغم شكوك راوند البعض، باعتباره السلعة الأكثر ندرة والأكثر قدرة على الوفاء بطلبات التقدم والرخاء - على الألال حتى ثلث القرن الجديد). - ومع أن هذا النفاذ حقق مطلبه بواسطة تحالف دولي واسع - فإن الولايات المتحدة كانت هي التي رصت أطرافه، وتقدمت صفوفه، ونظمت خطاه، وضربت باسمه، وقد مشى هذا التحالف وراءها مسلما لها بالقيادة - مبهورا بما

مهم منها رسالة موجهة إلى العالم بأنه زمن تاريخي مختلف - وأنه أمريكي في الإعلام والخرائط واليوصلات! وبالفعل فإنه بعد تحرير الكويت راحت إدارة «بوش» الأب تركز على فكرة رئيسية شاعها: كيف يمكن تحويل «السابقة» التي عاشها الشرق الأوسط أوائل سنة ١٩٩١ - إلى قانون عام يسود ويشكم في القرن القادم (الحادي والعشرين). والقصد أنه إذا كان القرن العشرين هو قرن الصعود الإمبراطوري الأمريكي - فإن القرن الحادي والعشرين عليه أن يكون قرن التعزيز الإمبراطوري الأمريكي، بما يرسى الدعائم في عمق الأرض ويعلى السقف إلى بعد الفضاء، وكان المفروض أن يكون ذلك هو شاعل إدارة «جورج بوش» (الأب) عندما يُعاد انتخابه - كما كان متوقعا - لمدة رئاسة ثانية، وقد بدا لمن يعينهم أمرها أنها في اليد - شبه مضمونة أو مضمونة بالكامل! كان اعتمادهم أن رئاسة «بوش» الأولى (١٩٨٨ - ١٩٩٢) قامت بخلوتها



وبين متقدمين ومتخلفين)، وفي تقدير الإدارة الأمريكية (وقتها) أن الحرب ضد الإرهاب تستطيع المحافظة على تحالف عالمي واسع يسقط بكثيرين - حتى من القراء والخلفين - ثم إنه تحت مظلة الحلف العسكاري للأرهاب يمكن فتح الساحة أوسع كل يوم لقرار أو فعل أمريكي يضيف إلى قدرة الإمبراطورية الجديدة دون أن يستثير حساسية الآخرين، خصوصاً وأن كلييرين في مجتمع الدول يسلمون بأن الإرهاب يحتاج إلى يد طولى تقدر على الوصول إلى أي مكان في العالم - أي وقت من الليل أو النهار، وذلك متوافر لأمريكا قبل أية قوة دولية غيرها]

في ذلك كله (معاً سبق) كانت إدارة «كليتوتون» حريصة وواعية، لن عقدت تلك الإدارة - إن شخصية رئيسها لها جانبها الرمادي، فهو أثناء صعوده إلى القمة عقد تحالفاً كبيراً مع الشيطان - طارده تشابهاً حين كان حاكماً لولاية «أركانساس» - ثم لاحقه عندما انتقل إلى البيت الأبيض رئيساً للولايات المتحدة (وبين الانحياز فلاحقاً منافع متبادلة مع أموال مشيوقه ورجال أعمال يقرب إصرارهم على الفناء من حدود الجرمية).

وإن أن تكوين الإنسان كليتوتون وظروف نشأته الأولى في بيت محكم، مع أنه لم تستطع أن تحده له على نحو قاطع من مكان أبوه - عرضة لتناقض في المعايير ما لبث أن طغى على رئاسته وسبح إيجابياتها.

وفي مدة الرئاسة الثانية لإدارة «كليتوتون»، وبما شهِب شبه معوق بمضولات عزله، وشبه مجروح باضطراره للدفاع عن نفسه أمام شعبه وأمام شعوب العالم - يحاول شرح الفارق بين جنس كالم وجنس غير مكتمل (والناس في كل أرجاء الأرض يسمعون) ويضربون بكاف ولا يصدقون (أناهم) - بدت واشتطن حملة طلائع شمشة جنته على الصغور.

وعندها بأن لمن شغبهم «الشان الإمبراطوري» أن إدارة «كليتوتون» لا تقدر على المهمة الإمبراطورية، وأكثر من ذلك لا تُؤمّن، وبالتالي فإن رئيسه مسؤول عن استعادة الزمام إلى أيديهم. ولأنهم كانوا يعيدون عن الإدارة (مع جمهوريين وهي ديمقراطية) - لقد سرفوا الجزء الأكبر من جهدهم في النصف الثاني من تسعينات القرن العشرين في البحث والدرس وصياغة التشريعات والدعوة لها - على أمل أن تحي إدارة جمهورية (تملك

من متناقضات شديدة، بعضها يشده إلى النجاش بعضها يقعده من القشل: فهو من الأول شاب نكي، موصول إلى درجة كبيرة بروح عسمر، وذلك تحلي في برامج الاجتماعية التي أعطت الولايات المتحدة فرصة لاستيعاب التحولات التكنولوجية الهائلة دون ضغط على أعصاب الناس أو على مستوى معيشتهم أو على فرصهم في العمل.

وهنا فإن إدارته حققت أدنى نسبة بطلاة وأعلى نسبة فلاح في الميزانية (رغم استمرار التزايد في الدين العام الأمريكي).

بلى ذلك أن «كليتوتون» أدرك أن مشروع أمريكا الإمبراطوري يصعب تنفيذ بجبال أوروبا (أو كتل آسيا البشرية الكبرى التي سارعت لتسحق بأسباب التقدم)، وكذلك استقرت إدارة «كليتوتون» على الفضلية السماح بقيام مجلس إدارة لشئون العالم له رئيس وعضو مندوب يمثل أغلبية أسهم الشركة الدولية، وذلك يعني حضور أوروبا وكتل آسيا الضخمة في الشؤون والإجراءات (والى درجة ما في القرارات) - وتظل الكلمة الراجحة لرئيس المجلس والعضو المندوب، وهذا ترتيب لا يتجاهل حصة الأقلية أو يهملها، وفي حساب إدارة «كليتوتون» أن نجاح المشروع الإمبراطوري الأمريكي يلزمه تجنب إدارة الشكوك - وتقليب مسوابع أطراف إمبراطورية أوروبية سابقة مازال لها حتى هذه اللحظة تأثير في القارة وعبر البحار.

وبعدها كانت إدارة «كليتوتون» مثقلة على أن تده الذي يستطيع إقناع الكل بقبول دور متميز للولايات المتحدة هو التصديق لرئيس المجلس والعضو مظاهر (مع ظهور الانقسام طبقي حاد على مستوى الدنيا بين الأغنياء وفقراء

ودواعيها إلى زيادة قوتها العسكرية، وحينئذ فإن مثل هذه القوى لابد أن تظم أن ذلك سوف يضعها - سواء قصدت أو لم تقصد - على طريق «صدام» مع الولايات المتحدة، وعليه فإن الولايات المتحدة لابد أن تظهر استعدادها مبكراً لمنع أية درجة من درجات الانتشار لاسلحة الدمار الشامل - لكن يتأكد للمجمع تصميمها على اتخاذ الإجراءات التكتلية لمواجهة بطريقة جماعية أو بطريقة متفردة.

ملل هذه الاحتمالات، سواء كان ذلك [ومؤدى الموضوع في هذه النقطة] حدود السلاح لدى أي دولة في العالم اليوم، هي حدود ما هو موجود لديها الآن فعلاً، ولا يتوقف أدنى منها أن تتجاوز، وهنا يكشف أن مشكلة أمام متخلفة على الطريق بعيداً عن العراق ووراء، وأن هناك مضاعفات واسعة المدى تترتب عليها - ولعل تلك معجزة الله وما يليه.]

وكانت إدارة دبيل كليتوتون، بحقائق الأشياء - واعية بأهمية المشروع الإمبراطوري الأمريكي، مطلعة على وفلاح - لكنها كانت عاجزة على تحقيقه بمزاجها وليس بمزاج أصحابها الجمهوريين الأسطيين، ولدى إدارة «كليتوتون» في ذلك سبب: من ناحية لأن تلك الإدارة أعطت الأولوية للاقتصاد (ويغت في شأنه درجة مقبولة من النجاح).

ومن ناحية أخرى لأن إدارة «كليتوتون» ألزت أن تتخذ مع بقية العالم أسلوباً أكثر نعومة (يعتمد الحروب بدلاً عن الحديد).

[والحقيقة أن «كليتوتون» كان خطيما

الإمبراطورية الأمريكية دون أن يتنبه إلى أن الاقتصاد الأمريكي متعب مرهق، فقد خرج من الحرب للبرادة مستنزفاً، بشاهد أن الولايات المتحدة أصبحت أكبر بلد مدني في العالم، كما أن ظاهري دخله يعود في صلبه إلى أن أموال الآخرين تكدت عليه بخلا عن ملاذ بعيد - يمكن أن يكون أنشأ (وضمن هذه الأموال فوافض البيروق.

ولقد نجح «كليتوتون» - لكن المشروع الإمبراطوري الكبير الذي تجلى لإدارة «جورج بوش» (الأب) ولأطلسه لم يسقط، فلم يبد ذلك المشروع هو المطروح على النخبين - لأن المشروعات التاريخية الكبرى أوسع من الضرورات اليومية المؤثرة مباشرة على صناديق الاقتراع ومن المفارقات أن الخطوط الرئيسية للمشروع الإمبراطوري كتبت «وثيقة» على الورق في شهر مارس سنة ١٩٩٢، أي بعد دخول «كليتوتون» إلى البيت الأبيض بصيغة أسابيع، وتحت إشراف وزير الدفاع السابق «ريتشارد نيشي»، وكان القامع أي صياغته معاون مقرب منه هو «زلمى صالزاده» (وهو الآن مبعوث الرئيس بوش» (الابن) للإشراف على ترتيب الأوضاع في أفغانستان - وقد انتقل أخيراً إلى مهمة أخرى في العراق قبل حرب أمريكا ضده ويعدها).

وحسني هذه النقطة وبعد إحدى عشرة سنة من كتابة تلك الوثيقة، فإن قراءتها (وهي مدرجة في ملفات مجلس الأمن القومي) - بطل مفيد وكافها لكثير جرى من وقتها وحتى الآن.

وتقول الوثيقة في مقدمتها بالنسب: «إن الولايات المتحدة الأمريكية عليها أن تعمل بكل جهدها حتى تتأكد من أن أي قوة منافسة (أو صديقة) في أي مكان في العالم - لن تبلغ مكانة توازي مكانتها في القوة وعواملها.

إن هذه المهمة في مقدور الولايات المتحدة وهي تستطيع أداءها عندما تتصرف باسم القوى الصناعية الكبرى في العالم - بعد إقناع تلك القوى بأن الولايات المتحدة سوف تزاى مصالحها المشروعة ومصالحها بقوتها العسكرية الخفية، وعلى هذا الأساس فإن الولايات المتحدة مطالبة بإيجاد الآليات التي تضمن ردع أية قوة منافسة لها ورد طمها - أو مطوحها - إلى القيام بدور إقليمي أو عالمي أكبر.

وعلى مثل هذه القوى الطامعة - أو الطامحة - إلى أن تكون كبيرة ومنها ألمانيا واليابان وروسيا والصين - لن تقوم مبكراً أن تباحولة من جانبها لتفهم مجال الأسلحة النووية أو زيادة ترسانتها على ما هو موجود فيها - سوف تلقى مقاومة شديدة تتسود من الشك في نواياها



## استقرت إدارة «كليتوتون»

على فضلية السماح بقيام مجلس إدارة لشئون العالم يمثل أغلبية أسهم الشركة الدولية، وذلك يعني حضور أوروبا وكتل آسيا الضخمة في المشاورات والإجراءات (والى درجة ما في القرارات) - وتظل الكلمة الراجحة لرئيس المجلس والعضو المنتخب أي الولايات المتحدة الأمريكية





مضافا إليها المتورل العراقي، وبترول بحر قزوين (وبترول إيران بعد تصفية نظام الثورة الإسلامية). فإن المستقبل يمكن ضمانه «أمريكا» للولايات المتحدة - وأمريكا فوق بقية العالم.



وكانت البؤرة - الجماعة - الثالثة هي دائرة مجلس السياسة الخارجية في نيويورك وهو هيئة تساندها أكبر المصالح المالية والتجارية والإعلامية في الولايات المتحدة (من عائلة «روكلر» - إلى بنك الاحتياطي الأمريكي - إلى بورصة الأوراق المالية في نيويورك - إلى باحثين من مستوى «هنري كيسنجر» و«زيجنيو بريجنسكي» وحتى «كونداليزا رايس» (مستشارة بوش» (الابن) للأنثى)).

وكانت هذه البؤرة تولى اهتماما خاصا بالاتحاد السوفيتي (وروسيا) - يابسون، وبالصين، وبأوروبا ودولها - الرئيسية مثل فرنسا وألمانيا، إلى جانب حزام الزيتون على شاطئ البحر الأبيض جنوب أوروبا (إيطاليا - أسبانيا - اليونان).

وبرغم علاقات القرب بين أوروبا وأمريكا فإن مجلس السياسة الخارجية تولد لديه «هاجر» - أن أوروبا هي القوة التي تستطيع أن تبدأ بتحصيد الثروة الأمريكية بالتفوق في العالم.

والدواعي كثيرة: - بينها أن أوروبا لها مصالح حيوية في الشرق الأوسط - حيث تريد الولايات المتحدة أن تفرغ للسيطرة.

- وأوروبا تعتمد على بترول الشرق الأوسط في أكثر من ٨٠٪ من استهلاكها، ومن الصعب عليها القيام باحتكار أمريكي يسد به ويحكم القبضة عليه. - وأوروبا بلدان قريبة عهد باجود الإمبراطورية - من تأسس مكانة سابقة عاشتها من تحتل تحت الظروف قاضاعتها، ومن هنا اعترفت للولايات المتحدة بحق القيادة فإنها غير مستعدة بعد للاعتراف لها بحق التفرد.

- وأوروبا يسودها اعتقاد بأنها راكمت من الحكمة مخزون يزيد في تأثيره عما راكمته أمريكا من قود السلاح. - ويظنون أن أفريقيا من الإزلة الجديدة في واشنطن أرقه شعب بمصر - غير مفيد - عبر عنه «امسفلد» بقوله: «إن أوروبا قارة عجوز زرقها زمن (الذي تسمى صهرها فيه حكمة)، ولتعلمنا القرد (الذي تسمى استسلامها لضوابطه كرا)، وعليه فإن الولايات المتحدة بحق لها أن تتصرف وتترك أوروبا تمارس لحكمة والفكر - كما يجب لها!

«استراتيجيات البترول» - و«بيكر» لا يزال يديره حتى الآن، ومن الملاحظ أن كاتبه التقدير الأول لهذا المركز سنة ٢٠٠٠ اقتاروا تصديره بمقدمة لها معني، منقولة عن نص قديم - من سنة ١٩٥٠ - كتبه السفير الأشهر في الدبلوماسية الأمريكية «جورج كينان» يقول فيه بالنص:

«إن الشعب الأمريكي يمثل ٦,٢٪ من سكان العالم، لكنه يستهلك ٦٠٪ من بترول هذا العالم، والمهمة الأولى للاستراتيجية الأمريكية تقتضي المحافظة على هذه النسبة مهما كانت ظالة للأخريين والعمل على فرضها بكل الوسائل، دون أن نخدع نفسها بأية أوامه من مبادئ العدل والمساواة حتى لو اضطرت في سبيل ذلك إلى استعمال قوة السلاح، لأن المبادئ تضابط الضمان» والحقوق تعادل الحياة».

وكانت أبرز الحقائق كما يظهر في الخطوط الاستراتيجية المطروحة للبحث في إطار مركز «بيكر» - منتظا شفيد التركي:

«الولايات المتحدة لم تعد تستطيع الاعتماد - كما فعلت - على مصدر رئيسي هو البترول السعودي - كما وقع بعد الثورة الإيرانية - ومع أن السعودية تملك أكبر مخزون احتياطي محقق (لا أن إجماع هؤلاء أن «البترول» هو المستقبل المظفر - حتى جني» اختراق تكنولوجيا يوفر بديلا للطاقة بسعر (الاستثمار) - وكذلك كسان رايم» أن «المشروع الإمبراطوري» الأمريكي لا يمكن إنشاده

بغير سيطرة كاملة على موارد البترول. وكان الاطار الذي اتفق فيه المطالب هذه الجماعات للبحث والدرس ومكاتب وقاعات الخرج الذي أنشأه «جيمس بيكر» في «هيوستون» - (عاصمة تكساس)

السلطة فيها للقوات المسلحة بنص الدستور، فإن القرار التركي يجيء أقرب إلى «الانهيار» بالتكنولوجيا حيث تتلوق أمريكا (إسرائيل) - وأبعد عن «الانزواء» بالقرارات التي يجمع تركيا بالنقافة مع العرب.

ومن وجهة نظر قطب هذه البؤرة - الجماعة - فإن «تاج» الشرق الأوسط يمكن تجميعه على رأس الإمبراطورية الأمريكية بعملية تصفية نهائية مؤثرات عربية قومية قد تعاودها أحلام قديمة لم يعد لها الآن مجال، وتأمين ذلك يقتضي إجراء عملية جراحية واسعة في العالم العربي تغير أفكاره وتوجهاته، وتغيير قيمه ومعتقداته، وحتى إذا اقتضت الجراحة زرع قلب جديد، فبيل به الجسم العربي - فكرا ولغلا - مهما كانت درجات الحساسية والمخاطرة والرفض - وإذا أصر الجسم العربي على العناد، فإن الجراح القائم على زرع القلب مخول بتوقيع شهادة وفاة!



وكانت البؤرة - الجماعة - الثانية من قطب صناعة «البترول» - وبينهم «جورج بوش» (الابن)، و«جيمس بيكر» (وزير خارجيته)، و«ريتشارد لايت» (وزير دفاعه، والآن نائب الرئيس)، وكان إجماع هؤلاء أن «البترول» هو المستقبل المظفر - حتى جني» اختراق تكنولوجيا يوفر بديلا للطاقة بسعر (الاستثمار) - وكذلك كسان رايم» أن «المشروع الإمبراطوري» الأمريكي لا يمكن إنشاده

بغير سيطرة كاملة على موارد البترول. وكان الاطار الذي اتفق فيه المطالب هذه الجماعات للبحث والدرس ومكاتب وقاعات الخرج الذي أنشأه «جيمس بيكر» في «هيوستون» - (عاصمة تكساس)

فرصة للقول إذا استطاعت حملتها الانتخابية استغلال عيب الضعف الإنساني الذي شاب إدارة «كلينتون» بنفس القوة التي استغلته به حملة «كلينتون» ذلك الضعف الاقتصادي الذي عاب إدارة بوش» (الابن).



وظهرت عدة مؤثر تجمع فيها دعات المشروع الإمبراطوري الأمريكي المؤمن بقدره المكتوب والمؤهل للتغلب عليه، والسعي لتحقيقه كهممة مقدسة. وكذلك ظهرت على الساحة الأمريكية وفي مواقع النفوذ (وإن لم يكن في دائرة السلطة) - وفي مراكز التأثير (وإن لم يكن عند دوائر القرار) - جماعات معنية بالأمر راحت تسابق بعضها:

كانت البؤرة - الجماعة - الأولى هي الغلاة من دعاة الإمبراطورية - رجال من أمثال «دونالد رامسفيلد» (وزير الدفاع الحالي)، و«ريتشارد بيرل» (مدير التخطيط الاستراتيجي في وزارة الدفاع التي اضطر للتقدم استقالته قبل شهر بسبب فضائح مالية ثبت فيها استغلاله لخصيه) - و«بول وولفويتز» (نائب وزير الدفاع الحالي) - وكلهم من قطب إدارة «بوش» (الابن) وأركانها ونجومها، هؤلاء وكثروا على بند أحكام السيطرة السياسية والصسكرية على الشرق الأوسط، والسائد في اعتقادهم أن «إسرائيل» هي الدعامة الرئيسية لخطتهم في تلك المنطقة، لأن الشرق الأوسط فيه دولتان لذيهما المؤلات اللازمة لخدمة مشروعه:

● الأولى: إسرائيل لأنها دولة تملك الكفاءة (في حين أن الدول العربية المحيطة بها حسب تعبير «رامسفيلد» هي أحسن الأوطان أرضا عقارية هائلة خالية وبهجتها خرابا!) - وذلك التقدير أدى باصحابه تلقائيا وبالعاطفة والعقل - معا - إلى تحالف مع أكثر العناصر تشدد في إسرائيل، أي أن أصحابه أصبحوا جميعا مؤيدين لحزب البليوك، وانتماءوا لزعيمة الحالي «أرييل شارون» (وقد كتب أحد الاطباء من غلاة هذا التيار وهو «ويليام سافير» (من أبرز كتاب جريدة نيويورك تايمز) - مقالاً أورد فيه - أنه لا يستطيع أن يتألم الليل مستترعا إلا بعد ما يسمع صوت «شارون» على التلفون ثم يغمض عينيه).

● وأما الدولة اللبنانية التي يمكن الاعتماد عليها فهي تركية، لأنها بالجمج أقوى دولة في الإقليم، وفي نفس الوقت فإنها ليست عربية، وأما على الصفة الموازية للعالم العربي، ولأن العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣



استرداد ما دفعوه)، وهو يخشى أن لا تمكن حملته (بسبب لونه) من أن تجع ما هو كاف للصرف عليها، وتشير إيفالسا قبل أن يحل يوم الاقتراع.

– وأخيرا ضغط مارسه عليه زوجته («الأم» التي رفضت الفكرة أصلا، لأنها تخاف عليه من متطرف أبيض، يكره معه ما حدث للزعيم الزنجي «مارتن لوتر كنج»، و«الأم» في النهاية تريد زوجها معها حيا في البيت ولا تريد شهيدا بعيدا عنها في القبر!

وساعد على ترند «كولين باول» إحصاسه بأن «جماعات الإمبراطورية» تقبل به على مضض، لأنه – في رأيهم طبعاً (أمريكية غافقة) من شخصية «هاملت» في مسرح شكسبير – رجل مُدب بالهجرة، تتجاذبه الهواجس وتستغرفه التصورات، وعادة هذا النوع من الشخصيات فإن ترددهم في الفعل يستهلك استعدادهم للقيادة، وهي في النهاية حسس بين البدائل وأقرا!

وكذلك فإن «كولين باول» أعفى نفسه، وأعفى غيره – من ترشيح نفسه، وأعلن رسمياً أنه خارج السباق الانتخابي!

لاية فتاة تكيفزونية أو إنديعية أو أي صحيفة أو مجلة أو أي مخبر أو «كاتب عود»!

● فكر «دونالد رامسفيلد» (وزير الدفاع الحالي) أن يرشح نفسه ثم تراجع لنفس الأسباب تقريباً.

● فكر بعضهم في ترشيح «كولين باول» الذي اكتسب سمعة رجل مثزن، صاحب تجربة نصحت في ميادين القتال (في فيتنام)، والسياسة (مساعداً لكينجسنر في البيت الأبيض)، والاستراتيجية (رئيساً لهيئة أركان الحرب المشتركة) – لكن «كولين باول» بعد أن وافق من ناحية البدء عاد وتراجع عن التخليد بضغط شكوك الحث عليه:

– بينما نخوفه أن يكون ترشيحه (وهو ملون) مناسبة لإنهاء قضية التفارقة العنصرية، بحيث يجد نفسه إذا فاز أمام معضلة التعامل مع مؤسسة بيضاء، وإذا سقط وسط غضب الملونين قد يتحول إلى فتنة ساخنة.

– وبينما تحسبه لعبه جمع التبرعات اللازمة لإدارة حملته الانتخابية، فالتكاليف باهظة (ثلاثة بلايين دولار) – جموع التبرعات تحول المرشح رهيبة للمتبرعين (بمخهم في

وكانت وسواس أصحاب المشروع الإمبراطوري أن «إنجاز» إدارة «كلينتون» في مجال الظاهر، ربما يستطيع مساعدة ثلثيه «آل جور» في انتخابات الرئاسة سنة ٢٠٠٠ – كما أن «آل جور» وجه معروف باعتباره النائب الحالي للرئيس، وأي نشاط له خير، وهو يجاهد ليحفظ لنفسه بمسافة بعد مناسب عن فضائح رينيه.

وفي الاستعداد لملاقاة الحزب الديمقراطي و«آل جور» على مقدمة الصورة قفلاً – ظهر في الحزب الجمهوري رجال رشحوا أنفسهم، لكنهم لم يصدوا للتحية:

● فكر «ريتشارد تشيني» (نائب الرئيس الحالي) في ترشيح نفسه اعتماداً على شخصيته المايعة بالصهيوية وقت أن كان وزيراً للدفاع («جورج بوش» (الأب) قنّده حسرب الخليج – لكن «تشيني» تردد لأسباب عديدة فيها السبب الضمّي (علل القلب) وفيها – وهو الأهم – أنه لا يريد تعرض نفسه وأسرته لعملية «العرى المائي والإنساني والشخصي» التي يتعرض لها أي مرشح للرئاسة وإذا حياته «ميدان رماية» مفتوح (كذلك تعبده)

وكان حساب هذا الفريق في الإدارة الجديدة أن دول أوروبا الكبيرة أصبحت مثل غيرها في دلجا الشيشوقة يهيمها أن تقضي بقية عمرها في أمان مدخراتها – ومن أجل تأمين هذه المدخرات ففى على استعداد للاستثمار في أي مشروع رابح، وعندما تصبح الإمبراطورية الأمريكية كذلك – فإن أوروبا مهما كانت دواعي حشرها وأسباب شكها – سوف تهرع للاستثمار فيها على علم حتى لا تتعرض مدخراتها للتآكل.

وإن فعلى الإمبراطورية الأمريكية أن تتمسك بمشروعها الأكبر، وتترك أوروبا مع «حساباتها الصغيرة» (حكمة وفكرا)!



كانت هذه البلى الثلاث – (جماعات المشروع الإمبراطوري – وصناعة البترول – وأصحاب الفكر والتخلفير للاستراتيجيات والسياسات) – وربما يؤرّج جماعات أخرى تدرس وتستعد لعصر ما بعد «كلينتون» حتى يستأنف المشروع الإمبراطوري، مسيرته لنشد حزمًا وسرع اندفاعاً في ظل إدارة ترعد – جمهورية وليست ديمقراطية بالناكيد!

## ثانياً:

# «دوبيا» يولد من جديد أمام المرأة!

الولايات المتحدة، إذ إنه بالمولد والأصل من أسرة بنت فروتها وراحتها من صناعة البترول، وبالتالي فإن خبرته الوافية ومشاركته مباشرة وأصلة في التواحي التي يمكن أن يتحصر فيها المشروع الإمبراطوري.

– علاوة على ذلك فإن «جورج بوش» (الأب) هو الذي أنشأ في البيت الأبيض مجموعة إدارة الانتشار الإمبراطوري بعد حرب الخليج الثانية، وكان أمه أن يستكمل المشروع في رئاسته الثانية، ثم إنه مثل غيره من أركان إدارته خرج من منصبه الرئاسي، وهو يلزم من مشروعه الإمبراطوري، وهو يستطيع أن يواصل خدمة المشروع – بالبراعة والحماة – ولديه فوق الأسباب العامة – دوافعه الشخصية:

(الأب) أصبح الراعي والكماسي لهذه الجماعات – يدعى جملة من اللابسات: – فهو نائب الرئيس «ريجان» الذي كسر إمبراطورية الشر السوفيتي.

– وهو الرئيس الذي خلف «ريجان» – ثم بدأ في عهده وضع إطار الحلم الإمبراطوري الأمريكي وتوقيع أدوات تطبيقه.

– وهو الرئيس الذي قنّاه الخطوة الاقتصادية الرئيسية في المشروع ببناء تحالف حرب الخليج الثانية لتحرير الكويت.

– وهو أيضاً السياسي الذي يملك خبرة تشعبية، فقد شغل «بوش» (الأب) عدة مناصب عليا: مديراً لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وسفيراً للولايات المتحدة في الصين، وبعيداً نائباً للرئيس

(الآن) – و«جيمس وولسلي» (رئيس المخابرات المركزية سابقاً) – و«ريتشارد أرميتاج» (نائب وزير الخارجية الآن) – و«فرانك كارونوتشي» (وزير الدفاع سابقاً).

وقد تولت السكرتارية العامة لفريق العمل المسيدة «كوندوليزا رايس» (مستشارة الرئيس للامن القومي الآن).

– وكان إعداد هذه للسوة الأولى (في تحقيق «نوكا» وآخرين غيرهم) – قد انقل لبثاء من صيف سنة ١٩٩٧ – أي مع اقتراب (موسم المحلات الانتخابية) من مركز «جيس بيكر» لدراسات البترول في هيوستون (عاصمة تكساس) إلى البيت الأبيض (كينينكيونز، على شاطئ ولاية «ماين» – والداعي أن الرئيس «جورج بوش»

■ وعلى خلفية هذه الساحة المزدهمة، تمكنت النخبة الإمبراطورية داخل الحزب الجمهوري وخوله – من وضع مسودة أولى شبه كاملة للمشروع الإمبراطوري – وبمعا تحديد إطار لنوجاته وحركته.

● كان واضح المسودة الأولى – فريق عمل محدود ومتحسّن يضم (طبقة) لتحقيق قام عليه – و«برسرت نوكا» – لحد أشهر وأكفأ الصحفيين (الأمريكيين) – كلًا من:

– «ريتشارد تشيني» (نائب الرئيس الآن) – و«دونالد رامسفيلد» (وزير الدفاع الآن) – و«ريتشارد بيرل» (مدير الخطط الاستراتيجية لجيش الدفاع القومي الآن) – و«بول وولفويتز» (نائب وزير الدفاع الآن) – و«دوج فليت» (وكيل وزارة الدفاع





وعانت تفكيرها وتديرها. ومع أن افراد هذه الجماعات كانوا في مواقع متميزة ماليًا (مثل «ريشارد تشيني» الذي يدير واحدة من أهم الشركات في مجال خدمات البترول، وهي شركة «هاليبورتن»)، كما أن كثيرين منهم كانوا وازالوا يعملون في إطار بيروقراطية واشنطن الدائمة ونخبها المتميزة، إلا أن مظلة «ريعية» واحدة مطلوبة حتى تغطي الجميع، وكانت عائلة «بوش» مؤهلة لتقديم هذه المظلة الواحدة.

وفي إطار هذه الأجواء - مضاعفا إليها مؤثرات السقوط الأخلاقي الذي تفرق إليه «بيل كلينتون» واكتشف أمره خلال مدة رئاسته الثانية - فإن بعض المتخصصين من نغمة الإمبراطورية راحوا يخطون عما إذا كان هناك سبب دستوري يحول دون ترشيح «جورج بوش» (الابن) نفسه للرئاسة من جديد. يشعرون أن رجله لم يفض غير مدة رئاسة واحدة في البيت الأبيض، ثم قطعنها مدتان لـ «كلينتون» وربما أن إمكانية عودة «بوش» (الابن) مطلوبة (إذا كانت ممكنة) لاسترجاع الفضيلة (وهي في ضلالهم عودة ملكة للمشروع الإمبراطوري). لكن البحث في ترشيح (الابن) يظل بسبب غيبة السوابق حتى وإن غابت مواقع الدستور، وهو عذاه بيان أن استعادة الماضي محاولة سبب (الابن) لديه غير تكرر (نفسه) أكثر مما هي استحضار أم (لديه) رؤية على قيد الحياة.

ولم يخطر ببال أحد قبل ذلك الوقت أن «جورج بوش» (الابن) يصلح مرشحاً. لأن أوجه القصور في شخصيته وثقافته وجانبية حضوره نستبعد من أول نظرة. ومن المفارقات أن «الأم» (بربرا بوش) كانت أول من سلم بعدم صلاحية ابنها لدور «قيصر»، بل إن ابنها ذاته («جورج بوش» (الابن)، الرئيس الحالي للولايات المتحدة) اعترف عندما روى قصة حياته (ونشرتها صف العالم الكبرى) وضعفها الضداني (تيسم) وأقدم بنفسه جانباً من الأسباب التي جعلت الآخرين يتشككون في مستواه رفيع، وقال في عرفهم «ديبياً» وليس «جورج».

وكانت والدته هي أول من أطلق عليه هذا الوصف، مستندة إلى الاسم الشائع له هو «ويليام»، وجرته الأول (W)، وذلك لتمييزه عن والده «جورج» الذي اختار لابنه الأكبر نفس اسمه. وكان الحرف الأول من الاسم الثاني لابن وهو (W) الذي جرى تبديله يدويًا) هو الذي شاع في الإشارة إليه وليس «جورج» حتى لاتنسب الإشارات.

على الصورة الشاملة للمشروع الإمبراطوري، غير تفصيل واحد مازال معلقاً - رغم أنه بالغ الأهمية: شخصية الإمبراطور (القيصر)!

وهنا ظهر «جورج بوش» (الابن) - ولم يكن ظهوره تلقائياً، ولا سهلاً، مع أن الأمر تداعى إليه خطوة بعد خطوة دون تصميم سابق يُفَعِّل دور «الفاصح» على مفاصله.

في البداية كان هناك واقع أن استعادة الجمهوريين للبيت الأبيض - من جديد، جهداً يجري في إطار علاقة «بوش» أكثر مما يجري في المنحى الرسمي للحزب الجمهوري، والمبرر أن الحزب أثناء رئاسته «كلينتون» الأولى فقد معنوياته من ناحية، بسبب سلطو مرشحه «بوش» (الابن)، ومن ناحية أخرى شيع نفوذه بسبب ارتفاع شعبية «كلينتون» الذي تقدم بنجاح يعالج مشكلة الاقتصاد.

تلى ذلك أن «بوش» (الابن) ظل يستشعر مسؤوليته أمام معاوني زيناو أصفه مشروعه «تكريس الإمبراطورية» باعتباره مراعياً للقناعة بعد أن أتم (ريولد ريجان» رسالة مقدسة سبقت وهي مدع إمبراطورية الشتر السوفيتية، وهم بالنفس مدعاً رئاسته الأولى بوضع الأسس والقواعد لحجر الأساس، لكن الخائب الأمريكي اندفع في «كلينتون» وأرسل «بوش» إلى اللبني بقسوة لم يكن لها تبرير؛ ثم إن هؤلاء المواطنين ظلوا قريبين منه يخطون معه عن وسيلة للعودة بكل طريق إلى المفاصل الذهبية للقرار (البيت الأبيض)، وقد ضاعت منهم عندما تركها «بوش» على عتبه وخرج من البيت الأبيض (على عكازين).

وبطبيعة الأمر أن «عائلة بوش» وصناديقها المالية المختلفة قامت على تمويل الجماعات الإمبراطورية التي خرجت مع (الابن) من البيت الأبيض

تلك اللحظة، وذلك ما ينبغي استخفافه مع الرئاسة القادمة والتمسك به وعدم القويض فيه.

٤ - الإدارة الجمهورية القادمة عليها أن تمارس دورها في الدفاع عن المصالح الأمريكية والتكفل لها بغير «قيود» لا تستوجبها «ضرورات حقيقية»، بل أن الإدارة الأمريكية القادمة يحق لها «وجدها» توصيف المصالح الأمريكية دون اعتبار لغيرها، وهي مطالبة بالعمل على مسئوليتها سواء من داخل الأمم المتحدة أو خارجها.

٥ - الولايات المتحدة في ممارستها لسلوبياتها الحالية يصح لها أن تتشاور مع غيرها من الأطراف الدوليين، على أن تحتفظ لنفسها بحق التصرف منفردة إذا وجدت ذلك ضرورياً.

٦ - لتتصدى لخطر الإرهاب (حتى يبرأ إدارة «كلينتون» الحالية) - هو النداء الذي يمكن حشد القوى الكبرى عليه (والصفرى أيضاً)، وهذا النداء مازال قادراً على تحقيق حشد عالمي، لأن الكل معرض لخطر الإرهاب. والولايات المتحدة قبل غيرها مكلفة بالقيادة في مجاله لأنها الأكثر تعرضاً لضررياته، وذلك يوفر لها - إلى جانب حق الدفاع المشروع - داعياً أخلاقياً يضيف إلى المشروع دورها القيادي.

(كان «جورج بوش» (الابن) على عهد خدمته كخائب للرئيس «ريجان» مسؤولاً عن قضية الإرهاب ومكافحته، وكان مسؤولاً عن لجنة عليا شكلها «ريولد ريجان» لملاحقة ومواجهة «خطر العصر» كما كان يسميه).

والآن صيف سنة ١٩٩٨ - بدان الخطوط والتفاصيل تحدثت مواقعها

«فهو في أعماق قلبه يحس بجرح، لأن مرشحا شاباً مجهولاً من أركانساس - «بيل كلينتون» - هزمه في الانتخابات، رغم أنه «دجورج بوش» (الابن) - الرجل الذي قاد أمريكا إلى النصر في عاصفة الصحراء.

وهو في جزء من جهازه العصبي يشعر بصافن يلح عليه في ضرورة استئناف دوره (على نحو أو آخر) - لأن المشروع الإمبراطوري مازال يطغى على عقله وقلبه (رغم اعترافه السياسية في أعقاب فشله الانتخابي للدور).

ثم إن كل الذين شاركوه في المشروع الإمبراطوري - يدفعونه إلى درجة التحريض، بحجة أن عليه مسئولية تاريخية لا يملك أن يتخلى عنها ويتركها (خصوصاً لهذا الضغوط في الخططية، الجالس بدلاً منه - دون استحقاق - في البيت الأبيض - «بيل كلينتون»).

وأخيراً لابن «جورج بوش» رجل غنى - راسحت أسرته فروة طائلة من صناعة البترول في تكساس، وقد هزمت الأسرة هذه الشروة بعلاقات في العالم العربي - تولقت أواصرها واستعنت تعاوناتها بعد حرب الخليج الثانية، وهذا الغنى ما يجتذب به يساعده ويكاد يدفعه دفعا إلى أداء دور الراعي والصامي لمشروع الإمبراطورية.



وقضى «فريق العمل» سنة كاملة في بيت «جورج بوش» (الابن) يجسد خطة المشروع، ومرة ثانية تم تجهيز تقرير نهائي وقعه - أيضاً - «ريشارد تشيني» (نائب الرئيس الآن)، وهو في الحقيقة خلاصة جهد مشترك لكثيرين، وكانت الخطوط الرئيسية محددة - وأحياناً بالتفصيل:

١ - الحزب الجمهوري لابد له أن «يسعد» من جديد (Recapture) موقع رئاسة الولايات المتحدة مرة أخرى، لأنه الحزب المهيأ لمهام الزمن القادم، وفي نفس الوقت صاحب الرؤية الأوضح لمهام ذلك الزمن القادم.

٢ - الرئاسة القادمة عليها أن تترك بعض أن الولايات المتحدة أن في وضع فريد لم يتجأ لأي قوة غيرها في التاريخ، فلديها الآن شبه نقر بالثقل، لأن انهيار الاتحاد السوفيتي وانخراطه جعلها قادرة على «تشي قبورها» وترسيخ مسئوليتها عن حماية هذه القيم».

٣ - الولايات المتحدة على عهد «ريجان» و«بوش» (الابن) تمكنت من الإسناد بالحلقة التاريخية واستغلت الإمكانيات لمادية والمعنوية للحفاظ على



الحزبية، خشية بروز مرشح يتقدم الصفوف ومهيأ للفوز، ولعل هذه الحزبية للحزب كانت ملائمة أكثر لحالط الجماعة، فاعطى كل من مغلوبهم ليس مجرد مرشح جمهوري يعود بالحزب إلى البيت الأبيض، وإنما مرشح جمهوري يمثل معهم إلى آخر الشؤنا.

وكذلك تغيير السؤال عن "دوبيا" به "لم لا؟"، وحل محله سؤال به "هل يستطيع؟"، وكانت هناك اعتبارات تزكي رد على هذا السؤال الأخير بالإيجاب: "دوبيا" لم يعد لديه ما يضيفه عن ماضيه (وذلك هاجس كل مرشح، لكن "دوبيا" سبق واعترف بكل شيء)، "دوبيا" عن سن الشباب ويستطيع أن يتحمل غناء حملة انتخابية.

و"دوبيا" لديه فرصة لاستشارة عطف النخب الأمريكي التي حرم والده من رئاسة ثانية (متاحه له بال دستور وكان يستحقها لولا معركة "إنه الاقتصاد يا غبي"، ولعل النخب الأمريكي شعر بعد فشلت "كلينتون" أنه أساء الاختيار، وعليه وجب اعتذار يستطيع تقديمه للذين دام أن يستطيع تقديمه للاب.

و"دوبيا" وراده (أسرة ومصالح تستطيع أن تحول حملة انتخابية سوف تكون بالأكيد "صعود جيل" لأنها ضد مناسبات في مواقع "نائب الرئيس"، وهو من هناك يملك ميزة أن أي كلمة يقولها تلفت الأنظار وتستوقف الاهتمام وتضع اسمه في العناوين الرئيسية للصحف ومله شاشات التلفزيون).

وأهم من ذلك كله: "دوبيا" سوف يكون - إذا نجح - رئيساً "لبناء" يترك الفرصة لاستشاريه وهم حملة مشروع رئاسته، ويسمح منهم وهو ليس غريباً عنهم، بل كل معظلم عرفه أيام رئاسة أبيه، وتابع عن قرب كتاباته الكثيرة وأخراً حكاية حكاية الولادة من جديد، وهذه أمور لها تواجد أولها أن كل مساعد أو مستشار للاب، بقدر أن يكون معلوماً للاب ومرشداً، وفي مطلق الأحوال صوتاً مسموهاً، وتأثيراً له وزن عند موقع القرار الأكبر في السياسة الأمريكية (المتكبر البيضاوي).

ومع التكرار والحيرة، فإن السؤال بدله "لا؟" ثم السؤال به "هل يستطيع؟" وجد جواباً: لا، والسؤال الأول وجد جواباً يقول: دعوتنا تجرب، والسؤال الثاني وجد جواباً يرى أن "دوبيا" ربما كان أنسب الحلول، وكذلك جرى.



وكان وصول "جورج بوش" بالفعل إلى البيت الأبيض معركة انتخابية شاقة

«رامسفيلد» - «كولين باول» - حتى «جيمس بيكر» (مع اختلاف أسباب كل واحد منهم في الإقدام والإحجام). وعلى الجانب المقابل فإن الحزب الجمهوري الذي تشرد في التجه ثمان سنوات، لم يكن في حال تسمح له أن يمر من صفوفه مرشحاً يملك فرصة نجاح مؤكدة أمام الديمقراطي هو الآن بالفعل نائب للرئيس (ال جور).

وكان الاطباء المشهود لهم داخل الحزب الجمهوري قد تساقطوا واحداً بعد الآخر، بما فيهم الرجال الذين لمحت اسماءهم في الحملة على «كلينتون»، وفيهم زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب «نيوت جينرترش»، وفيهم كذلك الرجل الذي تولى إدارة معسكرة إداته «كلينتون» في مجلس الشيوخ وهو السناتور «فرانك لوت» زعيم الأغلبية الجمهورية، فكلهما طاربه ظروقه. وطردته:

أولهم وهو زعيم الأغلبية في مجلس النواب الذي رفع لواء الأخلاق - تكلف في ذلك عشيقته (وفيها بعد طلق زوجته وأرتبط بعشيقته واعتزل السياسة). والثاني كانت له مشاكل عائلية في ولاية مسيسيبي (وهو بصيها لا يريد أن يضع نفسه تحت الأضواء الباهرة للحملة الانتخابية الصاخبة).

إلى جانب أن أشهر أقطاب الحزب وهو السناتور «روبرت دول» انشق قواء في محالوات فاشلة لترشيح نفسه، حتى أصبح اسمه خامداً بلا إشعاع، ومن هذا الإحساس - حتى لديه هو نفسه - فإنه حاول الدعوة لزواجه «اليزابيث» مرشحة للرئاسة عن الحزب الجمهوري بدلاً منه (ولم يكن ترشيحها مقبلاً لأحد). ولم تكن «صحة» الحزب الجمهوري في كل الأحوال مما يهد جماعاته الإمبراطورية للحملة بهائلة «بوش» - ولعلها استفادت من هذه الغيبوبة

أفرغت كل ما في جوفى على سريري وعلى ملاسي قبل أن تخمد حواسي وتغيب.

وتحسست وجهي بيدى أمام المرأة، وإذا بدى متسخسة يمشيا اليه فتنى لطلعت وجهي وجفت أنفاه نومي، وأصابعني مظهرها في المرأة أماسي بقشعريرة هزت كبائي، وأعدت النظر إلى صورتى، ووجدتني أسال المرأة قلائاً: «دوبيا... دوبيا ماذا فعلت بنفسك؟»، وزحت أصرخ أمام المرأة أعاهد الله ونفسي أن لك «أن يتكرر بعد الآن»، ولم تصدقني «لورا» (زوجة) يادى الأمر، وغلقتة ثاير «لحظة» المرأة، والثني على أيام عائد إلى ما أدمت عليه، ذلك ليضا قالت والذى، لكنني أثبت للجميع أنها توبة بلا عودة، وولادة جديدة لنفسى ولأسررتى ولروح السيد المسيح في قلبي..»

ومن وقتها حاول «دوبيا» أن يتخذ طريق الجد - ودياته تجربة حطوفه (مولوداً من جديد) - في ترشيح نفسه حاكماً لولاية تكساس، لأنها المحيط المباشر لنفوذ الأسرة، وكانت مفاجأة الجميع أنه فلز.



وأغلب الظن أنه عندما بانث علامات الهداية ويشرى الولادة من البداية - فإن كليرين لم يأخذوا «دوبيا» (جورج بوش الابن) في حسابه وهم يبحثون عن «الفيسر» - لكنه مع مرور الوقت بدأ بعض أصحاب المشروع الإمبراطوري يصابون أنفسهم: «لم؟»

كان الصف الأول من المرشحين الذين تختار اسماءهم على الببال بطبعياً مازالوا بين إقدام وإحجام، كلهم راود الاحتمال وكلهم قسور العدول: «تشيستي» -



**يروى «بوش» (الابن) أنه ظل حتى تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره شاباً لا أياً. عابداً كسولا - عازفاً عن العلم، خصوصاً بعد أن حصل بالأكاد على شهادة من جامعة «تكساس» الحق بها إجازة من جامعة «ييل» (يكاد يلحق إلى أن نفوذ أسرته أتاحتها له بأكثر من جده هي طلب العلم)**



وكان «بوش» (الابن) هو الذى «أمعن» في الاعتراف بقصوره، فاصداً أن يكون الاعتراف كاملاً (حتى يتحقق الغفران)، فقد روى أنه ظل حتى تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره شاباً لا أياً - عابداً - كسولا - عازفاً عن العلم، خصوصاً بعد أن حصل بالأكاد على شهادة من جامعة «تكساس» الحق بها إجازة من جامعة «ييل» (يكاد يلحق إلى أن نفوذ أسرته أتاحتها له بأكثر من جده هي طلب العلم).

واعترف «بوش» (الابن) بعد ما كان لثروة لعائلة وحيدانه بين «تاكسل» (حيث مصالح الأسرة) - و«ييل» (استحقاقاً لها) ولد بهشاً عن قرص (ساقى تحققت له) - أخذت منه الاستقرار لعائلتي وتركت له فراغا عاش فيه كان غير مستوفى وصلته به إلى حد الأمان الشديد على شرب الخمر نهراً وليلاً، وكان ذلك يضيق زوجه «لورا» ويسبب لها حرجاً شديداً داخل بيت الزوجية وخارجيه، فلم يكن يراسبوع إلا ودوريه وبوليس تستوفى وتسحب رخصة قيادته، لأنه يقود سيارته سراً وسفهاً.

وتوصل الحال ببعض النوايا في تكساس إلى حد منه من دخولها، لأنه كل مرة يدخلها يثير «خفاقة» لا داعي لها، أشهرها أنه قام في إحدى المرات بتوجيه لكلمات متوازية لزواج الصحفية الشهيرة «جودى وودروف» وهي من نجوم وكالة «سي إن إن» وزوجها نفسه ستول كبير في إحدى المؤسسات الصحفية الكبرى في تكساس) وكان دافع «دوبيا» إلى التهور أن إحدى صفك تلك المؤسسة أسادت إلى عائلته بسلسلة تحقيقات عن مصادر ثروتها.

وأخيراً وصل «جورج بوش» (الابن) في اعترافاته إلى واقع ذلك اليوم الذى ولد فيه من جديد - متحولاً من شاب لاء، عابث، سكير - إلى مؤمن شديد الإيمان بعقيدته، وتلقى شديد الولاء لكتيبته، ونادى على الذنب مستعجم بالثبوتية، وهذا يصف «جورج بوش» لحظة ولادته من جديد فيقول:

«لدينا شربت كما لم أشرب من قبل، وفقدت وعيى، وحلوني إلى غرفة نومي - لا أشعر بشيء - حتى ظهر اليوم التالي، واستيقظت على صداد مروع، وذهبت إلى الحمام مترحلاً لا أقوى على المشي، ورايت صورتى في المرآة وأحسست بما يشبه نزول صاعقة»

اكتشفت أمام المرآة أنهم عندما حلوني إلى غرفة نومي - أرتيمت على سريري بملاسي التي كنت أرتديها، وكانت شديدة القذارة لأننى كما أدركت



التذكرة الانتخابية (وهيها رئيسا - و«تشي» نائب الرئيس) وهذه بالضبط هي التذكرة التي تحتاح إليها أمريكا اليوم، بارك الله في أمريكا دائما.. وهكذا دخل «جورج بوش» (الابن) إلى المكتب الميضاضى، ووراء نائبه «ديك تشيني» - وبعدهما أركان الإدارة: الكبار: «دونالد رامسفيلد» - «كولين باول» - «ريتشارد بيرل» - «بول وولفويتز» - و«كوندوليزا رايس» - وحظتها استعماق الفريق الامبراطورى في الحزب الجمهورى ان يعيد القبض «Recapture» على البيت الابيض من جديد - ويمسك مرة اخرى بالمفتاح الذهبية للقرار الأمريكى طبقا لأولويات محددة، هي: - الاحتفاظ بتفوق امريكى لابد ان يقل به الجميع (ويبقى إلى الابد) - سيطرة كاملة على الشرق الأوسط (وله) - والمندخل للامسك باللاتين: تحالف عالمي مضاد للإرهاب (ولذلك هو الغطاء القانوني والأخلاقي الأنسب) ■

(خمس من أصل تسعة) - وعندها أعلن فوز «دوبيا» (جورج بوش الابن) - وكان «جيمس بيكر» (أقرب الأصدقاء إلى الأب ووزير خارجيته السابق ومدير حملته الانتخابية) موجودا بنفسه طول الوقت في مراكز الفرز وفي قاعات المحاكم، بقول الواجهة القانونية لآليات صحة الأصوات المؤيدة للمرشح الجمهورى، وكان «ريتشارد تشيني» الذى وقع الاختيار عليه مرشحا لمنصب نائب الرئيس - يدير من داخل بيت «بوش الابن» معركة التجهل في إعلان فوز المرشح الجمهورى (دوبيا) - مهما كانت الإجراءات، والمخالفات، والطعون، وموجبات الخلل في شرعية عدد الأصوات، وفي الواقع العملى فإن تلك لم تكن مجرد معركة انتخابية، وإنما في تقدير مديرها ومسؤوليها - معركة مشروع امبراطورى يحتاج إلى إدارة في البيت الأبيض تؤمن به وتقوم على تنفيذ، وهنا بقي فهم أول تصريح أدلى به «ريتشارد تشيني» بعد صعود حكم من الحكمة العليا، فقد قال: «لست مستعدا للبحث في التفاصيل، لقد فازت

ويحتر، فإن قصارى ما توصل إليه بدا صناعيا متكلما مهدوتا بزيت ملون لم ينجف سلاله بعدا) - وكان تقدير الجميع أن نتيجة المعركة الانتخابية سوف تجيء متفارية - كذلك تقول استطلاعات رأى العام - وتؤكد الشواهد. والآن يعرف كل الناس أنه بحساب الأرقام في ولاية فلوريدا - وهي آخر ولاية تم فرز صناديقها - أن عدد الأصوات الحقيقى كان يعطى للرئاسة - «ال جور»، لكن للمجموع الانتخابى أعطى الرئاسة لـ «بوش» بسبب غياب عدة صناديق انتخابية تخللت عن الفرز، لأن حاكم ولاية كاليفورنيا (وهو جيب «بوش» شقيق «دوبيا» تصرف بطريقة غريبة، فقد رتب لوضع خمسة صناديق بما فيها من تذاكر على سيارة شحن نقلها إلى مركز الفرز، ثم قبل أن السيارة «ناهت» في الطريق (ستين كيلومترا) - لمدة خمسة أيام، ثم نشأ نزاع وصل إلى المحكمة العليا، مع مصادفة أن معظم قضائتها من تعيين رؤساء جمهوريين

وعنيفة، وأسوأ من ذلك مشبوهة في شرعيتها إلى درجة غير مسبوقة - تقريبا! - في التاريخ الأمريكى. كان واضحا أن المنافسة بين «جورج بوش» (الابن) - و«ال جور» (نائب الرئيس) - مباراة بين الأكلة سوءا وليس بين الأكثر قبولا، فعلا المرشحين مثقل بالحمولات من كل نوع، بعضها موروث («بوش» بمسحة الفضل الذى لحق والده، ويشعار «إنه الاقتصاد يا غيب» - «ال جور» بلطفه ما فعله رئيسه في المكتب الميضاضى ويعتلق ماضى لواده عاد يذكر نفسه). ثم إن بعض الحمولات مكتسب، («بوش» بالثقل في صلاحية شهادة ميلاده الجديد، ويحضور باهت لا يشد بصرا أو سمعنا - و«ال جور» بمحاولة يائسة بذلها في اللحظة الأخيرة) إنجازات رئاسية «كليتوت» الأولى - إلى جانب أن «ال جور» في حد ذاته ظهر أمام الناس قائما وكأنه لوح من الخشب، وعندما نصحه الخبراء بأن يلبس

## ثالثا:

## قادة قيصر لا يهتفون باسمه!

ترجيح أن تكون الرئاسة الجديدة في أمريكا «رخوة» تترك الصين وشأنها تواصل بناء نفسها وتعتز اقتصادها وتكمل تحولاتها الواسعة دون عراقيل أو شواغل خارجية. - وأما في العواصم العربية خصوصاً تلك التي تعاملت بخلاقة ود فداق شاع أم بان الرئيس القادم إلى البيت الأبيض ضوء أزرق مريح للأعصاب ورائق، فالقادم الجديد إلى البيت الأبيض «منا وعليانا» و«بالتأكيد معنا». وكانت تصورات العرب على تفاوت ما بينها، خاصة، والحقيقة على العكس منها، لأن ما قلته بعض العرب فرصة لصالحهم - لا خطر عليهم، لأن الرئيس الجديد - وهو بفكر حسابات الأخير لرفقته - قصد أن يواجههم بحسنات، وقد

عن دائرة القفوذ «الإجلوساكسوني» من لندن وواشنطن. - وفي برلين: تصور المستشبار «شرويدر» أنه يتبعان للثاني - فرسى تستطيع أوروبا أن تمارس دورا فاعلا. يؤكد دوا لها وحقا في القرار الدولى مع مطلع القرن الحادى والعشرين. - وفي موسكو: تصور الرئيس «بوتين» أن غياها أمريكا - ولو جزئيا - يفتح بصيص أمل لروسيا تستعيد بعض مواقعها الضائعة. أو على الأقل لتدعيم أوضاعها الداخلية دون شغب يمارسه عليها رئيس أمريكى يحاصرهما حتى تظل تناقض «ال سقوط السوفيتية» مكتسة من حول الاتحاد الروسى الجديد، تتوقه عن إصلاح أحواله ومد الجسور إلى جواره، ووراء ذلك الجوار. - وفي بكين: يرى شعور بالراحة مع

وسرى إلى العالم كله إحساس بأن الولايات المتحدة الأمريكية سلعت مقاليد السلطة فيها - مع لحظة فاصلة على مسار التاريخ الحديث - لرجل لا يستحق، وفي أحسن الفروض لا يعرف. وفي عواصم عديدة بدت تلك فرصة مفتوحة لمن يريد أو أن يقدر: - في لندن: تصور «توني بليزر» رئيس الوزراء (العمالى) أن الرئاسة «بوش» (يكمل ما يكتفها) تعطيه مساحة لزيادة حجم التسلير البريطانى في مجتمع الناطقين باللغة الإنجليزية على جانبي الأطلسي، وبالتالي فرصة لتقوية الوزن البريطانى في العالقة الخاصة التى تربط واشنطن ولندن. - وفي باريس: تصور الرئيس «جاك شيراك» (الديموقلى) أن أوروبا تستطيع أن تعطي شهيا مجالاً لرحيل الحركة بعيدا

■ ■ ■ لم يكن دخول «جورج بوش» إلى البيت الأبيض يوم ٢٩ يناير ٢٠٠١ - دخول فاتحين، بل لعله كان أغرب دخول عرفه ذلك البيت في واشنطن، وكانت احتفالات قسم اليمين حافلة بهوليس احتشاد تقال كل شيء: مستوى المعركة الانتخابية لمرشحين كلاهما في نثر الخاب لا يستحق الجائزة، ثم المشاكل وشكوك تظل كل شيء: مستوى المعركة عملية عد الأصوات، ثم انتظار أسابيع مشوبة بالاجحاف في انتظار حيل مدامين قبل إرادة ناخبين. - وكذلك تبدى أن الرئيس (الامبراطور - القيصرة) الجديد يصعب أن يكون مقاما في أسس شرعية، أو سابق تجربته، أو توقعت أدله، أو قبائته لفريقه، أو ما يمكن أن تثيره قيادته من طموح وإلهام.



«ريتشارد تشيني» (وزير الدفاع مع الأب ونائب الرئيس مع الابن) هو مصدر اللقن الأكبر بسبب تطرف زائد وجموح إلى التصرع في الأحكام يمكن أن يتسبب في مخاطر.

ثم يوحى «سكوكروفت» في حديثه مع «فيتزجيرالد» إلى أن «تشيني» كان مشاكسا مع كل وزراء «بوش» (الأب) وكائن له شطحات غير معقولة بعض المرات. ومن شخصاته المشهورة «أنه أشار بعدم تصديق «جورياتشوف» بشك أن ادعاءاته الإصلاحية للنظام السوفيتي ليست إلا عملية تنويه وتضليل، وأن الولايات المتحدة عليها أن تواصل الضغط وتشده حتى تفتت عدوها السابق شظايا صغيرة وسدجا من الغبار تغطي الكرملين حتى تتحتمها».

ولم يكن ذلك رأى وزير الخارجية «جيمس بيكر».

في كلام «سكوكروفت» «أن تشيني كانت له من أيام وزارة دفاع معارك مع معظم اطراف إدارة «بوش» (الأب) وقتها، وأن هذه المعارك -إذ لم يقع تداركها- سوف تسحب ذيولها إلى إدارة «بوش» (الابن)، فقد اصطم «تشيني» حين كان وزيرا للدفاع (في رئاسة الأب) مع «كوين باول» (وهو ولقبها رئيس الأركان)، وأول الأسبان «تشيني» وهو «المدني» حاول أن يتسلل في تحضير وإدارة حرب الخليج (الثانية) متصورا لنفسه «جنرا على كفة خاس نجوم» (مثل أينهاور) - واضطر «بوش» أن يتشاجر معه مرة كل أسبوع على الأقل (طبقا لرواية «فيتزجيرالد» - فلا عن «سكوكروفت»).

والنقطة الحرجة الآن أن «تشيني» خالنا قلب الحزب (لحسن الحظ انظر سوله) - بنى لنفسه صورة «مدير كفة» - وهذه الصورة هي التي وضعت على رأس الفريق الإمبراطوري وركبته نلتيا للرئيس (خديرا عارفا) مع رئيس (ليس خبيرا ولا عارفا - بل مولود من جديد) - مع تصبب الجميع من أن الحزب الديمقراطي سوف يركن على قلة خبرة ومعرفة (بوش الابن) مقابل خبرة مرشده جورج، وهو نائب الرئيس وقتها (مع ميل كليتون).



[واتذكر أنني قابلت «ريتشارد تشيني» منذ سنوات طويلة (يوم اول أكتوبر ١٩٧٠)، وعندما جاء إلى مصر مرافقا لرئيس بعثة التجزية في مصر الرئيس «ريتشارد نيكسون» في جازة

الجديدة منهم يمكن بالكامل في مناورات سياسية تصفهم، فراح كلا منهم يحاول إلقاء دوره وتحميد دور غيره، وإلبات صواب مشورته مع تصفيه مشورة الآخرين، وإفساح مجال نقوده الشخصي، ولو على حساب «الرئيس» الجالس في المكتب البيضاوي.

وكذلك أصبحت علاقات النذور بين القطب الإدارة تسلية نوادي العاصمة، وصاوبات «جورج تاوون» وتحوالت إلى مادة مشوقة في وسائل الإعلام داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وكان «جورج تاوون» (مستشار الأمن القومي في عهد جوش» (الأب) أول من تحدث عن تلك الأحوال علنا، وإن كان حديثه جاء بإسلوب ديبلوماسي محسوب، فقد ذكر في حديثه للنشر مع المحقق البارز «فرانسيس فيتزجيرالد» ما نضع:

«هناك في الإدارة الجديدة صراع شخصيات (Personality Conflicts)، وهذه صراعات موجودة باستمرار في كل إدارة، وكانت موجودة على أيمانتي في إدارة «بوش» (الأب)، لكن هذه الصراعات ظلت مكتومة في الداخل، وأما الآن وفي عهد هذه الإدارة فإن هذه الصراعات مطروحة في العلن».



وطبقا لما نشره «فيتزجيرالد» فإن «سكوكروفت» «عالم خبير مطلع (بحكم أنه كان مستشارا للأمن القومي مع الأب وصديق وفي له بعد سقوطه في الانقلابات، وشرح فيه في كتاب واحد بعنوان «عالم يجري تغييره» صدر سنة ١٩٩٨ يحمل اسميهما «بوش» و«سكوكروفت» معا وتجربتهما السياسية جنبا إلى جنب) - فإن هذه الشهادة أشارت دون مواربة إلى أن

وتشكل إدارته - مشروعا له أصحاب، لديهم جدول أعمال جافز يريدون طرحة، واعتماد مبكرا مع الإقليم الأولى للرئاسة الجديدة، بمنطق طرق الحديد وهو ساذج، مع العلم بأن جدول الأعمال مُتَقَي عليه سلفا:

- إمبراطورية تمسك بمفاتيح السيادة ولاتقبل شراكة معها أو منافسة.

- سيطرة كاملة على موارد البترول (ومواقفه)، تشرف على إدارته وتحكم في توزيع حصصه.

- حملة عالمية ضد الإرهاب تولجه خطرا يعلن عن نفسه، وفي الوقت ذاته توفر غطاء أخلاقيا للإمبراطورية الأمريكية.



لكن الاتفاق على جدول الأعمال سلفا، لم يستطع أن يجيب مشاكل رئيسية: - المشكلة الأولى: خلافات بين دعاة المشروع على ترتيب بنود جدول الأعمال (رغم الاتفاق على قاعدته).

- والمشكلة الثانية: اختلافات بين الذين اتفقوا على جدول الأعمال لأنهم متفانين لأسباب شخصية!

وتشاكوت شكلتكتل معا - وهي طبيعة إنسانية - وهذا داخل العام مع الخاص واختلطت الحدود.

- والمشكلة الثالثة: وقد راحت تتفاقم، «التيار الذين لم يستطعوا تقبل زعامة «دوبيا» السياسية (على فرض أنها تجلت)، ولا سلطته التنفيذية العليا (على فرض أنها حسمت)، فركوا خلافاتهم تظهر خارج اعتبارات نفسه مع سؤلوا أن «لهم واحد منهم اعتبر نفسه إدرة، متضامنة، ولعدة أسابيع بعد دخول البيت الأبيض كان القطب الإدارة

ظلوا بعدها شهيرا لا يتصورون ما يرون، وحين اكتشفوا الواقع كان لصاري جبههم أن يدراوا ويتفاهروا!



في الأسبوع الأول من رئاسة «جورج بوش» وفي إطار اجتماعين لمجلس الأمن القومي برئاسة «جورج بوش» (الابن) - تكشف مناخ يدعو إلى اللقلق، لأن منا أخفته ضرورات - الاستيلاء على البيت الأبيض - أخذ في البروز علنا، بمعنى أن المشروع الإمبراطوري تجلي للعيان، كما أن رجاله ظهروا للعلن - ثم زاد أن الداخلين إلى السلطة يدوا وكانهم في سباق مع بعضهم، وعلى حد تعبير استعمله «كوين باول» «لقد تبين لي أن لحظة الحقيقة حلت علينا، وأن كل الطيور المهاجرة عادت الآن إلى أعشاشها لكي تبني» (في المكتب البيضاوي).

كان واضحا أولا - أن الرئيس الجديد لم يتأهل بعد لدور الإمبراطوري الذي أسند إليه، وظلت تطارد حتى في البيت الأبيض تكات ونواذر تركز جميعها على الراس والعلل والذات».

وبما كان ذلك في جزء منه ينطوي على تبسيط قد يكون مفيدا لكنه لا ينفي أن الرجل الذي ظهر في لقائه العمل المكرة لإدارته، بدا رجلا - اصغره من المجال للفقو الرئيس الولايات المتحدة - وإمبراطور العالم، والعللة الحسوسة دون انتظار أن تجرية البروز حتى بعد «البيان الجديد» كانت محصورة في ولاية من ولايات الجنوب الأمريكي، ومع أن تكساس ولاية غنية، فإن سلطتها ليست في مكتب حكمها، وإنما في «هاجين عدد من الشركات العابرة للحدود، وبينها بعض أهم شركات البترول في العالم (مطابقا للرئيسية في تكساس).

وكان واضحا بعد ذلك ثانيا - أن الرئيس «جورج بوش» (الابن) وجد على قمص إدارته أصدقاؤه وزملاء لولده عروود على أنه «دوبيا»، ولم يتفاهروا على أنه السيد الرئيس (Mr President).

وكان بين هؤلاء رجل مثل نلقه ريتشارد تشيني، و«دونالد رامسفيلد» و«كوين باول»، وكل واحد من هؤلاء ثلاثة بالتحديد - (تشيني - ورامسفيلد - وباول) - يعتبر نفسه - وهو صحيح - أصلا من «دوبيا» لفراسدة أولاً باعتبارات جعلت كلا منهم يتبرد، في حين جازف هو (ولم يكن لديه ما يفسره) - على أن جلوسه داخل المكتب البيضاوي الآن لإجعله تلقيا فقههم - زعيما سياسيا لهم ويوجه، أو رئيسا تنفيذيا بأمر ويطاع.

● وكان واضحا أخيرا وثالثا - أن محرك ترشيح «بوش» (الابن) وفوز

## في الأسبوع الأول من رئاسة

«جورج بوش»، وفي إطار اجتماعين لمجلس

الأمن القومي برئاسة «جورج بوش» (الابن) -

تكشف مناخ يدعو إلى اللقلق، لأن منا أخفته ضرورات

«الاستيلاء على البيت الأبيض» - أخذ في البروز

علنا، بمعنى أن المشروع الإمبراطوري تجلي

للعيان، كما أن رجاله ظهروا للعلن





ويتحولون إلى حقول القمام تالفة في وسطها، وأدوات في يد جماعات إرهابية تستعملها من بعيد حين تشاء). ثم إن العمل ضد الإرهاب يستطيع أيضاً أن يجذب «روسية» (وهي التي عاشت كابوس أفغانستان وبعد ما رآق الشيشان) - وهو في نفس الوقت يجذب «الصين» (التي بلقها ما يجري في جمهورياتها الغربية من نشاط جماعات إرهابية ترفع لواء الإسلام).

وكذلك كان «كولين باول» يرى (من تقدير لامية أوروبا وروسيا والصين) أن مقاومة الإرهاب تصلح مصلحاً لها هو أوسع منها - بمعنى أن «المشروع الأمريكي» للزمن الجديد يستطيع بهذا المدخل أن يأخذ معه هذا الطائي، حتى وإن سلم لأمره بدرجة من الشراكة مع الولايات المتحدة في تدبير أمور هذا الزمن الجديد.

كذلك كان «باول» يرى أن ضرورات نجاح المشروع الأمريكي - وللشرق الأوسط أهم مبادئ تحقيقيه - تستدعي التوصل إلى تسوية للصراع العربي الإسرائيلي لأن خبرته وما اطلع عليه منذ دخل وزارة الخارجية - يعرف أن تلك المنطقة (الشرق الأوسط) تواج بعاء متزايد للسياسة الأمريكية، وأنه بالحدث إلى «خبره وأثره»، تبين له أن الإرادة السالفة (إدارة «كلينتون») قدمت مشروعاً لحل دائم للصراع رفضه الفلسطينيين في كتاب دافعيه (خريف سنة ١٩٩٩)، لكن هذا المشروع يمكن أن يُعاد بحته وعرضه بتدريبات طفيفة تجعله مقبولاً للفلسطينيين، وغير مرفوض من الإسرائيليين.]

٢ - وكان هناك رأى يتزعمه «ريتشارد تشيني» - لمخضه أن الرئيس الجديد لا يصح أن يقف خطوات الرئيس السابق («كلينتون») - ويهدر وقته في مشكلة الشرق الأوسط، لأنه لا تتحمل ثقل «حل دبلوماسي»، وغفنه في هذا النوع من الصراعات هو تركها للزمن يتفكك بحلها (أسواء بالانقسام أو النسيان) - وبدلاً من تضيق الوقت (كما فعل «كلينتون») فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تدخل إلى قلب الشرق الأوسط عن طريق قضية مقاومة الإرهاب وليس عن طريق قضية فلسطين. ويساعد على ذلك في تدبيره أن حكومات المنطقة الصديقة للولايات المتحدة ليست مهمته إلى الدرجة التي تجعلها «بعضهم بقضية فلسطين، تلك مضلة تعود العرب أن يتعاضوا مع تعقيداتها ولم تعد تهزمها باعتدائها - في حين الانقسام الجدي لهؤلاء الصداقة العرب، يتركز في

وبالتالي فإن «رامسفيلد» يدعي بالرجح حكمة ونبوءة - لم تتحقق - لأن الهجوم على برجى الشجرات لم يكن هجوماً صاروخياً مفاجئاً شتته كوريا الشمالية.

ومؤدى الأمر في النهاية أن طالع «بوش» (الابن) الذي جلس ليجلس المشروع الإمبراطوري أواخر شهر يناير وأوائل شهر فبراير سنة ٢٠٠١ - لم يكن قريباً من جئاس أو متسجماً على المستوى الشخصي، حتى مع رابط افتتاح عضلته بأن مشروعه الإمبراطوري جاء وقته وأوانه!



[وكان منطقاً أن يختلف أعضاء



**«كولين باول» ليس معنياً على الإطلاق، بكل أفراد المجموعة الإمبراطورية، فهو يسميهم يتحدثون عن «استعمال القوة»، دون أن تكون لأحد منهم معرفة بشئون الحرب، فكلمهم - بما فيهم الرئيس «بوش» (الابن) نفسه - تهرؤوا من الخدمة العسكرية في فيتنام بعد أن آخر!**



الفريق الإمبراطوري في إدارة «بوش»، رغم اتفاقهم على المشروع الإمبراطوري وينوده - وكان طبيعياً أن تبرز خلافاتهم على ترتيب الأولويات عندما يجلسون إلى مائدة مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض - أواخر يناير وأوائل فبراير سنة ٢٠٠١.

ولك بالعلم ما حدث، ما تتفق عليه الروايات والشهادات والوثائق الصحيحة والمعتمدة، فقد برز واتسع الخلاف على ترتيب الأولويات، وانقسمت الآراء منذ المناقشات الأولى على عدة اتجاهات، وكل اتجاه يتزعمه طلب من أطراف الإدارة الجديدة.

١ - كان هناك رأى يتزعمه «كولين باول» يعتقد أن تدبير مكافحة الإرهاب هو الذي يصح أن يتصدر قائمة الأولويات، لأنه أفضل - قبل غيرده - على الانحياز «أوروبا» وهي مجموعة دول صناعية كبرى ترى نفسها مهددة بهجرات كثيفة من شباب الجنوب تحمل إليهم موجات من كل الأجناس يتقنون في مجتمعاتها

سببه، وأصبح ناعماً للرئيس في الإدارة الحالية. وفوق ذلك فإن «رامسفيلد» يكره «كولين باول» بسبب صنيته العريضة في المؤسسة العسكرية الأمريكية، ولا يتردد براحه حين يسمعه يتكلم أمامه وهو وزير الدفاع بخبرة رجل «يقن أنه يفهم» من شئون وزارته أكثر مما يفهمه هو.



وفي تلميحات «سكوكروف» أن «كولين باول» ليس معنياً - على الإطلاق - بكل أفراد «المجموعة الإمبراطورية»، فهو يسميهم يتحدثون عن «استعمال القوة»، دون أن تكون لأحد منهم معرفة بشئون الحرب، فكلمهم - بما فيهم الرئيس «بوش» (الابن) نفسه - تهرؤوا من الخدمة العسكرية في فيتنام بعد أن آخر!



**«كولين باول» ليس معنياً على الإطلاق، بكل أفراد المجموعة الإمبراطورية، فهو يسميهم يتحدثون عن «استعمال القوة»، دون أن تكون لأحد منهم معرفة بشئون الحرب، فكلمهم - بما فيهم الرئيس «بوش» (الابن) نفسه - تهرؤوا من الخدمة العسكرية في فيتنام بعد أن آخر!**

وتروى السيدة «كونداليزا رايس» أنها كتبت ما رأت «كولين باول» يعود برأسه إلى بولاءه وولفت عينيه إلى أعلى، إشارة إلى ضيقه بكلام يسمعه حول مائدة اجتماعات مجلس الأمن القومي (وتلك حركة مشهورة عن وزير الخارجية).

وقد فقد «كولين باول» صوابه عندما سمع «رامسفيلد» يتحدث في أول اجتماع عقده مجلس الأمن القومي بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، فقللاً أنه «أول من لفت الانتظار إلى أن الولايات المتحدة عرضة لهجوم غادر عليها من وزن «ديبرل» هاربر» - عندما هاجمت اليابان الأسطول الأمريكي في الباسيفيك وتمكنت من تدميرها بالكامل في ديسمبر (١٩٤١) - واضطر «كولين باول» إلى تذكر «رامسفيلد» بأن ذلك التحقير الذي يودي به الآن جاء في معرض مناقشة عن كوريا الشمالية وقراراتها في صناعة الصواريخ، وذلك شيء يختلف مع تصورات «نيويورك صباغ يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١»

جمال عبد الناصر»، ولم يكن للرئيس «السادات» في حالة صعبة جيدة، وكان أنه بلغ «إليوت ريتشاردسون» أثناء مراسم الجنازة وقد تقدم إليه مصافحاً بحذوته أنه يستطيع أن يتحدث فيما يشاء معي (وزير الإعلام وصديقاً مقرباً من إياها) - بالنيابة عنه، وبالفعل جاء «إليوت ريتشاردسون» إلى مكتبى في الأفراح في الساعة من مساء يوم أول أكتوبر، ومعه «تشيني»، وقدمه إلى «رامسفيلد» مستشاراً في البيت الأبيض، وكان «تشيني» هو الذي كتب محضر اللقاءات تلك اليوم، ولأخلفت تدخله في مجرى الحديث بأسئلة قام فيها بمقاطعة رئيسه (وكان «تشيني» هو الذي استعاد تذكر هذا اللقاء فيما بعد).

ومن إشارات «سكوكروف» (في حديثه مع «فيتزجيرالد» (يضاً) «بين أن «دونالد رامسفيلد» بنوره لا يحب «ديك تشيني»، فهو يعتبر نفسه الرجل الذي رشح «تشيني» كمستشار للبيت الأبيض وقت رئاسة «ريتشارد نيكسون»، وكان مرء وقتها أقل من ثلاثين سنة، لكن «ديك» عموماً يتألم «رامسفيلد» تصغيراً لهم «ريتشارد» شق طريقه بسرعة وظوق.

كذلك بين ضمن أسباب ضيق «رامسفيلد» أنه لا يستريح مع «عائلة» بوش، ويصف أنها قبلت به كارهة، لأن «جورج بوش» (الابن) «ضأ إليه» - «أن «رامسفيلد» اعترض على تعيينه مدبراً لوكانه للخبرات المركزية في زمن الرئيس «فورد»، وأنه قال لهزري كيسنجر (وزير الخارجية وقتها) وهو القلم يدور للرئيس «للعلم للرئيس «فورد»: «إن «جورج» (بوش الابن) لا يصلح مدبراً للمخابرات المركزية لأن شخصيته ضعيفة وليست لديه «مواصفات قائد رائع للمستوى»، ومع أن «بوش» (الابن) حصل على المنصب، فإنه لم ينس رامسفيلد رايه فيه.

فوق ذلك فإن «رامسفيلد» لا يحب «كونداليزا رايس»، يراها قريبة أكثر من اللازم من «كولين باول»، متعجلة أكثر من اللازم إلى فتح أبواب المكتب الضيق أمام وزير الخارجية حتى يوقى حق علاقته بالرئيس، وقد أضاف «رامسفيلد» - حين حضر «الجنرال «ماير» (رئيس أركان الحرب الحالي للوشيا الأمريكية) - بأنه يستطيع أن يرى التناقض بين «باول» و«رامسفيلد» (يقصد كونداليزا رايس)، ولم يزد «رامسفيلد» على ذلك، لكن الإشارة كانت واضحة إلى اثنين من الملوك في إدارة بيضاء - تجيء من أقصى اليمين في الجنوب الأمريكي.

على أي حال فإن «رامسفيلد» لم يستطع إقناع نفسه بأن «تشيني»



تشبثي، ليقول بعد عرض مفصل لرويته عن الأوضاع الحالية الزامته:

«الرئيس محق حق بقر بركة أن العدو لابد أن يكون هناك، وهو بالفعل هناك، متحلياً في الإرهاب العالمي الذي يبدو أن تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن مجرد سطح ظاهر له يخفي تحته جيلاً ضخماً غارلاً في ظلام البحر، والمضلة في مظارة الأرباب أنه «مركبة كبرى» ضد عدو مختبئ في كهوف الجبال المظلمة، له شبكة غامضة واسعة في كل قارات العالم، وهو يضرب مصالحنا كما فعل في قواعديها في السعودية (الخبر) - ضد قوتنا البحرية (الدمرة كول في ميذا عدن)، لم يخفي في الزحام، ومهما كان قران علينا أن نكسر عليه وأن ندمر بنيته الأساسية وتنظيماته وقياداته حيث تكون، وذلك جهد سوف يستغرق وقتاً وموارد، وفي ذات الوقت فإننا لا نستطيع أن نخفق في انتظار أن يوجه الأرباب ضربته التالية، ولذلك فإن أماننا على الفور مهمته:

«زيادة قوتنا الضاربة ونشرها بحيث نستطيع العمل بحزم وحسم في أي مكان.

«توحيد مصالحنا الحيوية في الشرق الأوسط (موارد البترول والواقع الاستراتيجي من حول عمليات إنتاجه (ونقله).

وتولت المداخلات وإعها ما ورد على لسان «كولين باول» وإفها قوله: «إن الشرق الأوسط هو المنطقة التي ينبغي أن نركز عليها، ووزارة الخارجية

بهذا الحجم لا تقدر أن تكون منافسا للولايات المتحدة، ومع كون هذه القوة تمكك ترسانة نووية وراثتها عن الاتحاد السوفييتي - إلا أنها غير قادرة على صيانتها.

وأما أوروبا فإن التنسيق معها ضروري، أخذاً في الاعتبار أن ذلك التنسيق لا يصبح انتظاره طويلاً، لأن أوروبا تترك في أعماقها أن مصالحها مع الولايات المتحدة، وهي مهما حاولت - باي قدر من الإغراء باق عنها - سوف «تجى» إلينا في النهاية.

وأما العالم العربي فإن النظم فيه مشغولة بأوضاعها، وإذا بقي لها شيء فوق هذا الشاغل، فإن إسرائيل كتيبة به. وإن قران السياسة الأمريكية لابد أن تنقل مواقع تركيزها إلى جهات أخرى تستطيع عليها إنبات وتكديس كل التناقض الذي تملكه الآن حتى تضمن السلام المستند إلى النصر الساحق الذي أحرزته (في الحرب الباردة)!

وعلق الرئيس «بوش» (الابن) طبياً للسلالات على كلام «رامسفيلد» بقوله: «الحقيقة أنني أزلت مختبراً، فعمدت كنت طالباً في الجامعة، وعندما كنت أعيش مع أبي في البيت الأبيض (نائباً للرئيس وولياما لولايت المتحدة) كنت أعرف أين نحن. كنت أعرف أننا «هنا» وأن الشيوعيين «هنا»، وأن بيئتنا وبينهم صراعاً، أي أنهم كانوا العدو.

وأما الآن فلدي إحساس بالاضمئاضم أعرف معه على وجه القطع من هو العدو؟ لكنني في أعماق شعوري (Gut Feeling) نوافق أن هناك أعداء لنا، وإن الأعداء «هنا» في مواقع ما «هنا»، ولكن أين بالضبط؟ هذه هي المعضلة.

وتمدخل نائب الرئيس «ريتشارد

«حمية نظمهم، فذلك ما يعينهم قبل غيره، ومع أنهم يسيرون إلى «الزهاب» وحده أسباب قلقهم كلها - فإن الولايات المتحدة تستطيع استغلال هذا القلق لكي تنفذ إلى قلب الأقليم متوجهة إلى مواقع البترول مباشرة، من تشجيع الوقي في «اليدرومات المظلمة الباردة والدامية» لنصارى العربى الإسرائيلي.

«وكان هناك أخيراً رأى يتزعمه «دونالد رامسفيلد» وزير الدفاع (يؤيده فيه نائبه «بول وولغويتز» ومدير التخطيط الاستراتيجي في وزارته «ريتشارد بيرل») - ملغسه أن الوقت مناسب لضربة مباشرة تستهدف العراق كمنهول لتسيطرة كاملة على البترول. لا تضيق وقتها لا مع قضايا مستعصية على الحل، ولا مع مخاوف نظم تهرب من ظلمها!

وكان لتقدير «رامسفيلد» أن العراق نشيط في توسيع دائرة التعاطف معه، بسبب فداحة مخازن الحصار على شعبه، وهذا التعاطف - وهو يتزايد - مما يصعب إهماله، والأفان موضوع العراق (بترول العراق) سوف يظل مفرحنا بطرفي ملتقى (Volant).

مضافاً إلى ذلك أن تصفية بقية الحساب مع العراق يفتح مداخل إلى تسوية الحسابات القديمة في إيران - وبهذا التصفية والتسوية للخصامات فإن شرباً أوسطاً جديداً يمكن أن يخرج من وراء الغمامات التي تغطي عليه الآن، خصوصاً إذا أمكن تكثيف للوجود العسكري الأمريكي في الخليج، ليقوم بعرض لقوة الثيران في منطقة لا تظهر غير لغة «الشوف»، رغم استغلالها في الكلام عن السلام».

تريد أن تتلقى توجيهها في شأن المفاوضات البجارية بين الحكومة الإسرائيلية وبين السلطة الفلسطينية، وهناك معلومات عن الوزارة ومن أصدقاء لنا في المنطقة تشير إلى أن «عرفات» تادم لأنه لم يقبل بالمشروع الذي عرضه عليه الرئيس «كلينتون» في كامب دايفيد، وهو على استعداد اليوم ليقبل ما رفضه بالإس، وربما تكون تلك فرصة لتهدئة الشعور العام في المنطقة، وهو شعور خطري في منطقة حساسة تخبط بعصبية، لأنها لا تعرف طريقها إلى العصر، ولأن نغصها مصاصرة بمطالب ملحة على ضرورة التغيير وأوله التمدد نحو درجة أرقى من المشاركة السياسية والإصلاح الدستوري والقانوني».

وتدخل الرئيس «جورج بوش» ليروى نقلاً عن والده: «إنه لا يثق على الإطلاق في «عرفات»، ويراه نموذجاً لتاجر سجاد صغير في سوق شرفي مزدهم، يعرض بضاعة موعداً لها ليست أصلية، ويسعى إلى صفقات يعجز سلفاً أن لا يدفع ثمنها.

ويروى «بوش» أيضاً عن العملية الانتخابية لأمم بزيارة الشرق الأوسط باعاً من إسرائيل، وكان «أرييل شارون» مضطرب ومرافقه في رحلات استطلاعية بالبلد هوكونتر إلى مواقع خطوط الصراع، وأثناء هذه الزيارة فإنه أراد أن يظهر درجة معولة من الحياد بين الفلسطينيين والإسرائيليين، بناءً على «كلينتون» - وكذلك فإن مساعديه الذين رافقوه في رحلتهم طلبوا موعداً له مع «ياس عرفات»، لكن «عرفات» لم يرد، ثم عرف «بوش» فيما بعد «أن عرفات تنص على الرد، ومائل لأنه ظن أن لقاءه معه (مع «بوش») سوف يخرج الإدارة القاسية وضيايق المرشح الديمقراطي «أل جيسرو» (وهو نائب الرئيس)، وذلك ما استغربه «بوش»، وكان كافياً لإقناعه أن «عرفات» - كما يرى والده بالضبط - مجرد «تاجر شرى محدود الأفق»!

وتظهر السجلات بعد ذلك مباشرة بين «ريتشارد تشبثي» و«دونالد رامسفيلد» في الدعوة إلى ضرورة ارتكاز السياسة الأمريكية في المرحلة القادمة على إسرائيل وعلى «أرييل شارون» بالتحديد. ويضيف «رامسفيلد» تعريفاً جديداً لاستعمال القوة يقول فيه: «إن تدخل أمريكا من الآن فصاعداً لا يصح أن تتحدد منطقت الأزمات، ولكن تتحدد كذلك الإمكانات المتوافرة لنا في مناطق الأزمات».

وتولت المناقشات واحتدمت الخلافات، وطبقاً لسجلات مجلس الأمن القومي الأمريكي في الاجتماع الثاني له (مارس ٢٠٠١) - وضمنها محاضر وتقاير وتوجيهات عمل (أرسلت إلى لجنة الأمن والدفاع في الكونجرس من قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١) - فإن «رامسفيلد» طلب الكلمة (وقصده في الخطاب أن يرد على تصريحات وزير الخارجية «كولين باول») - ليقول: «إنها مضيقية لفلوت أن تصرف جهنماً من قوى مستنفدة Spent Powers) مثل الروس، لكن الاتحاد السوفيتي (وهو الخصم السابق)، لم يبق منه إلا دولة صغيرة تتساوى حجم إنتاجها مع حجم إنتاج «هولندا»، وقوة



## رابعاً:

١١ سبتمبر ٢٠٠١

## وتابعه

بسرعة إلى واشنطن وإلى البيت الأبيض، وإذا به يتلقى اتصالاً هاتفياً من نائيه «ريتشارد تشيني» يرجو فيه أن لا يقترب من أجواء واشنطن، لأن طائرته مستهدفة بكمين إرهابي يترصد بها، وابتعدت الطائرة الرئاسية عن أجواء واشنطن، وقللت عشر ساعات شاردة وضاحية بين القواعد العسكرية والمطارات.

كل ذلك وأسرة «بوش» وفي المقدمة منها والذته «ديبار» يستعملون عودته إلى واشنطن، لأن مكانه هناك في المكتب البيضاوي وليس في غيره.

[وفي هذه اللحظات الصرجة راح رجال مثل «دونالد رامسفيلد» وغيره من أركان الإدارة يقولون - وبحيث تسمع أسرة «بوش» - أن «بوش تشيني» يريد أن يفلح «دوبيا» بعد عديداً عن مركز القرار ليتأكد الرأي العام أنه رئيس في الشكل وليس في الموضوع، لأن الموضوع كله في يد «ريتشارد تشيني»، والمفعل «شان تشيني» انتبه الفرصة ليتصرف فعلياً أمام أمريكا باعتباره الرئيس الحقيقي الموجود في البيت الأبيض، وعندما طلب الأسرة (على الأقل الأب والأم) من «دوبيا» أن يعود على عمل، وأن يضع نفسه لورا وسط الصورة].

وقد كان وفي وسط موقف شديد الحرج بالنسبة لأمريكا - كانت دساتن القصور تقرر على نائب الرئيس أن يبتعد عن الاقتلاع، وأن يتجنب الأضواء، وأن يخفى من مواقع النظر بحيث يخلو السرح لرجل واحد هو «دوبيا»، والحجة أن الرئيس وناييه في زمن حرب لا يصح أن يتواجد في نفس المكان.

كان البيت الأبيض يريد إقصاء واحداً يقف عند دخوله كل القواد يتفوق باسمه عندما يدخل، ويكررون أيضاً نفسه عند الخروج.



أكد على طول الولايات المتحدة وعرضها ومن خط الماء إلى خط الماء، كان الصوت والصدى اسم رجل غاضب يُشار إليه بالتراب والكرسي، كأنه من عوالم السحر - هو «ساميل بن لادن» الذي قيل أن أعوانه حضروا المغالوت خفية من جبال وكهوف أفغانستان - وانقضوا ثارا ودمارا فوق الأبراج العالية لا تولى إمبراطورية في التاريخ! ■

(الرحلة رقم ١٧٥) بالبحر الجنوبي ركز التجربة العالي، وكذلك أنجز البرج الثاني مركز التجارة العالمي. وفي الساعة ٩:٤٣ اصطدمت طائرة مختطفة إلى مطار بوسطن ذاتها تابعة لشركة الطيران الأمريكية المحددة (الرحلة رقم ٧٧) بمبنى وزارة الدفاع في واشنطن وعمدت وكنا منه واشعلت لهبا في ركن آخر يقع فيه مكتب وزير الدفاع نفسه.

وفي الساعة ١٠:٥٠ كانت أبراج مركز التجارة العالمي - برجان هما أهم معالم نيويورك عاصمة المال والثقافة والإعلام في الولايات المتحدة - يتهاون جحان انقراض، ورماد حريق يتساقط على الأرض.

● وفي مدينة «ساراسوتوا» (في فلوريدا) حيث كان الرئيس الأمريكي في زيارة قصيرة ظهر للناس وكأنه طائر جرى كاد يفرق تحت بقعة زيت تسربت من نافذة زيت أصابها الحبيب فتمطعت وتدفقت حولها تغطي خليج فلوريدا تنبئ بكارثة بيئية مريعة، وقال الرئيس دون أن يظهر لسماعه إنه استعد استعاجل أن يتواجد في نفس المكان.

كان البيت الأبيض يريد إقصاء واحداً يقف عند دخوله كل القواد يتفوق باسمه عندما يدخل، ويكررون أيضاً نفسه عند الخروج.

أكد على طول الولايات المتحدة وعرضها ومن خط الماء إلى خط الماء، كان الصوت والصدى اسم رجل غاضب يُشار إليه بالتراب والكرسي، كأنه من عوالم السحر - هو «ساميل بن لادن» الذي قيل أن أعوانه حضروا المغالوت خفية من جبال وكهوف أفغانستان - وانقضوا ثارا ودمارا فوق الأبراج العالية لا تولى إمبراطورية في التاريخ! ■

أكد على طول الولايات المتحدة وعرضها ومن خط الماء إلى خط الماء، كان الصوت والصدى اسم رجل غاضب يُشار إليه بالتراب والكرسي، كأنه من عوالم السحر - هو «ساميل بن لادن» الذي قيل أن أعوانه حضروا المغالوت خفية من جبال وكهوف أفغانستان - وانقضوا ثارا ودمارا فوق الأبراج العالية لا تولى إمبراطورية في التاريخ! ■

وكذلك أعلن رسمياً أن «جورج بوش» سوف يغيب في تكساس طوال شهر أغسطس حيث يقضي إجازة صيف يقضي وليست مسترخية، وتنشط وليست كسولة، ومشغولة بالاستقبال وليست مأخوذة بسماح هوس الريح أو ليمت الجرا.

وبينما كان الرأي العام الأمريكي والصافي في حيرة إزاء رئيس لم تعض عليه شعور في السلطة، ويريد الآن إجازة شهر كامل في مزرعته - كان الإجماع من البيت الأبيض أنه «غيب له ما بعده» - وما بعده سوف يكون حضوراً طافغيا

كانه وقوع المجد: ويوم ١١ سبتمبر بعد شهر كامل (أغسطس)، عاد الرئيس «بوش» من مزرعته في «تكساس» إلى مكتبه في البيت الأبيض، وبدا إلى سلسلة من اجتماعات مجلس الأمن القومي بقصد إجراء مراجعة كاملة لسعة شعور من إدارته، ولإعادة ضبط وتوجيه أكثر من ثلاث سنوات باقية من هذه الإدارة، وفي نفس الوقت استشراف فرصة مدة ثمانية الرئاسة (بحيث يصحح ما لحق بولارد الذي نخل التاريخ رئيس عدة واحدة (وهي مسمية تسمى إلى أي رئيس سابق، حواسه بعد الفاجدة: بنص الدستور).

وفجأة صباح يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ (بتوقيت شرق الولايات المتحدة) - وقعت الواقعة.

● في الساعة ٨:٤٥ اصطدمت طائرة مختطفة تابعة لشركة الخطوط الأمريكية (الرحلة رقم ١١ من بوسطن) بالبرج الشمالي مركز التجارة العالمي، ففقدت فيه قبوة ضخمة تحولت في لحظة إلى فوهة حريق.

● في الساعة ٩:٠٣ اصطدمت طائرة مختطفة ثانية من مطار بوسطن تابعة أيضا لشركة الخطوط الأمريكية المتحدة

■ كان واضحا طوال النصف الأول من سنة ٢٠٠١ أن الإدارة الجديدة تختبئ في سياساتها الداخلية والخارجية، وأن رئيسها لم يكن «مفتاحا في مكانه وفي زمانه»، وأن انقلاب إدارته شردها بعيدا عن البيت الأبيض، وأن كل واحد منهم يحاول أن يجعل من وزارته «محمية» له محرمة على غيره، وكان ذلك ظاهرا في وزارة الدفاع، وفي وزارة الخارجية، وفي وزارة الخزانة، وحتى في وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي.

وفي البيت الأبيض ذاته جبرت محاولة لإظهار «ريتشارد تشيني» نائب الرئيس، باعتباره الرجل الأول في الإدارة الجمهورية - رغم أنه في النظام الرسمي رجلها الثاني، ووقع بالفعل داخل كواليس السلطة أن أصحاب للمشروع الإمبراطوري اعتبروا عليا «دويتشارد تشيني» وجدهم، وأن القرار الناقد يستحسن أن يظل في يد ميع وجود رئيس أمريكي «مزالا عوده أخضر»، ولم تكن تلك بداية طيبة إزاء الرئيس حتى وإن كان عوده أخضر، وزاد عليها أن الإحصاء وسئل «تشيني» العليا وجد طريقة إلى وسائل الإعلام الأمريكية، وكان الصحفيون الأكثر رفا بالرئيس هم الذين راوا أنها إدارة «بوش تشيني» - كلمة واحدة وليست كلمتين إشارة إلى أن الرئاسة هذه ليرة شركة بين الرئيس وناييه: أحدهما لنيه اللقب والثاني لديه الصلاحية.

ومع شهور الصيف راح عدد من المستشارين المقربين من الرئيس الجديد ولهم «أندرو سكارده» (رئيس هيئة مستشاري البيت الأبيض)، و«كارلين روفي» (القوى مستشارية)، و«كارلين ميوز» (مستشارة علاقات العامة) - يبدون انزعاجهم من أن صورة الرئيس «مزهوذة» أمام الرأي العام في الداخل وفي الخارج أيضا، وتوصيهم أن «جورج بوش» (الابن) يحتاج للمرة الثانية إلى ولادة جديدة (سياسية هذه المرة وليست لاجتماعية)، واقتراحهم أن يكون هناك فاصل زمني، أي إجازة يبتعد فيها الرئيس عن الساحة ثم يعود إليها «رتاسيا بحق وحقائق».

وكان التخطيط أن يُقال ويُدَّعى ويُشر الرئيس الجديد سوف يترك واشنطن لشهر على الأقل يلزم فيه مزرعته (كراوفورد) في تكساس ومعها دراسات وتقارير وأوراق يعكف على دراستها، وسوف يعود من هناك ومعها برنامج عمل يحدد طاقات الإدارة ويحدد موهابها ويحدد كلمتها ويحدد مهامها دون التماس في جدول أعمالها أو حول مصدر القرار فيها.





# من أحرق

# بغداد

# ؟

هل يدرك  
العالم كم كان  
بغداد بحق حضارة  
مستنقبة عندما سمع  
بموت جريدة نهب وسلب  
التي كانت الوطني العراقي  
دين أي زده فعل سوى الكلام  
كثيرين جيبوا القاري  
الأمريكي الشيوعية وآخرين  
الهموم بالمشاركة ضمتها أو  
فعلها وفي العاليتين ثباتي  
الجميع على أطلال متجذرة  
جسده صورة زاهية لأحدى  
أهم حضارات العالم القديم  
في ملف متكامل تقدم  
روايات نظرية ومعد  
تعليل... وأسي هول



# من أحرق بغداد؟ التراث.. الذاكرة.. التواريخ

## طالب الفيدادى



القريبة من الكوفة الإسلامية التي كانت تسمى حينذاك بكوفى الأبرية عاصمة لهم بعصرها الشهيرة السدير والخوريق. ومن هذه المدينة انطلق الحرف العربي بغطه الكوفي إلى الجبال لينشر هناك على يد أمية بن عبد شمس وبشر بن

ثم جاءت الحضارة الإسلامية لتؤسس أعظم مدينتين هما الكوفة والبصرة وتأسس فيها الفكر الإسلامي، وتطورت فيها علوم الدين والفلسفة ووضعت فيها مبادئ النحو والبلاغة لتكون أساساً لمبادئ التفسير وأصول الفقه وبقية العلوم التي تطورت بعدئذ

في مدينة بغداد التي تأسست عام ١٤٥ هـ هجرية لتصبح منابر البشرية ومركز العالم في الفكر والحضارة والتعلم. وأصبح على يد العباسيين المركز العلمي الذي تطورت فيه كل العلوم الإنسانية عصرية منها والأدبية والفلسفية في نفس الوقت، فكان الكندي

وإبن سينا وإبن حيان وإبن الهيثم وإبن النقيس والفارابي والغزالي وغيرهم. ولا يمكن أن هذا المجال سرد ما يحتويه المتحف من نوازل خصوصاً إذا ما تطرقنا إلى ما تحويه المخازن التي كسرت ونهبت. فقد تم التحرق الذي شرايع المجتمع الإنساني وهي المساءة بشرايع

أدبيته، وهي كسبت بالهشور الفلور بعد أن عثر عليها المتكلمون الفرسيون في مدينة سوسة في إيران. وإلى جانب هذه الشرايع هناك العديد الكبير من الرقم العتيقة المكتوبة بخط

المسامير وبمختلف الأحجام. وتضم عسوداً ورسائل ومواثيق وحصائد ودراسات وبعضها في علم الفلك والنجوم وبعضها في سفل وحاولت دياضية. وقد حاول السومريون ومن بعدهم الأكديون والبابليون أن يوفقوا كل شيء في حياتهم فنجحوا في التكاليف المكية

والدينية ملية التكاليف المسامير سواء على قواعدها أو على ظهورها. وأستطيع القول أن كل معركة خاضها ملوك المدن السومرية الأكدي والبابلية قد وثقت بالصور والرموز والكتابة المسامير.



المعلومات عن بعض المؤسسات الثقافية التي راحت ضحية على مذبح الإنسانية والحضارة.



### ١. المتحف العراقي

أقيم في أعوام الثلاثينيات والفتح عام ١٩٣٧. أسسه المرحوم العلامة ساطع الحصري وشراك في تطويره الدكتور ناجي الأصيل الذي ترك الذاكرة لم السلك الديموقراطي ليتفرغ لهذه المهمة الثقافية وساعده جمهور من الباحثين والأعلام العراقيين أمثال فرج صمعة جى - وفؤاد سفر - وكوركيس عواد - وناصر الفخيزي... وغيرهم. يضم المتحف أهم الآثار والكفوز المكتشفة من الحضارات القديمة التي مرت على العراق منها العراقية الأصلية كالحضارة السومرية والأكدي والبابلية والآشورية ومنها ما اتصلت بحضارات قامت في مناطق أخرى ثم اتخذت العراق كمركز لها كالحضارة

الفارسية واليونانية على عهد الإسكندر المقدوني الذي اتخذ بابل عاصمة له والساسانية التي بنت المدائن عاصمة لها والتي لا تزال قصور الكاسرة شاهدة إلى اليوم ومنها حضارة العربية ما قبل الإسلام (الأنباط) التي أسست مدينة الحضر العظيمة عاصمة لها ثم للروك العرب للأنطرة التي أسسوا الحيرة

نداءاتها شكلاً من الاعتراف بشرعية الاحتلال حيث إنها وجدت أن حماية البنى الثقافية هي مهمة أنية ملحة وواجب تاريخي لا يخضع لعناصر القرار السياسي أو المرحلي. رفضت تلك القيادات المختلفة هذه النداءات ورفضت بإصرار تطبيق ما نصت عليه معاهدة جنيف الرابعة التي تلزم قوات الاحتلال بعلاء الأمان وممارسة مسئوليتها في نشر الأمن والنظام والطمأنينة والحفاظ على الممتلكات العامة والخاصة وعلى أرواح المواطنين.

وكانت الاختراقات والمكشبات والجامعات والمختبرات ومراكز للتوثيق أكثر ما استهدفت تلك الزمر والعصابات العابدة. وقامت بعد نهبتها وتدمير ما تركته بحرق تلك المؤسسات وبيعت الثيران واستنسختها لتتجه للمباني وما تحويه دون وجود أية محاولة حتى لأطفالها وتكليل مخاظرها من قبل الحاشية التي بقيت وإلى الآن تتفرج من قريب على شكل هذه الكارثة المأساوية ولكنها تلتذذ مخططاً مرسوماً لها تنفيذاً دقيقاً يصل حتى التفاصيل الصغيرة.

وقد ألبست مشاهد هذه الكارثة أن هناك تركيزاً موجهاً على نهب وتدمير المؤسسات التاريخية والثقافية واستمر هذا الدمار والخراب حتى بعد وقف القتال ولا يزال مستمراً دون أية محاولة لوقفه أو حتى تصحيجه.

وبالرغم من تقدم وجود الأرقام والمعلومات والمعطيات حالياً بما يتبقى بما قد كُتبت استطيع أن أقدم بعض

■ ■ ■ من المتحف الوطني إلى مكتبة بغداد. ودار المخطوطات والفنون، أمضيت أكثر من ٦ عقود أشم رائحة الزمن والتاريخ وقلوب بخضرة لمطالع النماية فوق جدران أزقة بغداد القديمة التي تحمل بين جدرانها تركم حضارة تمتد مع الحروف

الهائلة من ألف إلى آية. وما زالت ذائرة تلك الأيام الخوالي تجرى في شرايعي. تعيش معي كأنما حدثت بالأسم وليس قبل سنوات طويلة في هذه المكتبة... رأيت للمرة الأولى نازك الملائكة وهي تتالع أحد الكتب وتعرفت فيها على يدر شاكر السياب وكانت

فرحتي الكبرى عندما رأيت وجه الجاهري وأنا وبعد أن اكتشفت هذه المؤسسات الثقافية بحرق الكثيرين أكثر استهدفت مساحي وتاريخ العراق وحاضره. لا أملاك سوى تنشيط ذاكرتي الزمنية صلاً أن أبعث الروح من خلال الكتابة. في ثراث لم يكن فقط ملكاً للعراق أو الأمة العربية بل العالم أجمع لعلمي

أصبح في النهاية جسراً فضلياً يساهم ولو قليلاً في إعادة ما ضاع أو فطرت دم صغيرة تجدد الروح ليما أحتضر.



بعد أن نكثت الولايات المتحدة وبريطانيا احتلالها للعراق وبعد أن تهاوى النظام وسقطت جميع مؤسساته وقع العراق في فراغ أمني وسياسي قامت بمحاولة ملته مصائب الفصول التي عرفها الشعب طوال عشرين من الزمن قبل وقوع الحرب العدوانية، وهذه المصائب وقوع من إفرازات النظام نفسه وقد حوِّلت كل نتائج الحرب ولو مؤقتاً لصالح أعمال النهب والسلب والحرق والتدمير والاغصصاب ضد كل البنى التحتية خصوصاً ضد البنى الثقافية والاجتماعية التي هي ملك للمجتمع بأسره بل ملك الإنسانية بأكملها. ولم تلم القوات الغازية المحتلة بحماية البنى والممتلكات القديمة من موقها العام بالمتصل من حماية حتى أمن المواطنين والممتلكات العامة والخاصة. ورفضت قيادتها بإصرار النداءات التي وجهت إليها من مختلف الأطراف والمؤسسات والمنظمات الدولية وحتى الوطنية التي رأت أن في



يضم المتحف أهم الآثار والكفوز المكتشفة من الحضارات القديمة التي مرت على العراق منها العراقية الأصلية كالحضارة السومرية والأكدي والبابلية والآشورية ومنها ما اتصلت بحضارات قامت في مناطق أخرى ثم اتخذت العراق كمركز لها كالحضارة الفارسية واليونانية





الإسلامية، أبدي لي من الاهتمام ما ساعدني على إكمال البحث والمقال في جمعية الخطاطين العراقيين ثم تم نشره المعماريين العراقيين بإشراف الأستاذ المعمارية وجدان نعمان ملهر.



٢٠ دار الوثائق العراقية

نشأت في أجواء السعفيات، وقد قامت وزارة الثقافة والإرشاد بتأسيسها بإشراف وجهات الاستاذ العلامة سالم الأوسى الذي فقدت زوجته الأثرية السيدة مهتاب البكري ذراعها أثناء مهمة تنقيب في جبال ترميز في شرقي العراق، وبقيت تمارس عملها عقوداً عديدة في التنقيب والبحث بذراع واحدة حتى تقاعدها.

وقد ضمت هذه الدار من تهيأ من جع من وثائق رسمية وغير رسمية منذ تأسيس العراق الحديث عام ١٨٧٠ على يد الصلح العثماني-محدث باشا، وترأست في هذه الدار ووثائق العهد العثماني في العراق ووثائق مرحلة ما قبل الحرب الأولى والحرب نفسها ما ووثائق الاحتلال البريطاني وما تبعه من حرب الجهاد الأولى التي هبات لها لثاوي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وفي الكاظمية وبغداد وسامراء ووثائق مقاومة العراقيين للاحتلال. وكذلك ووثائق ثورة الفتيحة الإسلامية عام ١٩١٨ التي قادها العلامة محمد جواد الأنجلاري الذي نفي مع مجموعة من العلماء الذين أقر القضاء عليها إلى جزيرة منجناج وبعد أن قامت سلطات الاحتلال بإعدام القادة الذين أعلنوا لها اطال الشهيد كاظم صبي مدينة النجف، وفي مدينة النجف، وفي مدينة بغداد والنجف وكربلاء والدين الأشرف، واشتعلت على خطب وبيانات قيادة الثورة والمشتريين فيها إلى جانب وثائق الاتفاقات بين الشخصيات العراقية حول مقاومة الاحتلال وتحقيق أهداف الشعب في الاستقلال والحرية ووثائق مؤتمر كربلاء ومؤتمر الحريضة في بغداد، وكذلك الوثائق التي تؤرخ لمفاوضات العراقيين مع الإنجليز وعلاقاتها بقيادة الثورة العربية سواء في المنجناج أو في سوريا ومصر ووثائق الكثير الأخرى المتعلقة بحكم الدار البريطاني ثم الاستقلال. وقد استطاعت الدار أن تحصل

أشهر الخطاطين أمثال مير علي التقيزدي الذي وضع قواعد خط نستعليق وعماد الدين الحسيني والشيرازي وحافظ عثمان ومصطفى وأقام والسلطان محمود خان وأمه من خاتم والذان كتبوا بخط الثلث البسمله وكلمة لفظ الجلالة وكل هذه المخطوطات من الكتاب الكريم ومن الرق واللوحات مزخرفة ومذهبة ويمكن القول إن دار المخطوطات العراقية قد جمعت خطوطاً لجميع جهات الخط العربي بدءاً من الإمام علي بن أبي طالب، إلى هاشم القيسري البغدادي.

وتحتوى الدار على عشرات الألوف من المخطوطات الأصلية لأفصح الكتّاب والموسوعات الإسلامية والوثائق الأثرية والفلاسفة والعلماء منها الحلقة والطبوعة ومنها عدد كبير لم يتم تحقيقها في الآن. ولم تكن الدار بحفظ المخطوطات إنما قامت بتصورها بالأفلام المصورة لتكون في خدمة الباحثين والمحققين ومد يد المساعدة لهم في تحقيق أي بحث. وكان الأستاذ التقنيدي يعطي من وقته وخبرته بشكل مطلق لدعم ومساندة أي باحث ومحقق. وقد كانت لي تجربة شخصية في هذا الضمار حيث حصلت على مخطوطة كسان في وقت ما من مجموعة آل التوحي في الأعظمية بعنوان «الغالب الأصيل» في حياة الإمام علي حجة الإسلام، وحينما أقرت الشرع بعدما تأكدت من أهمية هذا الكتاب وما يعطيه من معلومات ومعطيات جديدة في تفصيله راجعت الأستاذ التقنيدي شخصياً فلهجرت بيبي لي كل ما أحتاجه من مصادر أصيلة مخطوطة تتعلق بحياة الإمام الأعظم وأبدي لي كل الحماس وكله هو الذي يقوم بتحقيقه ولحقت منه.

كانت دار المخطوطات مفتوحة أبوابها لجميع المهتمين وتشكلت لجنة واحدة من اللجان الأربعة بزمها الباحثون وتدور فيمابينهم المناقشات وإبداء الآراء السيدة التي تساهم فعلاً في تطوير المعرفة. وفي مناسبة أخرى فهد الأستاذ التقنيدي لثاء كتابتي لبحث في حول «الخط العربي، الانتكبات

وإذا ما تحدثنا عن النقود الإسلامية فقد تم ضم متحف السكوكات الذي أسسته دائرة الآثار بإشراف المرحوم ناصر التقنيدي، والمجموعة العراقية تعتبر أهم مجموعة في هذا المجال فهي جانب مجموعة المتحف المذكور يضم المتحف العراقي مجموعة عبدالله شكر العراق، ومجموعات أخرى القتها للمتحف عن طريق الاكتشافات الأثرية والاقتناء المباشر من المواطنين عن طريق الشراء أو قبول الهدايا والتبرع. وتحتوي المجموعة السكوكات منها عدد معين من عملة الخليفة عبدالله بن مروان التي سكنت عام ٧٧ هجرية.



٢٠ دار المخطوطات

وقد أسستها دائرة الآثار بإشراف الأستاذ الخبير أسامة التقنيدي والذي أفضى كل سنوات عمره في الإشراف على تطويره. ونتيجة لجهوده فقد أصبح أكبر وأهم دار المخطوطات العراقية والإسلامية في العالم. فبالإضافة إلى المخطوطات التي كانت تحتفظ بها مكتبة المتحف قامت دار المخطوطات باستحداث آلاف الكتب والوثائق واللوحات المخطوطة (ما عن طريق الشراء المباشر من المواطنين أو وضع مكتسبات ومجموعات مهمة كمجموعات الحامي عباس الفزوي ومجموعات بعض علماء الدين. وقد قامت الدار بإجراء مسح عام وفق خبرتها وخبرة المشرفين عليها للمخطوطات المتوفرة في العراق.

تحتوى دار المخطوطات على عدد كبير جداً من نسخ القرآن الكريم بخط أشهر الخطاطين أمثال ابن مقله الوزير العباسي الذي وضع قواعد خط الثلث والنسخ وابن البواب وياقوت المستعصي وحمد الله الأماسي، وهناك عدد كبير من الرق الخطية واللوحات عدد كبير من

أما فيما يتعلق بالأشوريين الذين كتبوا ورسوا على الصخر والمزهرمر من طورا من خلال مساهرة في المتحف العراقي أو في مواقع الآثار في ترمود ونيوي وخرسيدان في الفتحة والتقسيم بالخدش، فإلى جانب التيران المجدحة الملكية بالكتابات والرسوم هناك اللوحات الكبيرة الضخمة التي تروى سريان المعارك وحفلات الصيد التي كان الملوك يقومون بها، وأهمها لوحات السبي اليهودي ويقال أنها أختلت بيوم واحد قبل النهب والسلب وقد تم العثور على المكتبة الملكية لأشور بانيبال التي تضم عشرات الألوف من اللوحات والرقع التي تعود تاريخاً من سبهم ولذاهم وطلوعهم وأساليب حياتهم. وما ملحمة جلجامش الشهيرة إلا واحدة من الأدبيات الأشورية التي تعيد ما كتبه المسمريون في تاريخهم من طريق للملاحم والعصص والسرور الشعرى. وقد درسنا النصوص نجد فيها فكرة متنافسة ومغيا يرى إلى مستوى الفلسفة في التفرقة إلى المسائل الأكثر تعقيداً في مواجهة الإنسان وصراعه في مفادلات ومفاهيم ليس من السهل الربط بينها. وفي الموسيقى يضم المتحف للقيادة السومرية التي تعد أول قيادة بالمعنى المتطور للموسيقى، وقد صنفت بشكل علمي رائع ووثقت بالذهب والفضة والصور ولا ننسى الألاف من الأختام الدائرية المصنوعة من أغلى الأحجار الكريمة وشبهه الكريمية والتي نحتت بأجمل الصور والكتابات. وإذا ما انتقلنا إلى العصور الوسيطة قبل الإسلام فإن أهم ما في المتحف تماثيل ملوك الأنباط كالكلك سلطون والمملك نصر والموقفة بالكتابة الأرامية وغيرهم إلى جانب الفناج المعمارية الهائلة لتلك الحضارة إضافة إلى العديد من الأولى المكتوبة وغيرها من التي توثق تاريخهم وسيرتهم بالإضافة إلى الآثار الماسينية والفارسية الزخامة الجمال وبمختلف المواد كالتنقب والفضة والأحجار القيمة. وإذا ما انتقلنا إلى العصور الإسلامية التي تخرج بما أنتجت فنون الإسلامى المتشعشع في كثير من المتاحف والمجموعات في العالم فإن أهم ما يحويه المتحف العراقي من هذه الفنون الآثار التي تختص بمرحلة (مدرسة) سامراء التي شهدت تطلعات مهمة في المعاصر والفرن الإسلامية. وهناك شواهد مادية رائعة من فنون الأجر والسيراميك والخشب ما يثير وجوده حالياً. وباتفاق هذه الشواهد يكون الفن الإسلامي قد قد كبرية تاريخية حساسة، أما المنجز الفصافي فيعتبر أجمل وأهم منجز إسلامي في جميع مقتنيات المتاحف الإسلامية منها الخاصة والعامة الشاملة.



على جميع والشرق للسلطان الملكي التي تضمّن أسرار العلاقة بين البلاط والمندوب السامي البريطاني ومراسلات وزارة المستعمرات المختصة بالعراق وأسرار تأليف الوزارات العراقية وتشكيل البرلمانات المتلاحقة وعقد المعاهدة مع بريطانيا.

لقد كانت لدى متحفها يوتي كل ما يتعلق بتاريخ العراق المعاصر على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومؤسسات الإعلام وصحف والبراسات الخفية في المجتمع العراقي. وكانت الوثائق محفوظة بشكل مرتب، ومنظم ومصورة بالأفلام الصغيرة بحيث يسهل على المؤرخين والباحثين وطلبة الدراسات العليا الاشراف بها والاستفادة منها كصغار اولية اصيلة. وكانت فعلاً واحدة من الأسباب للانشاء للظهور لعبد الكبير من الكتب ومن اطروحات الدكتوراة ورسائل الماجستير التي كشفت جوانب كثيرة من حياة شخصيات الأحزاب السياسية التي برزت خلال شائبة عقود مرت على استئصال العراق وتأسيس حكمه ونفخته.



## ٤ مكتبة المتحف

انشأتها دائرة الآثار بعد تأسيس المتحف العراقي بإشراف الباحث والمؤرخ المرحوم الأستاذ كوركيس عواد. وضعت الأول من الكتب المكتوبة، وكانت هذه المكتبة تستقبل من حين لآخر المكتبات الخاصة التي يتبرع بها أصحابها من الطلبة والعلماء سواء قبل وفاتهم وإثر وصيتهم لورثتهم بإهداء مكتباتهم إلى مكتبة المتحف.

تضم هذه المكتبة موسوعات متنوعة في التاريخ والآداب والعلوم وتزخر بالكتب الثمينة خصوصاً تلك النادرة منها. وقد استعنت شخصياً بمصادر لها ثغرات تاريخية لبحوث عديدة اذكر منها بحثاً حول «الوثائق السليمانية في ملحة جلجاش» وحول «طبيعة الفن الاستشراقي» و«الدور السياسي لهذا الفن». وكذلك بحثاً عن الربط بين محلات وأحياء بغداد العباسية وبغداد المعاصرة.

وقد كانت هذه المكتبة في مراحل عديدة نوة لكبار المؤرخين العراقيين يؤمنونها ويجمعون فيها. وظلما دارت حوارات عديدة فيها. وتذكر من هؤلاء المؤرخين العلامة الكبير المؤرخ المرحوم الدكتور مصطفى جواد الذي أصدر كتاباً عديدة أهمها دليل خارطة بغداد، الذي كتبه بالاشتراك مع العلامة المرحوم الدكتور أحمد سوسة وكذلك الأستاذ

الحسامي عباس العزاوي الذي كتب «تاريخ العراق بين احتلالين» و«بازرته الفدائية». وكتاب «القبائل العراقية». وكتاب «النفوذ الإسلامية». وهذا الكتب الثلاثة تعتبر في الحقيقة موسوعات مهمة في مواضيعها المطروحة. ولا ننسى منهم العلامة محمد بهجت الأتري والأب يوسف غنيمه الذي قد انقبت الاصيل والمهم الموسوم بـ«مقدمة للشعاق في تاريخ يهود العراق». وقد التقيت شخصياً في هذه المكتبة في فترة المرحلة الأولى من بده اعتمادي ويحيى بالاستاذ مصطفى جواد وكنت حينها ابحث عن هوية قبر وجنته في إحدى غرف وزارة المعارف القديمة على نهر دجلة. وكان هذا القبر في غرفة متعزلة ومغلقة بغطاء أخضر اللون. فسلكته إن كان يرشدني على صاحب هذا القبر - فكان جوابه السريع القوي بمثابة محاضرة قيمة غيرت في نتائجها بعض القناعات السائدة حينئذ عن قبور ومدافن شخصيات إسلامية. حيث يعتقد - رحمه الله - أن القبر هو للشهيد عمر السهروردي والمعروف بقبره في مكان آخر بعيد عنه في شراي بغداد داخل مسجد كبير يعرف باسمه. والعلامة مصطفى جواد هو الذي وجد أن المنارة المخرطية الإلمانية الخاصة على قبر السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد في غربي بغداد أن القبر والمنارة لا يعودان إلى السيدة زمرودة خاتون وأن قبر السيدة زبيدة الرشيد يقع في مكان آخر من بغداد حيث إنها نجت إلى جوار الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق في مقبرة كربلاء والتي تطورت وتسمى حالياً بمدينة الفاطمية، وقبر السيدة زبيدة في الحقيقة يقع حالياً ضمن الجامع الصلوي الكبير الذي أسسه إسماعيل باشا الصلوي أثناء احتلاله لبغداد. وقد قام المرحوم الأستاذ مصطفى جواد بتوثيق وتوثيق الأبنية الخالية لقبور الإمامين الكاظم والجواد. والإمام أبي يوسف (القاضي) والإمام الأعظم أبي حنيفة التميمي بن ثابت وغيرها من قبور العلماء والأئمة كـ«محمود الكرخي ومنصور الحلاج» والشيخ عبدالقادر الكيلاني والشيخ جنيد البغدادي والوكلاء الأربعة للإمام المهدي.

وقد سألته يوماً ما في مكتبة المتحف عن قبر الإمام أحمد بن حنبل الذي مات ودفن في بغداد وليس له قبر معروف، فأجابني بأنه يقع في وسط نهر دجلة حيث إن تغيير اتجاه المياه قد ألهم مكان دفنه في الجزء الواقع بين الكاظمية والعتبات أي أن قبره يتوسط قبور الكاظمية من جهة والإمام أبي حنيفة.

تلك هي أهم الذكريات التي في مكتبة المتحف وليس لي إلا أن ادعو بالرحمة على أرواح هؤلاء المؤرخين وللباحثين.

المرحوم كوركيس عواد ترفرف وتحوم  
حول الأيادي للجرمة التي عبثت وأضرمت  
قنار فيها.



٥. المكتبة الوطنية،

كانت تسمى سابقاً بالكنية لعامة  
التي تقع في منطقة باب المعظم وتشغل  
منذ تأسيسها في الثلاثينيات مبنى جديلاً  
من الأجر تغطيه قبة كبيرة آتية بقبة  
جامعة القاهرة، وقد تساقطت أعمال الهدم  
وتخريب العمراني عام ١٩٦٠ لتأخذ  
مكاناً متواضعاً في شارع الزهاوي شعلي  
بغداد إلى أن انتهت بنيتها الجدية  
فلانته بها في باب المعظم مقابل الجدة  
القديمة التي شيدتها في ذلك الزمان.

كانت هذه المكتبة هي الخزانة لأكبر إرثياتنا من قديتنا جازت طعنا في الدلائل القوية ثم في الجامعة حيث كانت تلك المناسبات التي نأخذ من كتبها نراجع أجيالنا ونبحث فيها ونسلفها بجدانية أجيالهم. كان المرحوم الأستاذ السيد جاسم والرحوم المرحوم السيد عبدالمجيد العلوي اللذين يعلما عليهما هذا السبق في تولدوا في بغداد لعلنا نأخذ من كتبهم بل يروح للسياحة والدراسة في الأرباب الذين كان السيد جاسم كل جملة في خدمة هذا المكتب ولبحث في كتبها. كان يعتبر كل كتاب من كتبها التي لا تصحى ولا يد من أولاد. والملازم المذكور مجلس أئمة في بغداد في سنة ١٩٤٠ م. أصبح وأخذ من ألبان في بغداد، في سنة ١٩٤١ م. كتب في الألبان والذين ولعلنا والغائبين. وكان رحمه الله - يعيش وكان في مجلسه المكتبة أو مكتبة عثمان يتحدث فيها وعن أهم ما في القصة من كتب من عدة مئات.

وأمام بناية المكتبة تم وضع نصب كبير من النحاس الأحمر لشاعر العراق ولعرب علي مر العصور أبي طليب للتبني الخالد الذكر وقد صنعته وتحتته أنشأ الفنان الكبير محمد غني حكمت. لكن هذا التمثيل رُفع أخيراً من مكانه ليُنصب أمام البناية الجديدة لتأدي الضباط في

مجلد في التخصصية في شتلى بغداد.  
لقد ادت هذه الكلية دوراً رئيسياً في  
البناء الثقافي المعاصر، وساهمت بحقق  
في خلق خبر من التخصصات الأدبية  
والفكرية المعروفة التي تقع في قلب بغداد  
في شارع الرشيد (جادة خليل باشا) ولم  
تكن بعيدة خلال عهدها عن عدد من أهم  
الكتليات، فكانت يفتتقها خلق أصام كلية  
الطب والصيدلة وقمع خلفها كلية الآداب  
والعلوم وكلية الهندسة والتربية  
(دار المعلمين العالية) وكلية التجارة  
والاقتصاد وكلية الهندسة، وليست كلية

جميع كليات الطب منها والطبية والاقتصادية والإنسانية. وفي نفس الوقت كانت تساعد الأساتذة في استيراد الكتب والموسوعات بالتمانها الأصلية وتنسقيها بها بما يتناسب وبسهولة، فكان الأستاذ يزودون مكتباتهم كشخصية بما يستجد من إصدارات في مجال اختصاصاتهم وفيما يتعلق بذلك إلى مواضيع عامة.

وطيلة عمرى التدرىسى فى جامعه بغداد كتبت اربعاديا بشكل يومى مرجع وحيثما اوتى قاطان من الطلاب للوعى بالبحوث، وكنت تقييها حول بحث من البحوث، وكنت تقييها الاستاذة الاخرين بعدى للطالبه المصلى الموجوده على طاقه البحث وشجيعهم فى ابحاثهم، وكانت هذه للتعبية للبحا العلمى ارياتيها، والدراسات العلميه جميعها، فى وقتها كانوا يارسون البحث ويتشوقون من المصادر ويؤمنون بتحرير ابحاثهم وسلاطهم، كتبت التكمليه فى وقتها بنسبه من تلك الاطروحات حيث كانت شروط مناقشتها تفرز الطالبه بإبداع بنسبه من اطروحه او الرساله حتى قبل مناقشتها الى حد المكنه.

وقد استطعت شخصياً أن أحقق خلفاً من خلالها طالما تعنيته وهو أن أتمكن من اقتناء نسخة من موسوعة «البحر تانيكا» الإنجليزية وأخرى من موسوعة «الاروس» الفرنسية. وقد استوردتهما لحسابي ودفعت ثمنهما بالأساط شهرية بسيطة علم مدى سنتين ونصف.



٧. مرکز صدام للفتون:

تأسس كاستمرار وتوسيع للمتحف الوطني للفن الحديث. ويقوم هذا المركز في بناء حديث جميل وضخم في قلب الجانب الغربي في بغداد (الكرخ القديمة) ليس بعيداً عن دار المخطوطات ودار الوثائق. وقد أحق به متحف الفنانين الرواد ونقلت جميع أعمال



أمام بناية المكتبة تم وضع  
نصب كبير من النحاس الأحمر  
لشاعر العراق والحرب على  
العصر وأبي الطيب المتنبي  
الخالد الذكر وقد صنعته  
وتحتها أنامل الفنان الكبير  
محمد ضني حكمت



ولوحات هؤلاء الفنانين إليه يضمه من التصريح بحرية في قاعاته الكبيرة - صرحته الألاف من الأعمال الرائعة لكل الفنانين العربانيين المعروفين منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى اليوم. فتجد فيه لوحات عبد القادر الرسام الذي بدأت لوحاته تروى منذ ذلك التاريخ وتقتني أحد أهم النجوم - فهناك بعض الرسوم زخرفية إلى عام ١٣٠٠ هجرية أي في عام ١٨٨١ ميلادية ولوحات عاصم حافظ والصاحب وليد الفنانين جويا سليم وسعاد سليم ونزار سليم ومزيهه سليم ولوحات محمود سامي ولد الفنان الكبير وعبد صبرى ولوحات الفنانين أكرم شرقي وقاسم ناجي وفرج عبود ومصالح زكي وغيرهم إلى جانب لوحات فنان العراق القديم ومنحوتاته جودتة سليم والفنان ذي الشهرة العالمية فائق حسن وحافظ الدروبي والشرف الموصلي الكبير نجيب لويس آل شريف بك وعصمد الفنانين اسماعيل الشفيشي والكتوش خالداً اسماعيل وزير صالح ونوري الراوي بالإضافة إلى لوحات منحة عمر وسعاد الطنطاوي وليلى الطعاطي التي نقلتها صابرة الصخر عام ١٩٩٦. ويؤرخ المصالح بإعمال فنانين كبار ومتعددين أعطوا في ذلك الحق كل قدراتهم وعواطفهم فهناك خالد الرحال ومحمد شني وسماعيل مفتاح وهداه كاظم والكتوش علاء بشير وبرنار هيدس وغيرهم.

أما الفنانون الخاصاصون فـإن وجهاتهم وأعمالهم يتركز بها المركز وتلك من خلفياتهم أسماءه الكبرى ولكن بدوب ورائع الناصري، وعليه طالب وضياء العزاوي ومحمود صبرى والرحوم أرواح صلاح جود وساموهد أحمد ومحمد مهدي الدين ومحمد المختار ومورس حسام وغيرهم الفنيين بالإضافة إلى أعمال الشباب المبدعين وإلى جانب ذلك تجد أعمال الفنانين المختلفين والذين هم جزء من خزانة فنانين وأشهر وسامراء وبغداد، منهم من أبطن ومنهم من لايزال يدسأحة فنان باطنين وألوان وأشكال، والتشكيل، كذلك منهم السعدي وسعد شاكر وماهر السامرائي وعبدلأزوي وعزايي السعدي توفيق وأخرون.

يقوم المركز إلى كونه متحفا ومعرضا للأعمال القديمة والحديثة المختلفة برعاية الفن التشكيلي وحركته في العراق وهو المسؤول عن تنظيم أمور الفنانين التشكيليين ويخطم في الوقت ذاته محاضرات ومؤتمرات وندوات مستمرة ومعارض داخل العراق وخارجه إلى جانب نشاطاته الأخرى في إقامة دورات تعلم وتطوير الفن التشكيلي.

ومن أهم أعمال الرعاية التي يقوم بها المركز توثيق أعمال الفنانين المتوفين من قبل لجنة خاصة حفاظاً على أصالة الفن التشكيلي ومنعاً للتزوير والتزييف



اللذين تتعرض لهما أعمال الرءاء ولطالما  
اكتشف مثل هذه المحاولات وقام بفضحها  
وتعميرة القائلين بها مما يجعل ساحه  
الفن التشكيلي في العراق ساحه ثقيه  
ومعده.

إن هذا التدمير الجنوني الهمجي قد  
تم بتدبير مبرمج وبشكل منظم له أهدافه  
ومعاييره. وخلال كتابتي هذا الموضوع  
ظهرت مواقف وآراء وتعليقات في أماكن  
عدة من المعارك تؤكد على حقيقة أن ما  
جرى هو مؤامرة. أمريكية - بريطانية -  
إسرائيلية. وأهم ما يؤكد ذلك استقالة  
المسؤول السفالي في إدارة اللجنة  
الاستشارية الثقافية في تلك الإدارة  
موضحين أسباب هذه الاستقالة بأنها  
جاءت أولاً: كاحتجاج على ما جرى في  
المتاحف العراقية والمعاهد الثقافية  
وإنفاً. تأكيداً على إدانة حكومة الولايات  
المتحدة لقيامها بهذا العمل الإجرامى.  
ولأنها: تفصلها من تحمل المسؤولية  
التاريخية أمام الضمير الإنساني الذي  
لحجت كل مقاصله ضد تدمير البنية  
الثقافية للعراق. وجاء بعد ذلك تصريح  
البيت الأبيض بأن تهب للتحقق العراقي  
هو أمر مؤسف. وهذا التصريح يعتبر  
اللفة الدبلوماسية اعترافاً صريحاً بأن  
حكومة الولايات المتحدة هي التي كانت  
وراء تلك العملية. ثم ما صرح به الفخير  
الأمريكي الذي لم يعلن عن اسمه من أن  
«عصايات منظمة قامت بسلب وحرق  
المتاحف في العراق وأن القوات الأمريكية  
سهلت لها ذلك». إلى جانب ذلك فقد بنى  
خبراء اليونسكو في اجتماعهم الخاص  
بمسألة تدمير البنية الثقافية من أنهم  
ومنظمتهم قاموا لقبول الحرب بتدبيره  
حكومة الولايات المتحدة بضرورة حماية  
للمتاحف والممتلكات الثقافية في العراق  
إذا ما شنت الحرب. وفي حديث لإحدى  
الإذاعات المهمة في فرنسا مع الأستاذ  
المؤرخ الدكتور شهاب الصراف بين أن  
خبراء الآثار الأمريكيين في شيكاغو قد  
أجابوا على طلب للولايات المتحدة أن  
ضرب العراق يؤدي إلى إلحاق الضرر  
بالآثار والمتاحف وأنهم يخشون من أن  
الجيش الغازي لا يوفر الحماية لها.

كل ذلك يؤكد أن تدمير البنية التحتية  
الثقافية للعراق قد خطط له بشكل منظم  
وأن جيش الاحتلال قد استعمل  
العصايات الإجرامية المنظمة لتنفيذ  
المخطط بشكل يخدم الأهداف المستوحاة  
في ذلك لا يخلو من العنف والهمجية  
وبمساواة يهتز لها الضمير الإنساني  
ويعطى تنبيهها لكل الشعوب بأن تأخذ  
الوقفة والحذر من المخططات المشبوهة  
التي تستهدف تدمير البنى الثقافية  
بهدف تحقيق السيطرة الكاملة بعد  
تغيير الأنماط السلوكية الثقافية لتلك  
الشعوب بما يتناسب ومصالح الولايات  
المتحدة وشركائها. ■

# شاهد عيان:

## «حرب تحرير» أم «حرب تدمير»؟!

روبرت فيسك



■ تناحرت أشلاء الأثار على الأرض؛ ونفثت، بل قل تمزقت - إلى آلاف القطع المبتورة المشوهة، تلك الأثار، التي لا تُقدر بلمن، تلك الأثار التي أنتجها عبق التاريخ العراقي وافرزتها أصالة الحضارة العراقية، ذهبت ادراج الرياح في فوان مسمومة على يد عصابة من الناهيين السارقين، الذين انتقلوا - بدون وعي أو تفكير - من رف إلى رف، ضاربين بالتمائيل والأبراج عرض الحائط، غير عابئين بكونها عصرة جهد، نعتت فيه اجناس متعددة، من الآشوريين إلى البابليين إلى السومريين إلى الفارسيين إلى اليونانيين.

وإذا بالقادمان - في وسط هذه المأساة - تدوس على حطام التماثيل والأبراج الحجرية، والقواعد الرخامية التي صمدت خمسة آلاف سنة، متحدين كل حصار وكل احتلال فُرض على بغداد بالقوة؛ صمدت طيلة هذه القرون لتكفي مصيرها - أو حتفها - على أنه يبعد دخول «المحريين» الآشوريين، الذين اتوا بهدف «تحرير» بغداد. هل فعلها العراقيون؛ فقاموا وهو لمطس معالم تاريخهم، وتعليم دلائل حضارتهم صاحبة الخمسة آلاف سنة؟

هذا التخريب للأثار - الذي حدث بشكل سخيف لا مبرر له ويشكل منظر لا مزيل له - لم يبر مشلته من عسيل - اللهم إلا في أفغانستان، حينما أعدت طلبان على الأثار البيوتية في متحف كابول. بل - إننا - ربما لم نشهد مثل هذا التخريب منذ لحرب العالمية الثانية في منتصف القرن الماضي.

«هذا ما فعلوه في تاريخنا». قالها لنا رجل عراقي في منطقة الرمادي، قالها لنا في أثناء تجوالنا بين اكوام الأبراج السومرية والتماثيل اليونانية، التي كانت تُعد من «الحف النادرة»، وأُضحت الآن من «العجائب» التي لا رأس لها ولا زراع، واكمل قائلاً - ونحن مازلاً نسمك بمشاعنا في حجرة المخزن بالمتحف الوطني العراقي - «نحن في حاجة إلى الجنود الآشوريين لحراسة ما خلفوه

وراهم، نريد رجال الأمن». لم يكن هذا الرجل - ذو المعطف الرمادي واسمه بالخاصة عبد الستار عبد الجابر - سوى حارس المتحف، الذي شاهد، يوم عيابه، المعارك المسلحة التي اندلعت بين الناهيين وبين السكان المحليين. أما خارج المتحف، فكانت طلقات الرصاص تنطاب من فوق رؤوسنا، لتسقط على حوائط المنازل المجاورة. وفي غمار كل هذا، إذا بالمحارس يلتقط جزءاً نادراً من أنثى فخارية ضخمة - «كانت تعلق حوالى قدمين أو أكثر» - فأضحت بعد توشيعها بقايا محطمة، وانظروا إلى هذه، إنها آشورية - قالها المحارس في حسرة؛ يتحسر على «بقايا» الآشوريين، الذين حكموا العراق طيلة قرنين من الزمان، قبل قدوم السليح عليه السلام.

والآن - لتنتقل إلى الآشوريين - الذين جاءوا «بتحرير» بغداد - لنسألهم: ماذا فعلتم حيال كل هذا؟ ألم تستم حكاهم بغداد الجدد؟ إن - «أعين كان يروكم من كل هذا الخراب الذي حدث؟ لماذا سمحت

لهذا الحشد الغوغالي باخراق؟ والقتحام هذا للهرات الفريد، الذي لا يُقدر ببعال - ميراث بلاد الفراعين؟ والغريب أن تتم كل هذه الكوارث الفاجحة، في الوقت الذي يقوم فيه وزير الدفاع الأمريكي - دونالد رامسفيلد - موجهاً سخريته إلى الإعلام، لأنه «زعم» بأن الفوضى قد اندلعت في بغداد.

لقد سمح الآشوريون - بفرضه ذلك المتحف، الذي جمعت تحفه وعجابه على مدى قرنين من الزمان - بجعت من قصور وأبراج وقبور عمرها ٣٠٠٠ سنة، على يد عمله الكار، سواء كانوا عراقيين أو غربيين. أولئك قطعاه الذين ظفوا من ورائهم عشرات آلاف اللغات المفقودة، التي عكوا عليها لكتوبها بأيديهم.. في القرن التاسع عشر، فخرجت لنا هذه اللغات - صاحبة الخطوط الرشيدة القديمة - وهي «بابكية»، «ميتلة»، «معبرية» و«سوطكام» فخلعت حيال كل هذا؟ ألم تستم حكاهم بغداد الجدد؟ إن - «أعين كان يروكم من كل هذا الخراب الذي حدث؟ لماذا سمحت



فن سومري - ماري خاتم الأسطواني وطلعت التي يظهر عليها نقش تصويري لحرقة



**لقد سمح الآشوريون بفرضه ذلك المتحف، الذي جمعت تحفه وعجابه على مدى قرنين من الزمان؛ جمعت من قصور وأبراج وقبور عمرها ٣٠٠٠ سنة**



ملقة على الأرض، لقرأ عليها عبارة مكتوبة بالقم الرصاص، تقول: «نهاية قرن لثاني، رقم ١٦٨٠»

لقد استخدم الحشد الغوغالي الغناء الخارجي لينتقلوا إلى المخزن لهد حملوا الأبواب المصنوعة من الصلب الثقيل، وحملوا المقننات الأثرية إلى السيارات والشاحنات، وحلوا قبل قدومي إلى «مسرح الجريمة» بساعات قليلة، حينما سللت الحراس، صاحب المعطف الرمادي، عن عدد المقننات المسروقة، لاجابني بأنه لا يعلم حقيقة عدد المسروقات، لا أحد يعلم ماذا حدث لبقايا الأثار الأثرية التي كانت موجودة في القصر الملكي بحدس اباد، ولا أحد يعلم ماذا حدث للأبرام الذهبية التي دُفنت مع جثث الأميرات السومريات منذ ٥٠٠٠ عام. أما الكارثة الكبرى، فقد تمثلت في عدم صندوق زجاجي، كان يحتوي على حجر، عمره أربعون ألف سنة، والفكرة الأخيرة تتمثل في كيفية تصنيق الأشلاء التي تركها السارقون من ورائهم. من أصحار شمسمة، إلى مجوهرات متألثة، إلى أباريق محطمة. هذا التصنيق سيأخذ سنوات، بل سيأخذ عقود، ليتم ادراج الأثار من جديد.

لقد انتطع عن بغداد كل شيء: الماء، الكهرباء، القانون، النظام. أما نحن، فلفظنا ساكنين في ظلمات البسروم بالمتحف، وألقين بين الأشلاء المبعثرة. وبينما نحن والقول، مددت بصرى نحو رغن البسروم، فإذا بي أجد رماً مكتوباً عليه «جميع المقننات المرصودة تعود إلى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد». ومع كل أسفه، حتى هذه المقننات النادرة لم ترجعها أيدي السارقين.

أما ما شهدت مكتبة المتحف.. فهو لم يكن بالظفاعة التي شهدتها التماثيل والتحف والأبراج. فالسارقون لا يبالون كثيراً بالكتب. ومن ثم، كان عدد الكتب المسروقة - والتي كانت تتناول الأعمال الأثرية في منتصف القرن التاسع عشر - ضئيلاً جداً بالنسبة للمسروقات «الثمينة» الأخرى. فربما العدد الكامل للندوة الجغرافية من سنة ١٨٩٣ إلى سنة ١٩٣١، و«جانبها» وجدت كتاباً مغلفاً، يحمل





من المتاحف  
الوطنية  
بالقاهرة

## آت من الماضي.. ذاهب باتجاه المستقبل

# بين جناحي ثور عظيم!

### نصير شمه



والصنيعة والهدوة في حرب لم يشهد التاريخ مليا لها من قبل، خصوصا ان إيمان لشعب بنفسه وتاريخه ويعرويه ويتصانه بكل الثوابت كان قد اهتز، من هنا جاءت أهمية هذا الحفل الذي أعاد الحياة الثقافية إلى بغداد بعد أيام من وقف إطلاق النار.

لم يكن ليخطر ببالي ان هذا المكان الذي يحتضن بين جدرانها تاريخا مشتملا لتطور البشرية في أغلب مجالات الحياة يدمر أو يسرق بمنهجية مدروسة ومخطط لها مسبقا، لقد ولقت الدبابات الأمريكية تنطلق المتحف الوطني العراقي وأطلقت طلقتها الأولى باتجاه بوابة المتحف لندمرها ثم لتقتل الأعمال التي تمثل حضارات أور وسومر وأشور وأكد والحضر وبابل، وبعد ذلك الآثار الإسلامية إلى أماكن لا نعرفها وقد لا نلحظ بوجودها قريبا في إحدى ولايات أمريكا، ومن ثم سحوا لآثار لا نعرفها ولا نعرف سنهين ولا أي بلد ينتمون حقيقة ليهشموا زجاج وبالي الأولى التي بالكاد لا يمكن لأمريكي معرفة قيمتها لنجدوا وكأنها حالة فوضى ونهب يصار سها أبناء الشعب العراقي.



هنا أريد أن أذكر شيئا وهو ان الشعب العراقي غابغيبه قصصو مشتملة، وفي المراس كانوا يصطحبوننا إلى زيارة هذه الآثار والمواقع المتساحف وكنا نخرج ومعنا كمية أحلام لها العدد الثاني والخصوسن - مايو ٢٠٠٢م

إطلاق النار في حرب الخليج الثانية قررت ان أقدم أول حقل، كانت الدماء لاتزال ساخنة تنزف من عروق وشرابين الشعب العراقي، وأردت لهذا الحفل ان يكون داخل الصالة الأثرية في المتحف العراقي وكان عنوان الحفل (آت من الماضي، ناهب إلى المستقبل) لم يكن هذا العنوان مجرد شعار، بل إنني أردت ان أقول من خلاله ان الحاضر ليس دائما كما نتمنى، وحينما أخبرت مكاني بين الفين من الفئران المجنحة العملاقة التي تزين مداخلها سبعة وثلاثين علنا من الحجر الصلب وهو عبارة عن قطعة واحدة، وخلفي الإله الآشوري ناري ناو يتجاوز طوله التي عشر مترا، وعلى اليمين واليسار كواخ عظيمة من الحجر تصف وتقف شاهدا على الحضارة الآشورية العظيمة في العراق.



كنت قلت للحضور يومها، نحن سالة هؤلاء الفين يستضيئوننا اليوم، والذين أبدووا هذه الفين التي سبقت مايل أن تجولي في استقدام الحركة في الفتح وفي تفاصيل شديدة دقة، خايلت أجهجهم شارحا: من هنا بدأ ان نبدا من دون ان نشفق إلى الأطلال التي خلفتها الحرب، كنت كمن يريد ان يطمئن نفسه على إرثه الذي يشعله وعلى مستقبله الذي يريد ان يسهم به بقوة، وفي الوقت نفسه كنت أريد ان أشير إلى عراقية شعبنا العراقي بعد ان طوقته كل دول العالم لشقيقة

■ لم يخطر ببال أحد ان الحرب على العراق ستكون عدوانا مدمرا شيئا بالإنسان، مروراً بآفتات جنز حضارته وكراره وثقافته وهويته، وكذلك حاضره ومستقبله.

قد أصبح جليبا الآن ان للعدوان أهدافا غير ليتبرول بعد ان تفتت السيطرة عليه، فورا اتجهت الآلة المدمرة للعبث باصل الإنسان الذي أبدو وايتكر واكتشف وعلم

دمروه بصارم وعقبوا بتاريخه عبر لسرقة والحرق.



لم يحصل في أي حرب أو عدوان أو احتلال أن مرمت مدينة أو منطقة تدميرا شاملا كما حدث للعراق، هذا الوطن الذي كان لرضا لحضارات كثيرة متعاقبة وعرف بان فيه إرثات الأجنبية والعلم وفتشافة والضمير وفلك والطب والرياضيات والموسيقى وأشياء أخرى كثيرة أهمها فيزياء والكيمياء والهندسة، علما بان هذه العلوم كانت متاحة للجميع، لكن لا ينبغي لنا ان نقصر بهذا التاريخ ونختصر به، إذا كانت أمريكا تمتلك علبة في هذا المجال كونها خليطا هجينا ليس له جذور محلية ولا يمتد تاريخه إلى أكثر من خمسة عهود معظمها الحديث عنه غير شرف، لقد تأسست أمريكا على جماعهم فهود الحمر الذين استميتحت مآزهم ونسأهم ولزهم، وهذا تقليد يتوارثه الأمريكيان.

بعد مرور بضعة أيام على وقف

عنوان «بغداد: مدينة السلام، وبالرغم من ذلك، اعتمد المليون على بطاقات الهاتف، فزعوها من صناديقها، وألقوا بها في آبار السلام والدرابزينات.

لقد نعب علماء الآثار الخريبيون - البريطانيون والفرنسيون والألمان - دوراً في اكتشاف أجود وأنفس الآثار العراقية. فهذا هي البريطانية «المتعربة» والمخططة الدبلوماسية Getrude Bell التي كانت تسمى «أميرة العراق غير المتوجة»، والتي يقع قبرها على مقربة من المتحف - والتي كانت تثير حماسه غير عادية في تلك الاكتشافات وما هم إلا، الذين قاموا ببناء المتحف الحديث على ضفاف نهر بجلة - قاموا بإعادة فتحه في عام ٢٠٠٠، بعد أن كان مغلقاً طيلة تسعة أعوام بعد حرب الخليج في عام ١٩٩١.

ومنذ أسابيع قليلة - وقبل الحدث للألف - صرح - جابر خليل إبراهيم، رئيس مجلس دولة العراقي للآثار، بان محتويات المتحف تمثل «ميراثا قوطيا عراقيا»، «إنها ليست فقط لمتحف والتسليم والرواية؛ وإنما هي تمثل عظمة العراق». اما الآن، فقد اختفى الاستاذ إبراهيم؛ مثله مثل الكثير من مسؤولي الحكومة في بغداد. ولقد وعدت هناك سوي عبد الجبار - صاحب المخطط الرماني - لذي يقف حليبا بجحي ماتيني من ترويض البلاد، وصحبة بناة، وصحبة بناة، الكاشف، ويقول عبد الجبار: «نحن لا نريد استكمال استرجاع، ولكن كل فرد منا يتحتم عليه الآن امتلاك سلاح». «لأبدن نحمي أنفسنا الآن الأمريكيين هم الذين نسحقوا بغير تلك الأوضاع. لقد قاموا بحرب ضد رجل واحد، فلماذا يتكفوننا إن فريسة لهذه الحرب ولهؤلاء المجرمين؟»

يوحدة لشؤون الأثرية التابعة للبحرية الأمريكية في شارع سمعون، لأعطي لهم عنوان للتحفظ، واصفاً هذه الحالة المخزية التي ألحقها، فجاءني بالرائي: «إننا نستمع في الخليل إلى هناك، للبلاد، ما أتوا، وعندما أتوا أخيراً كان الوقت متأخراً جداً: بعد فوات الأوان. جاءوا بعد أن تبعد التاريخ الحضاري على يد عصاة من السارقين والمتحصنين الذين تركهم الأمريكيون يغيرون في الأرض فافعلوا أيديهم على بغداد، باسم «التحرير» ولا غربة بعد ذلك، ان ثلثاني سيدة عراقية وتصرح في وجهه قائلة: «أنت أمريكي! أرجع إلى بلدك. أخرج من هنا. نحن لا نملك في بلادنا، نحن نكنا نكره صدام، والذين ذكره يوش لأنه دمر مدينتنا. لقد صاب على جام غضبها، معتقدة خطأ ان الأمريكي الجنسية، لقد صبت جام غضبها، بدون ان ترى المتحف الذي دمر وسلب، فاضاع ميراث بلادها، كما اضاع ميراث مدينتها. فلماذا رأت المتحف على صورته الحالية؟» ■

في آشوري حرسناه  
نور صبح براس مشوي من  
المرمر الجصي. القرن الثامن  
قبل الميلاد



العزف بالأصابع الخمس من دون استعمال الريشة من المنحوتات الآشورية التي تصور أحد عازلي العود الآشوريين وهو يضرب على العود بأصابعه، تجمعت هنا الأثر طويلاً حتى توصلت إلى طريقة عزف عراقيها لكننا انقطعت عنّا، وعبر بحث طويل قمنا بإعادة ربط الخيوط، ومن الكندي تعلمت أول نظام للمهارموني الذي احترقت مخطوطاته اليوم في مكتبة دار المخطوطات.

ها أنا سليل حضارة عظيمة، وأمة صنعت أمجادها بالحجر على الحجر، وما هو لشاهد الأكبر الحجر يهأن بما يحمل ويهشم كما لو أنه قطعة بسكويت صغيرة، وما هو تاريخنا كله أصبح في جعبة غريبة، وليس باستطاعتني أن أعرف كيف سيتعلم أطفالنا تاريخ بلادهم، وهل سيقروا به مجرد خبر على ورق؟

إنني أشعر بأن ما أحله من ألم ويوجع يوقو ما يستعجنني إياه الديمقراطية بكثير، أشعر بأن عسبة الخوف قنني حملها لجماش حيث اقتلعت من جنودها، وما أنا أتحرق لما على جهد العلماء والمبدعين والمفكرين على مدى تسعة آلاف عام الذين ميزوا حضرات بلاد ما بين النهرين وقد أضاعها برباية عصر الحديث ■

ولعمران والمستقبل الذي يمكن أن تقول أن النقط يسهم إسها ما كبيراً بصناعتها لكن ليس وحده.

أثرى هل أن سرجون الأكدي (٢٣٩٠ ق.م) وزيمرى -ليم الماري (١٨٥٠ ق.م) - وأد - نيراري الآشوري (١٢٢٠ ق.م) ونبوخذ نصر الأول (١١٢٠ ق.م) ملوك الفتوحات الذين أسسوا بين دولة وفترات مملكات وإمبراطوريات حكمت الجهات الأربع في الأرض، أترامهم يعلمون ما حل بأرضهم وبأبنائهم؟ هل أن الطوفان الذي تحدث عنه جلباش في اللحظة الشهيرة هو ما يجري الآن؟

## صلاة ليلية

حين عزفت مقطوعة صلاة بابلية لأول مرة في باريس عام ١٩٩٤. كانت اللقطة تملأني لاني كنت بينما أعزف استعيد حضارة ستة آلاف عام من الثقافة والموسيقى كانت كلها تنقاف بين القلبي وبين زبد العود. كنت أصف طقس عبادة بين الملك البابلي واهته، وكنت أفسور أبا لجدي تعاملوا مع الموسيقى بهذه المرتبة حيث أصبحت الوسيط بين الإنسان واهته كما كانوا يعتقدون، وفي اللحظة نفسها قدمت من آشور إلى اشبيلية وكنت تقطعت فكرة

كبير. هل اقول الآن أن هذه اللوحات والأعمال الفنية الرائعة التي حملت توقيعات جواد سليم وفلاح حسن وشاكر حسن ل سعيد ومحمد غني حكمت وسعدى كعبي وسفيان العزاوي ورافع الفاضلي ونوري فراوي ومحمد مهر الدين وعلاء بشير وعلي طلب وسالم ديباج، وأعمال الشباب كلها حُرقت، هل فعل هذا هولاو ياترى أم أنها رؤية إنيال الذي أوصى بإنشاء دولة إسرائيل وصب اللعنة على أهل بابل.

## طوفان جلباش

عندما كنت هذه الجملة كنت أعلم حق العلم أن الشعب الذي يعايش تاريخاً عريقاً لا بد أن ينسج مستقبلها مهناً، وأن الإنسان الذي يمتلك جذوراً قوية سيظل موصولاً بها عكس الذي يذبح هشا على سطح الله من دون جذور حتى وإن نجحت تجربة عديم الجذور مؤقتاً.

سعدى الفكرة هي الاستراتيجية التي هيمنت على هذه الحرب، فهذه الحرب تحمل بجدارة عنوان الحرب / القنط / قناريخ.

أي الحرب على الماضي مملسا باناريخ، والحاضر مملسا باناريخ

مدية وليس لها نهاية عما كان يروى لنا بخصوص الملوك والحضارات التي قامت في بلاد ما بين النهرين، فهل يعقل أن يقوم عراقي عادي بتنهيش وتدمير وسرقة حضارة بلاده وتاريخه العريق. أما ما يتعلق بدار الوثائق ومكتبة الأوقاف والمكتبة الوطنية العامة ومركز الفنون فهذه أماكن ذربت أهداماً بشكل متواصل ونعلم أن العراقيين هم الذين ادعوا في هذه الأماكن كي تحفظ، وفي كل يوم كنا نقرا عن أحد كبار الملقين وقد تبرع بعدد من المخطوطات النادرة حتى أصبح هناك خزين نادر جداً من المخطوطات، وهناك نسخ نادرة من القرآن الكريم خطها ابن الربواب وأخرى لبقاوت ومحمدل الأمامي والتبريزي وابن مقله، بالإضافة في نسخة نادرة من القرآن خطت بأصابع الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بين طيات هذه المخطوطات لجمال فنون الخط العربي وأدبها إضافة إلى كتب العلم والطب والفلك ومنصون الإبداع والعلوم الأخرى بخط مبدعيها مثل الكندي والقارابي والأرومي وابن سينا وكل من ساعدنا أو قرأنا عنه في الحضارات التي سبقت الإسلام ثم فجر الإسلام وما تلاه.

أما لوحات الفنانين الرواد فقد أدمت جزءاً بسيطاً منها في مركز الفنون بدار الأوبرا المصرية في مطلع عام ٢٠٠٣، وقد تناهوا لقتل الفتحاء المصريين باحتفاله

# فى التاريخ

## زاهى حواس

والتي تقع جنوب العراق، والموقع الثاني هو «نيبور» التي تقع في الجنوب أيضاً وربما كانت تلك المدينة المعاصرة الرئيسية لوسور. وكذلك كانت مدينة «أور» من أهم المدن السومرية ومملها «لجش». ومن أهم القطع الأثرية التي ترجع لتلك الفترة لوحة «أورنانشي» أول ملوك لجش واللوحه مصور عليها الملك بحجم كبير وهو يحمل فوق رأسه سلة بها مواد بناء وهي محفوظة بمتحف اللوفر وهي تمثل لنا اهتمام الملك بأعمال البناء والتشييد، وهناك أيضاً لوحة لخليفته «إباتيد» تعرف باسم (لوحة العليان - لوحة العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣

السومرية التي تعد من أولى حضارات العصور التاريخية في العراق القديم، وينقسم العصر السومري إلى فترتين منفصلتين تطلهما الحضارة الأكادية. وينقسم العصر السومري إلى عصر بداية الأسرات السومرية، وعصر الإحياء السومري بعد تهاير الحضارة الأكادية. على أن أهم المواقع التي تركزت فيها الحضارة السومرية كانت في «كيش»

نعلم أن العصور التاريخية لكتملت باختراع الكتابة وقصة الطوفان. ولم تكن العراق دولة ذات وحدة مركزية وإنما كوت من عدة مدن تسمى (دويلات المدن) وكان السبب في ذلك هو تلك الطبيعة الجغرافية للعراق، وتكونت قصة الحضارة في العراق القديم إلى أن وصلت إلى حضارات العصور التاريخية منذ حوالي ٣٠٠٠ ق.م. فكانت الحضارة

مرت حضارة العراق القديم مثلها مثل باقي حضارات الشرق الأدنى القديم بعصرين -عصور ما قبل التاريخ، وعصور ما قبل التاريخ تم العثور على أدواتها ومنتجاتها الحضارية في عدة مراكز مختلفة بالعراق في الشمال والجنوب فكانت من أهم حضارات الشمال حضارة «جرمو» وحضارة «ل» -«سمر» وكذلك «تل حلف» -حوالي (٤٠٠٠ - ٤٥٠٠ ق.م). أما حضارات الجنوب فتركزت في «العبيد» و«الوركاء» و«مدينة نصر» -حوالي (٣٢٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م). ونحن



فراس العدم القرن ٢٢ قبل الميلاد من مجر الديوريت  
فن سومري جديد: تلد

القوانين التي تنظم علاقات الأفراد بالدولة.

وهذه التشريعات كغيرها من القوانين عادة ما تبدأ بالمقدمة الدينية التي تعطي الملك قوة أمام شعبه وإذناز لهم بالامتثال لتختلف أحد عن العمل. وبدأت هذه التشريعات في الظهور منذ العام الثاني من حكم «حمورابي» وهذا العام سمي (عام إقرار حمورابي إلى العدالة على الأرض). وتكثفت هذه التشريعات على حجر كبير من الديوريت يجمع المسلة المحورة وشكل اللوحة وأقيمت هذه اللوحة في معبد الإله «شمس» إله الشمس في سيبار أو بصعيد مروك في بابل، وتم العثور على هذه اللوحة في سوسة عاصمة دولة عيلام وهي موجودة بمتحف اللوفر.

وبرع البابليون في العديد من المظاهر والعلوم الحضارية مثل الجغرافيا والطب والفلك والعلوم الطبيعية. وترعرع العراق بالعصر الكاسي الذي اختلف المؤرخون في أصل سكانه. أما العصر الآشوري الوسيط فيبدأ من نهاية مملكة بابل الأولى (١٣٨٠ - ٩١٢ ق.م).

والآشوريون لهم أصول سامية، هاجروا من الجزيرة العربية وسكنوا شمال العراق منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد. ويتقسم تاريخ الآشوريين إلى ثلاث فترات: العصر الآشوري القديم، ثم الوسيط (١٣٨٠ - ٩١٢ ق.م)، ثم العصر الآشوري الحديث أو الإمبراطورية الآشورية (٩١٢ - ٦١٢ ق.م). ومن أهم ملوك الآشوريين الملك «شلمانصر الأول» و«الملك «أشور» نصر يال الثاني» و«الملك «سرجون الثاني» وغيرهم من الملوك. وخلال تلك الفترة كان غزو مصر من خلال ثلاث حملات عسكرية آشورية منذ عصر الأسرة الخامسة والعشرين في مصر.

وترعرع العراق أخيراً بالعصر البابلي الأخير أو المملكة البابلية التي كان آخر ملوكها الملك «نابونيد» حيث ضعفت المدينة في عهده إلى أن استطاع الملك الفارسي «كورش» في عام ٥٥٠ ق.م، أن يسيطر على العراق حيث دخلت تحت الحكم الفارسي إلى أن غزاها «الإسكندر الأكبر» عام ٣٣٦ ق.م، وإلى أن أرسل خليفة المسلمين «أبو بكر الصديق» جيشه لفتح بلاد فارس حيث بدأها بجيوب العراق. وإلى أن بدأه مدينة بغداد هو الخليفة «المأمون»، وقام بجمع القوانين الهيرة من كل الممالك الإسلامية وكذلك المهديسين ليشيخوهم بغداد، حيث ظلت العراق حاضرة الخلافة الإسلامية مدة ٥٢٤ عاماً. ■

يعبر عن طاعة ولاء «جوديا» للإله، والكثير من هذه التماثيل محفوظة في متحف اللوفر ببريس.

أما العصر البابلي فكان أزهي عصور العراق القديم حيث ظهرت فيه تشريعات الملك «حمورابي»، حكم الملك «حمورابي» ٣٤٣ عاماً تمكن خلالها أن ينهض ببيابل من دولة صغيرة لمعاصمة دولة كبيرة ذات شهرة وكان هدفه الأساسي هو توحيد بلاد النهرين تحت حكم ملك واحد.

ويعتبر «حمورابي» أحد أهم وأشهر مشرعي العالم القديم، وتشريعات «حمورابي» عبارة عن مجموعة من

شعوب الجبل وهذه اللوحة رغم سوء حالتها إلا أنها تعتبر من أفضل الأعمال الفنية في الفتح البارز من بلاد النهرين، وهي مصنوعة من الحجر الرملي وذات قمة مدببة يبلغ ارتفاعها حوالي مترين، وقد نقش على وجه واحد وعثر عليها بمدينة سوسة عاصمة عيلام وهي محفوظة حالياً بمتحف اللوفر.

وتصل بعد ذلك إلى عصر الإحياء السومري فكان من أهم ملوك تلك الفترة الملك «جوسيا»، وعثر له على حوالي ثلاثين تمثالاً منحوتاً من حجر الديوريت الأسود ومعظم هذه الأعمال تمثل وهو واقف، أما الجالس من هذه الأعمال فهو

النصر) يسجل عليها انتصاره على خصومه في مدينة نوما وهي مدينة تقع شمال غرب لجش وهي محفوظة بمتحف اللوفر وترجع لحوالي ٢٤٧٠ ق.م.

وكانت الحضارة الأكديّة ثاني الحضارات التي مرت بها العراق، حيث استقر الأكديون في وسط العراق واستقرت تلك الحضارة حوالي ١٥٠٠ عاماً سيطر فيها حكمها على العديد من المدن السومرية، وكان من أهم ملوك تلك الفترة الملك «سرجون الأكدي» الذي حكم حوالي ٥٤ عاماً وكذلك الملك «نيرام سين»، ومن أهم آثاره لوحة تعرف باسم (لوحة النصر) يسجل عليها انتصاراته على

# تقاسم على قناتون

والحمد لله الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. هذه المرة جاءت العالمة الأمريكية فيخدا المذنونة لسلام لا يأتي قد لا تعرف الهدوء إلا بعد أن يرحلوا، هذا إن إرادتها لم تنعطف، فهي ومنذ حجر المنصور من فتنة إلى حرب إلى حصان، ودموا يصلها الغزاة في شهر صفر الهجري، فالجنرال تومي فرانكلن لم يخف التاريخ المتفق عليه مع هولاكو، وجميعهم يأتون ويهدمون ويحولون، ويقتل دجلة الخير يسيل بالبركة والأمنيات والأغاني، وأحلام القمع والصليبا.



ويخدا ليست متحجرة القلب كغزائنها وطفائنها فهي أول مدينة تدلح نهرًا وتطلق على أحد فروع دجلة اسم «دجيل» وما ولدت ما كتبه أبراهيم توهي على قصر والده الذي كان مركز المدينة، وعلى قصر «القرار» الذي بنته يزيد زوجة هارون الرشيد، وقبل أن تستمتع به وجدت نفسها تراقب من شنائبها ومشربياتها حرب الفتنة بين ولدها الأمين وأخيه المنصور، وكان بغداد موعداً لهم عن قات جسدتها سلاح الأجانب بعد أن يسلمها الظلم الحلي، هناك وفي ذلك المربع البغدادية تجد التاريخ العربي كله يلق ساسماً على جسر الفلّ فلرصاصه والكرخ تومانا يصل ما بينهما بدل حبل السرة جسور على سد البصر، وعلى أحدها وقف ذات يوم على بن الجهم ليقول ذلك البيت الذي الطرى الذي حلفته أجيالاً وأجيالاً، وتفتني به الحساق في كل العصور:

عيون لها بين الرصافة والجسر  
جلين الهوى من حيث أدري ولا أدري  
ولم تكن يخدا تدري من قاتل نيتها  
القذائف الشهب الماضى، فليها صان من الانقيارات دلائمة نهاراً، فالقبض صدر جسر على بن الجهم ونخلت المهام مرابضها ودمعت عيون الفلّان في الخناق والفتاد على الأيام الخضراء، ولا تدل لهوى بين جسرين ونهرين وحزنت، حزن على أيرباء يجرهم سيل الكراهية، وحزن على أعرق عواصم الدنيا، على تدمر يومياً أمام سمع العالم وبصره دون أن تسمع صرخات حراس التراث الإنساني الذين تلقوا الدنيا يوم تعمير أصنام باميان الأفغانية، لم خيم على رؤوسهم ظفر والقنابل الأمريكية تدمر في بغداد للمرستان المضدي، العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م

البصري عمران بن حطان التي قالها لابن جلا الأول مستنداً بهرويه أمام غزاة الخارجية حين ترك غلته في أرض المعركة واختبأ بالخفران خلف خندق وسور:

أسد على وفي الحروب نعامه  
رياء تجفل في صغير الصافر  
هلا بزيت أبي غزاة بالوغي  
بل كان قلبك في جتأحي طائر  
أسد علينا.. لا ياس هكذا يصف دوماً مع السلفين وسفر الشفاد على يهدد المواقف، فما أن يهدأ هدير البصرة حتى تستحل الموصل والطريق طويل ما بينهما وبين دمشق بؤلة الدنيا الثالثة، فاليوت قال عنهما ونيسابور في معجم البلدان: «باب الدنيا العظام ثلاثة نيسابور أنهارها في الشرق، ودمشق أنهارها في الغرب، والموصل أن القاصد على الجبهتين قلما لا يمر بها».

إنها موصل الحمدانيين وتسلية حلب، وفيها البقية المتتبي قبل أن يصل إلى سيب، فبغداد أبان القهطية الحمصاني، وجاء.. ما أصعب ما للأسماء الحربية حين تكون الهياج احتلال بل عربي، فينتزع عرب كل ويصطلي بنار الهياج نفي قائل، من تلك المدينة خرج السري الرقاء في جلب قلما اقتفدها صبار مثلاً هذه الأيام لا يعرف بل يندبها أم ينوح عليها أم يشجع متفادراً.. ثم القوا القوة فيها، فهي دوماً على مفرق الغزاة في أساطيل الدم وطرق الحيري.

من أوصاف السري الرقاء في حبيبه النوصل: سقى ربي الموصل الفقيهان من بلد جود من للزن يكس جود أهليها آتدب للعيش فيها أم أتوح على أيتها ما أعزى لي ليلائها أرض يحن إليها من يغارها ويعد العيش فيها من يدانها

ولأحق ما تتنازع الموصل من لقب الفقيهاء لدمشق تقديرًا لروان بن محمد فتح خلفه الأمويين الذي لربط اسمه تاريخياً بتجديدها، وتزيت رساتيفها وأفكارها وبعده بحار الدم التي خاضها لجسده، كما يقترن في تحوّلها مدينة لتجسده، وكله محاولة قللت كما فشل إطلاق لقب مدينة السلام على بغداد بعد أن استلقته من نهرها حيث كان يطلق على وادي جيلة اسم وادي السلام لكن من قال أن ما يجوز على الأنهار ينطبق على لندن؟..

على الأقل.. لماذا يسمون بغداد مدينة السلام، وهي لم تحرف الراجحة يوماً وأحد مدّن أن وضع يوجعفر المنصور أول حجرها وفي قائل في تدينيها حسب رواية سليمان بن مختار: بسم الله

مجديها ولاي نواس أحوالة الشعر العربي.. هؤلاء كلهم بصريون والقنابل لا تسقط في خلاه بل على دهرهم وكتبهم وأحداهم.

في البصرة نشأ النخس والمنطق والإعتزال ولم يكن عند العرب مع الشعر الذي أزهري في صربها غير هذه العلوم والفنون، فنهلت غاشيت الكوكبة للوهوية التي وضعت أسس أرائي مدارس الفكر العربي، وما كان الفقه بعيداً عن إنجازات البصرة وكيف يتبع عن مدينة درج فيها وأصل من عطاه وسكن حواريبها الحسن البصري.

وليعما الغربيون مشغولون في البصرة بالبحث عن رفات «الكيمياء» يتذكر عشائها شاعرها ابن أبي عبيدة الذي لو جاءها ما عرفها فليس ليها المشتمل بالقنابل والرصاص هو ذاته الذي تشوق إليه ذلك الشاعر بختان الأمهات من جرجان:

فإن أشك من ليلى بجرجان طوله  
فقد كنت أشكو منه بالبصرة القصر  
إن هذا النوع من الحنين مسعلق صرحيا كالعطل الإجمارية في زمن الاقتليات - إلى إشماع آخر - فلنأسس تتشمل على الحب والحنين في أزمة الخراب، وفي هذا زمن يقع الخلط، فخط الناس إلى الليل القاتل، جمد خراب البصرة من نتاج بصرة العراق، وما هو كذلك، فالبصرة التي خربت وصارت ملكاً في بصرة الغرب في بلاد البربر كما يؤكد ابن حوقل، وكنت تصرف قبل مراكنل باسم الصمراء وبينها وبين فاس حسب رواية البكري في المسالك والحكاه أربعة أيام، وكنت تعرف أيضاً باسم «بصرة أتيان» لانتهاها بتصنيع ذلك القماش المرتبط بالطليلسات والأكفان، فهل يعرف المنطوقون على حراق العراق أن ذلك البلد كان موضعاً من استيراد الأكفان لوتاه وقت الحصار..؟



ولماذا سيرة الأكفان الآن..؟ بل لماذا لا.. وهل هناك غيرها وليس في أرض العراق غير الشهود والأضياء فاشبع الحراق تلك على في قبضة الصجاء والمجاذب هذه ليرة بازي العسكري الأمريكي ويخبط من CNN وليس من فوق منبر الكوفة كي لا يحصيه أحد بالمجاعة، ولو حصل وخبط قاتل جلا وطلاع فليها يعثر الخوذة بين الصمامات بينما الحجاج لئن اتفه لئن هذا الكلام في مخبئه السري في بغداد يتبع مسيرة الطقاة التاريخيين والعلماء، ويودع ويحس منها أبيات الشاعر

الحزن العراقي معقث ومصفي، توفيقه ليس كذبة أبريل، ويواجه ليست موسمية، فتحت كل حجر على الضفاف الأربع لدجلة والفرات حضارة وشهد، وما كان استطارة أن تولد أسطورة شقائق النعمان هناك حيث يعود دم الشهداء مطح كل ويضع ليذكر الأحياء بتضحيات الموتى في سميل المستقبل في بلاد يكاد الماضي يلتهمها.

وإنه استسكيل غامض، وملتيس، وكثيب، فبعد كل ذلك الخراب هل يجرؤ أحد مهما كان طوباوياً أن يضيف إليه صفة المشرق بعد خراب البصرة والنجف والموصل ويبدد والنصيرية والحنلة وغيرها ما لم توفد الجحافل في زحفها غير المقدس.

وفي الأخيرة وهي حلة بن مزيد بين الكوفة وبغداد قال إبراهيم بن عثمان الخزري حين زيارها وتعرض له وأنها:

أنا في النلة الغداة كحاي  
علوى لي قبضة الشجاج  
وجميع العراقيين وفي عصورهم كلها من حجاج إلى هولاكو ومن قبضة طغاة إلى استعمار غزاة يسالون دون أن يجيبهم أحد: «لماذا بين الغزاة والطغاة طريق ثالث وليس ما يسمح لأحرار الذين يسلكو...؟» إنهم بلد الشعر والنطق والنخيل، والشعب الذي يهرب من النلك إلى المزرب دون أن يجد من يهزم إشكاليات مواجهة العدة بين غزو وديكتاتورية، أغلبية الناس ضد الأنظمة وما أحد ضد الإطمان وذات الذي يهتق أصنام أعينهم ليس ناطق الرميعة والخريبة فحسب، بل نخيل البصرة الذي قال عنه الأصمعي: «سمعت الرشيد يقول نطرا، فإذا كل نعب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ لمن شغل البصرة».

وإن الملك حسين وكل من دناوا الأساقفة البصرة والمصاهرة لينتظروا ما حصل لبصرة الشعر والنخيل، وما هي الصورة التي يتلقها الرائي عن شعبها لعالمها روية لا مظهر من مظهره أن هؤلاء أحقاد من كانوا أكثر أهل الأرض تحضرًا بقولهم الاستبداد والغزوى إلى موضع لا يليق بذلك الذوب الحضاري الزاهي لامة التي اخترعت أول قيادة ووضعت للنشيرة أول قانون مكتوب.

حزائياً والبصرة والنخيل، فهي وكل المدن البصرية انفتحت على ثقافات تها، ولم يكن جياداً ولا غريباً أن تكون ذلك ليل للغمادي، صاحب معجم العين، ويحار الشعر، والسويدي مؤلف الكتاب الذي قوم الإسنة وإلزار، والمحاظ على الخفالة العربية وعلامة

محفوظة بالصور والجواسق، ترتفع ما بينها أصوات الأغانى وخفقات الانبات والسواني، وأصوات المالحين، وزعقات المؤذنين أن رايتهما ترى ولا جملاً وكعلاً وتسمع من الجحان الشجية سحراً خللاً. هكذا كانت مدينة أول قبيلة أول قانون واليوم لا تسمع في بغداد التي لا تحب يوم الأربعاء ولا صبح الهجرى غير اتينها ولا أحد يعبر الشطين على مود الاحباب والاصحاب:

عبرت الشطر على مود  
فألهب في كل مكان، والسما طمطر  
حسماً فطيط فوق النهر الأرواح بدل  
العصافير، وبك حالة ان يغفرها  
العراقيون الذين لم يرحمو عظمتهم عبر  
التاريخ ولا تعاملوا بمودة مع غربتهم،  
فهم الذين صنعوا الفصح صورة لتلنار  
والسلاجقة، والغزنويين وهم الذين  
حولوا الحجاج إلى مسخ مشوه حين  
اشاعوا عنه أنه ولد بلا نبر فقبيلوه له  
ولهدأ على عجل، وهذه الجراحه  
الخيالية ان صحت تكون اول معيلة  
جراحية ناجحة في التاريخ مؤخرة  
سفاق عربي سبيح كخيره فوق بحيرات  
القطر والتمتع في بلد تعاهد الله كل شيء  
لكن حكماء نادراً ما عرفوا طريقة  
الاستفادة من ثروات الامة وروبوها  
الحضارية التوافق للعمران والبناء  
وتعمير الكون واحترام القوانين.



من أور في العراق خرج جلباش  
جنوباً إلى شط العرب ليصل إلى دلول  
بشاً عن عيشية الضفود ولما خسرهما  
لألفى قدم للبشرية خلاصة تجريبته  
الروحية واعطاهما كنزها الذهبي الآمن  
من «الجرة الذهبية» فقد اكتشف  
جلباش، وهذا ما أوجت به أسطوره  
لمن جاء بعده بان بناء حضارة الإنسان  
هو الطريق المستقيم للخلود، وتلك حكمة  
لا تعرفها القوت الغازية ولا المتعطلون  
على الحضارات التي ينسفون ألواح  
حمورابي في مكتبة آشور - بانيبول دون  
أن يفكر أحد ببدل أو حرية أو قانون على  
الأرض التي طورت قسماً في أن يشب  
السفاحون أول وأرقى القوانين المدنية.

لقد تحول بلد حمورابي وجلباش  
وعشتار ونوخند نصر والرشد إلى غابة  
بلا حرية ولا قانون ولا فخر، فبالغناء  
تحسبه دوماً هناك الحناجر لتفسح  
طريق الوديان لإنهاء البكاء... ألم أقل لكم  
أنه الحزن العراقي الأبدى العسق  
والصفي، فكما أوشكت الدمة أن تجف  
أو تكاد أطفئها من منابع الروح نللم  
جديد. ■

خوف الماضي بفرح الحاضر وامل  
الستقبل تطل عيون الناس على النهر  
والجسر والإنسان والنخل السامق الذي  
يعلم من حوله بعض قصول الكبرياء،  
ويمنع منهم إلى عودة غزل الجسور.  
دولا المرعوني... دولا المرعوني  
وعلى الجسر للسبي سيوني  
وما مثل بغداد في أياها الزهات  
هكذا قال عنها عمارة بن غفيلي حفيد  
جرير:

ما مثل بغداد في الدنيا ولا الدين  
على قلبيها في كل مالحين  
ما بين فطويل فالكبح ترجسة  
تدني وميت خيري ونسرين  
تحيا النفوس بريها إذا نلحت  
وخرشت بين أوراق الرياحين.  
ولعله في افقرة ذلتها كل أبولالمهر  
الأزدي يصف بغداد نثر: على لسان أبي  
القاسم البغدادي في رسالة أبي حيان:  
«دجلة مشحونة بالمراكب والتزويق

فن سومري، قنرى  
الثاني والحشرون  
قبل الميلاد

ترجم كل زوجة بها والتخيل  
في شطها وعيل  
العراق يقول وقسم مما يفرح، ومن  
جنوبه إلى وسطه حيرة وخوف مما يأتي  
وعلامات استقاهم مما يجري في الشعال،  
فالماسة في كل بيت وأيوب الميلي الذي  
سرق أسطوره العبرانيون ينطق باسم  
جميع العراقيين الحاصرين بين مطرقة  
الغزو وسندان الدكتاتورية، ولسان  
بعضهم يسأل هل جاء الأمريكيون  
لتحريرنا أم لقطعنا أم لنقلنا للسبي  
البياني؟ أما من كف عن الأسطة فينشد  
مع أيوب الرافدين:  
تأمر على المخاض والمراتي  
وانت يا إلهي لا تحبب مسام  
أنا الحكيم ماذا أقيد مع الجيلة  
أنا المدرك العال  
لماذا نحسب مع الجبال  
وفي منطقة تخطط فيها الوقائع  
بالأساطير، والأرقام يزيد الخيلة ويتحكم

ونوايع الصراة وصرصر والقطائع  
وجامع المنصور وقصر ابنته أسماء ودار  
ابن طاهر، ومحلة باب الطاق، ومبكرة  
الرسالة حيث مراند معظم الخلفاء  
العباسيين.

وقد قيل للمنصور حيث بنى بغداد أن  
النجوم تقول أنه لن يموت فيها خليفة أبداً  
حتف أنه، وهي رواية ألقها أبو سهل بن  
نويخت وأرفقها بتوضيح مبتهج يعلم  
الملك حيث قال: «وكان من أعجب العجب  
أن المنصور مات وهو حيا والمهدى ابنه  
خرج إلى نواحي الجبل فمات في  
ماسينان بموضع يقال له الردة، والهادي  
ابنه مات ببغداد قرية شرق بغداد  
والرشد مات بغوس والأمين أخذ في  
شرباته وقتل بالجانب الشرقي والمأمون  
مات باليمنون من نواحي الحبيصة  
بالشام والمعتصم والوافق والمتوكل  
والمتنصر وباتى الخلفاء متوا يساموا لم  
انتقل الخلفاء إلى الناج من شرق بغداد  
وتعطلت مدينة المنصور منهم.

ولاحقاً سوف نجد التوحيد يتحدث  
في الرسالة البغدادية عن ضمول محطة  
الخلد حيث مدينة المنصور التي لا تزال  
تحمل اسم الخليفة المؤسس، وهي ذات  
المنطقة التي دمرت الصواريخ الأمريكية  
في الثامن من الشهر الماضي معطماً فيها  
قيل سوط بغداد بيومين ثلثاً أن بعض  
أفراد القياة العراقية يجتمعون فيه.

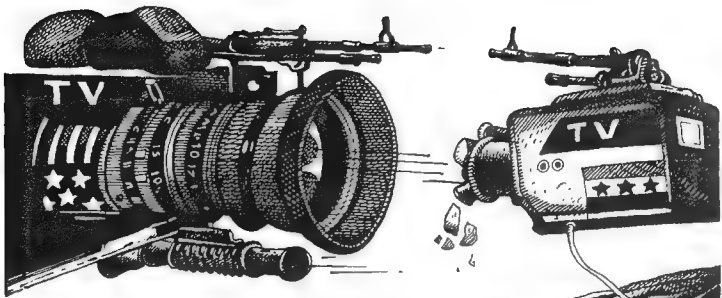
ولم يدمر البيت هجوت بسلاصهم  
الصحت تراث الرشيد والمنصور فحسب  
بل ومعهم إرث ابن العباس السفاح في  
الأنبار - المنطقة المعروفة حالياً باسم  
الفلوجة - وفيها نصف الأمريكيون موكب  
السفير الروسي في الأسبوع الثالث  
للحرب.

وهذا الخراب الأمريكي لم يعال التراث  
العربي والإسلامي وحده بل وصل إلى  
الآثار السومري والبابلي، فهناك مدن  
سومرية كثيرة تعرضت للحصص منها  
واحدة قرب الناصرية من القرن الرابع  
قبل الميلاد كان اسمها «دجش» وتعرف  
حالياً باسم هيباء، ولا أحد يعرف قبل أن  
ينجلي مخان المعارك أن كان التدمير قد  
طال «أور» و«الزقورة» وعشرات المواقع  
البابلية التي صمدت فيها عشتار داعية  
إلى الحب بدلاً من الحرب.



ثرى لم كان السياب ابن جيكون  
وجار البصرة وعاشق بغداد ينظر إلى  
هذه الأيام حين قال واصفاً احزان عشتار  
في قصيدة «معيبة بلا مطر»:  
عشتار عطشى ليس في جبينها زهر  
وفي يديها سلة ثمارها حرج  
العدل والثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م





معاريف  
- 2003

ان جذور الحرب النفسية  
تضرب في اعماق التاريخ  
الشرى اما ظلال المصطالح وقالبور  
موجة عالمية متخسمة تقوم على خدمة  
الهندسة فقد كلفنا ابتكارا  
امريكي ياكباد ان  
يكون خالصا

قلمدي حسيطن

# الحرب



■ ■ ■ الحرب أيًا كان نوعها لعل يقوم به فرد أو تقوم به جماعة بهدف إجبار الخصم على التسليم بما هو مطلوب منه أو بإبلاغه بفرض عليه. وتنبين الحرب بغير إعلانها أو لنتائجها أو لآلاتها. لمة حرب كيميائية، وحرب بيولوجية، وحرب نووية، واقتصادية، وإعلامية إلى آخره. الحرب النفسية وظًا لهذا التصنيف في تلك الحرب التي تعدت على أدوات التأثير النفسي لتحقيق نفس أهداف الحرب بعمامة. وإذا كانت الحروب «المادية» تستهدف الماديات بما فيها أبعاد البشر، فإن الحرب النفسية إنما تستهدف «تعديل سلوك وأفكار البشر» وذلك وفقًا لما هو متوافر من قوانين علمية تتحكم في السلوك وتعديل أنماطه. ولا يتسع للمقام للتفصيل في عرض لتطور العلمى اكتشف تلك القوانين، واتساع وتحديث مجالات التطبيقية لتعدد من مراكز مكافحة الإيحاء، ومؤسسات إعانة تغليب المرضي، إلى معسكرات الاعتقال وتحديث مجالات التطبيقية لتعدد الحرب النفسية باعتبارها سلاحًا من أسلحة القتال - وهي كذلك بلفظ - فإننا سوف نسويع حقيقة أن المعلنين في هذا السلاح القتالي يحتاجون شأن غيرهم من المختلئين إلى ثقافة ماضية خطوط الإمداد والتعمين، تحديث معلوماتهم عن الجماعة التي يتنمون إليها، ومعلوماتهم عن العالم المحيط بهم من أصداء وأعانه على حد سواء، وكذلك تحديث معلوماتهم في مجال تخصصهم إلى علم لنفس بفرسعه الختلفة. وإذا كانت المعلومات العسكرية تهتم بحجم القوات ونوعية تسليحها ومواقع انتشارها، فإن الحرب النفسية تشمل كل ما يستغل في سلوك البشرى الراهن والمتوقع للجماعات المستهدفة في الداخل والخارج. وتزاد أهمية تلك المعلومات كلما اقرب السلوك للرسوب من مناطق التأثير على الروح المعنوية للخصم وللجنح والأخريين على حد سواء.

## نظرة إلى التاريخ

يبدو لوهلة الأولى كما لوكان مفهوم الحرب النفسية مفهومًا حديثًا، وقد يكون الأمر كذلك لو قلنا منذ حدود ظهور المصطلح بصيغته الراهنة، والتي بدأ تداولها مع نذر الحرب العالمية الأولى، أما من حيث الممارسة الفعلية فقد عرف

البشر الحرب النفسية ومراسوها منذ عروفا ومارسوها بختلفة أشكالها، أي منذ فجر التاريخ. مارسوها في البداية بصيغة توقع الربيع في قلب العدو، أو تثير الجشاعة في قلب المهاجم، وتطورت الصرخات البدائية شيئًا فشيئًا لتصبح منشورات وإعلانات وحسابات بث تلفيزيون، وخطابات مقلدة يصنعها المتخصصون في فروع الحرب النفسية. ولعلنا لنإلحاح إلى ما قلنا أن ممارسة الحرب النفسية لم تتوقف قط حتى في فترات السلام القليلة المتخللة التي عاشتها البشرية عبر تاريخها الطويل، حيث ظلت الحرب النفسية قائمة لا تفرق في فترات القتال والسلام على حد سواء، ولعلها تكون أكثر صخبًا، بل وأشد خطرًا حين تمدد تيران القتال وتضمت الدوافع، حينئذ تكون هي السلاح العامل الوحيد، ولعل نموذج ما يعرف بحقيقة الحرب الباردة، أو tepatnya للحارح وللإسلام التي بدأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية واستمرت إلى انهيار الاتحاد السوفيتي كانت نموذجًا مثاليًا لحرب ضارية لم تعرف الرحمة اعتمدت على ترسانة من الأسلحة الفتاكَة الصامتة تضم الاقتصاد والديبلوماسية وغيرها، وعلى رأس تلك الترسانة سلاح الحرب النفسية.

في عام ١٩٤١ اعتمد رئيس الولايات المتحدة الأمريكية قرار الكونجرس بتأسيس ما أطلق عليه «مكتب الخدمات الاستراتيجية للأعداء» وكانت الخدمات الاستراتيجية المولدة لهذا المكتب تشمل جمع وتحليل المعلومات عن أنشطة الأعداء، والاعتماد على تلك المعلومات «في رفع الروح المعنوية لجوئنا، وخفض الروح المعنوية للأعداء»، وكان في مقدمة مهامه مجموعة متميزة من أبرز المتخصصين في علم النفس آنذاك. وأصبح مكتب الخدمات الاستراتيجية فيما بعد معوًا رئيسيًا من معونات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية حين أنشئت عام ١٩٤٧. وقام المكتب تحت تلك المظلة طيلة حلبة الحرب الباردة باستخدام كافة منجزات علم النفس في إدارة حرب نفسية مخلفة ضد الاتحاد السوفيتي وحلفائه، وظلت تلك الحرب مفتعلة على كافة الجبهات إلى أن انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك. ورغم أن أحدًا لا يستطيع الزعم بأن تلك الحرب النفسية كانت السبب الوحيد أو حتى الأساسى في حدوث انهيار الاتحاد السوفيتي وما ترتب على انهياره من تغيير حاسم في علاقات القوى الدولية، إلا أن أحدًا لا

يستطيع كذلك إنكار الدور الذى لعبته الحرب النفسية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الصدد. وتعددت مسجات المؤسسة المستهدفة عن هذا النوع من الإنشطة، فشهد عام ٢٠٠٧ افتتاح مكتب جديد، يحمل اسمًا جديدًا، وإن كان يتولى نفس المهام، تحت اسم «مكتب التقالير الاستراتيجية» Of Office of Strategic Influences وأولكت إليه مهمة ما يسمى بعمليات المعلومات Information Operations. ولم يبدت وزير الدفاع الأمريكى رامسفيلد أن قام بإلغاء المكتب في فبراير الماضى بعد أن ثارت بشانه فضيحة تتعلق بقرابة في ذرع مقالات إخبارية كاذبة في أجهزة إعلام أجنبية، وأنشئ بديل له أطلق عليه مكتب جديد هو «مكتب الأنشطة المعلوماتية» Office of Information Activities .

خلاصة القول أن جذور الحرب النفسية تضرب في أعماق التاريخ البشري، أما ظهور المصطلح وتطور مؤسسة علمية متخصصة تقوم على خدمة أهدافه فقد كانا ابتكارًا أمريكيًا يكاد أن يكون خالصًا.

## تحويلات في خريطة

## الحرب النفسية

اتخذت المعسكرات المتحاربة في ساحات الحرب النفسية مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، نفس الشكل الذى اتخذته الصراع العالمى. لقد انقسم العالم عشية انتهاء تلك الحرب إلى معسكرين أساسيين. أحدهما بقيادة الاتحاد السوفيتي يضم أساسًا دول أوروبا الشرقية، والآخر بقيادة الولايات المتحدة ويضم أساسًا دول أوروبا الغربية. والصراع العالمى - تقسيم بهذين المعسكرين بقية دول العالم التي اختلفت تسمياتها بين دول العالم الثالث، أو دول عدم الانحياز، أو دول الحياد الإيجابي، أو دول النامية إلى آخر تلك التسميات التي قد تعكس في حد ذاتها ملامحًا من ملامح الحرب النفسية التي نحن بصدد تناولها. تصمدت جبهات المواجهة بين المعسكرين الكبيرين، وتملتج جبهة المواجهة العسكرية في قيام حلف الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة حلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفيتي. ولكن تلك الجبهة

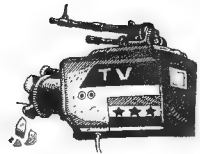
المعسكرية لم تكن الجبهة الوحيدة، بل إنها لم تكن أكثر الجبهات ظهورًا طوال فترة الحرب الباردة. كان لمة جبهة أخرى أكثر سخونة وظهورًا وأشد صخبًا، وهي جبهة الحرب النفسية. كل يحاول أن يتوجه بحريته كتشف مثالب وعورات المعسكر الآخر، ويسعى في نفس الوقت لإبراز إيجابياته وإنجازاته. كل يحاول أن يتوجه بحريته النفسية إلى جمهوره ليضمن تماثله، وإلى جمهور «العدو» لدفعه للوراء، وعلى تلك الدول المتحاربة بالمعسكرين وعلى لكسب الحلفة.

ولا يتسع للمقام لإستعراض أدوات وآليات ومراحل تلك الحرب النفسية الضارية، فقد أصبح المراق على أنه زمة التاريخ بعد أن انهيار الاتحاد السوفيتي وتغيرت صالاح العالم، وكان ضروريا تبسح لذلك أن تتغير ملامح الحرب النفسية.

وليعا نرى فإن الحرب النفسية التي نشهدها اليوم موكية للحرب المعسكرية الجارية على أرض المراق لم تنهد مع بداية هذه الحرب منذ أسابيع قليلة، ولا حتى مع بداية ما يعرف بحرب تحرير الكويت، لقد بدأت تلك الحرب عشية انهيار الاتحاد السوفيتي مباشرة، ويصعب علينا محاولة فهم ما يجري أمام أعيننا اليوم من حرب نفسية ضارية إذا لم نسبق ذلك محاولة لتبين ما جرى عندما سيطر الاتحاد السوفيتي، أيسقط اعتمد الاتحاد السوفيتي وتغير الخريطة السياسية للعالم، كان لا بد أن تتغير خريطة جبهات الحرب النفسية. لقد فقدت أوروبا بسقوط الاتحاد السوفيتي ذلك الخطر الذى كان يهدد الغرب الرأسمالي بعمامة، وبذلك ان التحالف تحت قيادة الولايات المتحدة في مواجهة، ولعلنا لنإلحاح إلى ما قبلنا القول بأن مبرر وجود حلف الأطلسي قد اهتز من أساسه بعد انشقاح حلف وارسو بانهار الاتحاد السوفيتي، أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فقد كان لتأثير انهيار الاتحاد السوفيتي عليها مزدوجًا. لقد فقدت بانهار ذلك الخطر الذى كان ضمن لوى التوحيد الدائلى للمجتمع الأمريكى متحدت الخلافات والأصول، وكان زماما عليها في هذا الصدد أن تختار لها خطرًا تضمن به استمرار وجود الصف الدائلى. الاختيار في هذا السياق لا يخلو الإصطاع من أنشئ، بل تضخيم خطر يقوم بخلق والترويج العدائلى به بحيث يفهم بولاية الاتحاد السوفيتي في معالم القديم.



# وجدت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضمانتها في ذلك العمل الإجرامي الذي وقع في ١١ سبتمبر الشهير، فأصبح الخطر لدى الشارع الأمريكي متجسدا فيما عايشه الجمهور الأمريكي في ١١ سبتمبر



الحلقة الأولى، أي مرحلة غزو/ تحرير الكويت في إبراز أن الكويت قد عادت أخيرا وبشكل نهائي لوطن الأم والتي الأمر بلا رجعة، وصاحبت تلك الرسالة الأساسية بعض الرسائل الفرعية المتعلقة بسرعة حكام الكويت ليعزول العراق، واستغراقهم في مذامتهم وما إلى ذلك.



أما الحرب النفسية الأمريكية بالنسبة لتلك المرحلة فتلخص رسالتها في أن العراق قد انتهت الشرعية الدولية بفرضه لدولة الكويت المستقلة كاملة السيادة، وصاحبت تلك الرسالة الأساسية بعض الرسائل الفرعية المتعلقة بممارسات العراق في مجال انتهاك حقوق الإنسان.

ونجحت الولايات المتحدة الأمريكية في حشد تحالف دولي مساعد للحملة العسكرية، في حين أخفق العراق حتى في حشد تحالف عربي يساند رسالته. وبدأت الحلقة الثانية بالدعوة لإجبار العراق على نزع ما لديه من أسلحة لدمار الشمال، وتتوالى في مشاهد تلك الحلقة من حصار للعراق، والاتفاقيات للنقط مقابل الغذاء، وتقديم وحسن لعل المثشين الدوليين في البحث عن أسلحة الدمار الشامل، وتنشهي الحلقة الثانية من المسلسل بقرار الولايات المتحدة الأمريكية بشأن الضرب على العراق.

ولقد قامت الحرب النفسية الأمريكية في تلك المرحلة على فكرة أن العراق يمتلك أسلحة لدمار الشمال ينبغي تجريدته منها، ونجحت الولايات المتحدة الأمريكية مرة أخرى في حشد تأييد دولي لتنفيذ هذه الفكرة من خلال عمليات التفتيش التي تشرف عليها الأمم المتحدة. وقامت الواجهة العراقية لوقف على فكرتين أساسيتين، الفكرة الأولى هي امتلاك العراق لثقل تلك الأسلحة في الوقت الراهن، والفكرة الثانية أن العراق يلتزم بالشرعية الدولية في هذا الصدد. ونجح العراق بذلك في كسب تعاطف الأمم يساند تحالوفه مع جهود الأمم المتحدة في هذا الصدد.

الخطر الذي كان يمثله الاتحاد السوفيتي، التحدي الاقتصادي والحضاري الذي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية، وإن ظلت ضمن تحالف دولي يجيده تقوده الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا وإن كان يستهدف هذه المرة ذلك الخطر الجديد، خطر الحلفاء الدولي والدول التي تزداد، أما بالنسبة لبقية دول العالم، دول العالم الثالث، فقد قلقت بانتهيار الاتحاد السوفيتي ميزة العيش في عالم اللطيفين الكبيرين، ذلك العالم الذي كان يتيح لها قدرًا من المأثورة المقصودة، والتأرجح غير المقصود، بين العملاقين المتصارعين بما يسمح لها بالاستفادة من صراعهما باعتبارها ضمن أهداف كل من المحالطين لكسب حلفاء، لقد أصبحت تلك الدول في مواجهة خطر جديد هو التحدي الحضاري والاقتصادي بل والعسكري الذي تمثلته الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة لها.

## مقدمات لما يجري

ليس من شك في خطورة الدور الذي لعبته وتلعبه أسلحة الحرب النفسية في تطور الأحداث منذ البداية، وقبل أن تقترب من محاولة تبين ملامح ذلك الدور، قد يكون من الملائم أن نشير إلى أن جوهر الحرب النفسية لم يتخلف عبر التاريخ، تتمثل البداية في رسالة يقوم على صياغتها قادة الحرب النفسية، وأهم مكونات هذه الرسالة-وهو تمييز الإدمان في القتال، وتوجيه الرسالة إلى نوعيات ثلاث من الجمهور: جمهور الجماعة وأبنائها للخلاطين بهدف رفع معنوياتهم، وجمهور ومقاتليهم بهدف خفض معنوياتهم، ثم جمهور العالم ولادته بهدف كسبهم كحلفاء، ويقاس يوم نجاح أوإخفاق أي خطة للحرب النفسية بمدى تحقيقها لتلك الأهداف المخطوة بها وعلى رأسها «بالرسالة».

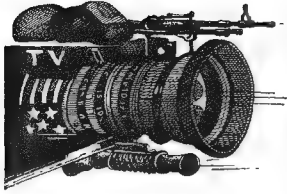
بدأت الحلقة الأولى من حلقات المسلسل بفعل يبدو غريباً: إقدام العراقي على غزو الكويت، وتوالى مشاهدنا لانتشهي بإجبار الجيش العراقي على الانسحاب من الكويت وتوقيع حلقة باعتماد مؤتمر الدوليات في مدريد، تلخص الرسالة العراقية في تلك

المستهدف من تلك الحرب النفسية مجرد تجسيد الخطر الخارجي، بل كان الهدف الداخلي والأهم -فيما نرى- هو التخلص من تلك الليبرالية الأمريكية التي فقدت وظيفتها بالنسبة للسلطة الحاكمة مع غياب الاتحاد السوفيتي من الساحة. وبدأت السلطة الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتحت ضغط مكثف من آلة الحرب النفسية، في توجيه ضرباتها للدخل، ولعل خير ما يعبر عن ذلك تلك الوثيقة التي يجري نشرها وتدوئها حالياً، والتي تحمل حتى الآن توقيعات ما يزيد على ٦٥ ألفاً من معارضي الحرب وسياسات الإبادة الأمريكية الحالية، تضم قائمة المندوبين العديد من مشاهير المثقفين والعلماء، إن قراءة مدققة لتلك الوثيقة تكشف بوضوح أن تلك الخشية من الأمريكيين قد كشفتوا عن هدف أساسي وثيق الصلة بفرض العراق، هدف يبدو بعيداً عن الشرق الأوسط برمتيه، إن الواعين على الوثيقة يربطون بوضوح بين ما حدث في ١١ سبتمبر وغزو العراق وما أقدمت عليه السلطات الأمريكية حيال الليبرالية في الداخل، فتقول الوثيقة: ... شاهدنا مصدومين أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ المرعبة... لأن الحداد ما كان يبدأ حتى أطلق قادة كبرية الأرض العنان لروح الفخر، وضعضوا سياريو مغرطاً في التمسيط عن الخبر في مقابل الشر، والذي تم تناوله من قبل وسائل إعلام طيبة وخلاقة إلى حد أنها قالوا لنا إن التساؤل من سبب حدوث هذه الكارثة يقارب الخيانة، لم يعد هناك مجال لأي جدل، لم يعد هناك أي أسئلة سياسية أوأخلاقية شرعية، وأمسى الجواب الوحيد للحمل هوالحرب في الخارج واقع في الداخل.... نشرت الحكومة الأمريكية فوق للجمعية حرجاً قاتعاً من الفصح، وقد انشز الأمريكي باسم الرئيس فانس للاقتياد إلى ما يتلووهون به...»

أما التأييد الثاني لانهيار الاتحاد السوفيتي واختفائه من الساحة الدولية، فقد تمثل في ترسيخ تصور لدى الولايات المتحدة الأمريكية بأن العالم قد انفتح أمامها لتسعى لإعادة تشكيله ليصبح عالمها في حفسب، عالم القبط الواحد، ومن ثم قلقت بظهور أوروبا نفسها في مواجهة تحد جديد قد لا يرقى لدرجة

إن الدور التوحيدي الذي يلعبه الخطر الخارجي، قد أصبح من الحقائق الكلاسيكية في علم النفس الاجتماعي وبيناميات الجماعات، ويصبح وجود هذا الخطر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في إطار مقترحات العالم الجديد أكثر ضرورة إذا ما وضعنا في الاعتبار حقيقة أن قيام الولايات المتحدة الأمريكية على توفير مناخ ليبرالي يؤكد حرية الفرد، كانت تلك الليبرالية لعملاً مقبولا في إطار الحرب النفسية الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي، أما وقد انهار الاتحاد السوفيتي، فقد أصبحت تلك الليبرالية ذاتها تمثل عبئاً بل تهديداً بحيث أصبح لعمها في نظر البعض قد يفوق علائها، ووجدت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضمانتها في ذلك العمل الإجرامي الذي وقع في ١١ سبتمبر الشهر، فأصبح الخطر لدى الشارع الأمريكي متجسدا فيما عايشه الجمهور الأمريكي في ١١ سبتمبر والذي اعترف أسامة بن لادن بتفنيه له سياسياً رغم تحفظ البعض حول أن ذلك الخشني السياسي الواضح والمثير لا يرى ليكون اعترافاً صريحاً باستنوية الجانيّة عن ذلك الفعل الإجرامي، ويصرف النظر عما يشوب التحقيقات الأمريكية في هذا الصدد من غفوض، فإن الحقيقة التي أصبحت واضحة لدى جمهور كبير من الأمريكيين، والتي تبرزها وتؤكددها هو سياسة آلة الحرب النفسية الأمريكية في أن «الخطر الذي يهدد الوجود الأمريكي يتغلغل في الأرباب» وإن الرمز الأساسي لذلك الخطر يتجسد فيما يدعاه أسامة بن لادن «السلام الغربي» ولم يكن غريباً ولا مصعباً إن يعم نموذج بن لادن ليشمل المسلمين والعرب خاصة، إن قانون تعميم رمز التهديد ليشمل أسيابه، قد أصبح أيضاً من كلاسيكيات علم النفس في مجال نظريات التعلم، وتزداد مهمة ذلك التعميم الأمريكي سهولة في ظل تفويض عربي مشاؤات البرجانتات خلال التسوية الأمريكية في الشرق الأوسط، وهونوفر ظاهراً لاحتاج لجهد شخصي لمرصده، فالأمين المجردة تقع مخيل متكرر على مشاهد حرق الإعلام الأمريكي.

ولكن آلة الحرب النفسية الأمريكية رغم كفاءتها الحرفية الفعالة، لا يمكن أن مقدورها أن تحلق نجاحاً كاملاً، لا يمكن



## لقد اعتمد الطرفان في الترويج لرسائل

الحزب النقيسية بشكل أساسي على

الإعلام التليفزيوني الذي يكسب

مصدقيه من خلال ان المشاهد

يسرى ويسمع، فيظن أنه

يهادش الحدث

بالفصل



## الحلقة الحزبية:

هنا نحن نعيش اليوم وقائع الحلقة الثالثة من ذلك السلسل الممتد الذي يمكن ان يحمل اسم إعادة تشكيل عالم ما بعد الاتحاد السوفيتي.، ولقد بدأ هذه الحلقة الثالثة بملأ الويات المتحدة الأمريكية بالاشتراك مع بريطانيا الحرب على العراق. ورغم خسوف أصوات الرضا والذخاف، وإعلان سقوط بغداد في أيدي قوات التحالف، واختفاء رموز النظام فجأة وبشكل غير متوقع، رغم كل ذلك، بل وربما يسببه فقد اتسع نطاق الحرب النفسية وتزايدت استحقاقها.

لقد انتصرت قوات التحالف الأولى التي الميرطاني انتصاراً حاسماً، ولكن ذلك يعني بالضرورة انتصاراً مائلاً وبشكل تلقائي للحزب النقيسية التي شذت تلك القوات، ولمحاول ان تسترجع صلاحيات الكونيات الأساسية لرسائل الحرب النفسية الأمريكية التي صاحبت القتال والتي مازالت تتدفق لتأكيد الانتصار، واتخاذ المسرح لتأكيد الانتصار.

لقد تمكنت ادم تلك الرسائل في تفتريز على التلوق الحسري الاسري غير اللبوق، وعلى التوكائيات لترعية لاسلحة امريكية جديدة لم يشهد العلم لها مثلاً من قبل. وكان لهذه الرسالة هدف مزدوج: إثارة عرع في قلوب العراقيين، وبث الغائبية في قلوب الأمريكيين.

وتعلت الرسالة الثانية في صياغة هدف يبدو مشروغاً للقتال، ولقد خفصت هذه من خطر امتلاك العراق لاسلحة دمار شامل، ومن ثم كفاءة الأمن الجيران العراق والعالم، وايضاً تحرير العراق من الحكم الديكتاتوري لنظام صدام حسين. في مقابل هذه الرسالة الأمريكية المركبة كانت الرسالة العراقية الرئيسية شديدة التركز. إن غزو استعاري خائب سوف تقاومه وتدحر.

لقد اعتمد الطرفان في الترويج لرسائل الحرب النفسية بشكل أساسي على الإعلام التليفزيوني الذي يكسب مصداقيه من خلال ان للمشاهد يرى ويسمع، فيظن أنه يعايش الحدث بالفعل، رغم أنه في الأحوال لا يلا من خلال رؤية مخرجه للمشهد. وعلى أي حال فقد اتيح للمشاهدين متابعة ما يشهه المناظرة الحية بين المتحدثين الرسميين

العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م

من قاعدته وحين يعجز عن ذلك يستعين بمحاولة الأمريكية لتحقيق هدفه. رسالة واضحة يقول مخرجها من خلالها لقد تنقش لشعب فخرجي لاصعده ان سقوط طماعي واتجه في تغيير فوري الصاد من مشاعره حديه. ولم يلق اصحاب لرسلة ملأ هذه المرتكبة تفسير فلة الأعداء المشاركة، ربما لانهم لم يعودوا حيال رسالة نفسية عراقية مضادة. اما للشهد الثالث فقد كان يحمل رسالة ذات وجهين: كراهية السلطة البائدة، والحاجة لسلطة تحفظ النظام ولعله بسبب ذلك ازدواج فقد استغرق المشهد وقتاً أطول، لكنه جاء بهامير عراقية تتهب محتويات الجبانى والمؤسسات الحكومية في منأخ تسوره فوضي حارسة. والهدف الأول لاصحاب هذا المشهد يتمثل في تأكيد الرسالة التي حملها مشهدهم الأول. إن كراهية الشعب العراقي لا تقتد لكافة رموز السلطة التي غاب افرادها لم يعد أمام السلطة الغاضبة سوى نهب القصور والبياني الحكومية. اما الوجهة الثاني للرسالة فهي ان العوشي تهدد الجميع ومن لم فاطلب العالج هو قوام سلطة (أ) كانت لإعادة الانتقام، وليس من جهة يمكن التقدم إليها بطل هذا اللطم سوى قوات التحالف.

تري سدا عن حجاج كل من الرساتين في كسب الخلفاء؛ لعل مما يستوقف النظر ان صناع الرسالة يملأ هذا اللطم سوى قوات التحالف. الأمريكية ومديرى حركتها لم يبدو حرساً على كسب الخلفاء. بعكس ما فاعله في الحلقة الأولى حين بدلو كل ما في طاقهم حتى حققوا تحالفاً دولياً واسماً. إننا نستطيع ان نرجع ذلك بسبباسة التي خطا في الحسابات الأمريكية، او حتى عجز موضوعي عن بناء تحالف ما. وإن كان كل ذلك وارداً في سبيل الاستدانة غير التوري. بل حرمات الولايات المتحدة الأمريكية على تضيق نطاق التحالف المطلوب؟ هل هو سعي للانقاذ بالغالب المتوقعة؟ هل هي رسالة غير مكتوبة تقول لأمريكيين بل وللعالم بأسره ان زعيم عالم القبط الواحد بل في حاجة لحد؛ كلها تساؤلات مطروحة لم يحن الوقت بعد للإجابة عليها.

اما على الجانب العراقي فإن الامر لا يختلف كثيراً من

النظام العراقي، ولكن الامر لم يستمر كذلك. وللقاد أمام مشاهد ثلاثة غنية بالدلالات في مجال الحرب النفسية. المشهد الأول لصدام يتجول في أحد شوارع بغداد والمركبة مازالت مشغولة بالتلفي بجعم من المواطنين العراقيين يتقنون باسمه. المشهد الثاني اجمع من المواطنين العراقيين يتناحون لهدم تمثال لصدام حسين حتى يتنجحوا بمساعدة بناية أمريكية في انتزاعه من قاعدته. المشهد الثالث لجماهير عراقية شوارع بغداد. المشهد كان جزءاً من الحرب النفسية العراقية، والمشهدان التاليان كانا جزءاً من الحرب النفسية الأمريكية. وكما نحن المشاهدين جزءاً من الجمهور المستهدف. ونسلم أو لا بان تلك المشاهد الثلاثة كانت مشاهد واقعية بمعنى انها جرت فعلاً.



لقد كان إخراج للشهد الأول رمزاً سواء من حيث تقنيات أو من حيث الرسالة التي يحملها المشاهد. رسالة تعبير عن الخصائص الأساسية للجمهور المستهدف: «لقد يتميز بشاعفة فريدة خارقة ولقة غير محدودة بخصر، يخرج من في شعبه في شارع من حراساته ولعركة مازالت قائمة للوقوف حوله الجمهور ويهتف بحبياته» وقد تسال أحد المتطمين للمحسنين تلك تترى هل من سلوك دكتاتوري بشعب؟، مشهد يأخذ حلقاً بالفئة جمهور عربي يتطلع لقائد فردي استثنائي في شجاعته ولقته بنفسه ليقوده إلى النصر. وما يفت صاحب الرسالة حقيقة لاحتها الجمهور وهي قلة عدد اللشوقيين، لكنه بارتيتقيد إطار تفسيرية يدوم الرسالة ولا يتخلص من دلالتها، فتقوم لركتين كان فليطاً دون زعاده أو يروؤكول وفي الحرب لا تكون الشوارع عادة غامرة بلبش.

اما للشهد الثاني فقد تميز أيضاً بإخراج مبههر، وحمل رسالة مباشرة بالدلالات. جمهور عراقي يرى التناحور الروح المعنوية. فاطريق إلى ثقافة إجراء الصباوات التلهلية مزال أول طوي. لقد بدت لنا استجابة الشارع العراقي في البداية استجابة إيجابية لرسالة

# ... والمعارك النفسية

الحرب النفسية

وليس غريباً أن نفس الألفاظ قد استخدمت لوصف قهولوكوست كسياسة دولة استهدفت إخضاع مواطنيها وغيرهم عبر لصدمة ودرعهم، وقد اتضح بالفعل أن الهدف لم يكن «صدام حسين» أو أسلحة الدمار الشامل، ولكنه تحديداً كما لال مؤلف الكتاب: «تخبط شعب العراق مادياً وشعورياً ونفسياً، ويقارن المحلول بين صف بوش للعراق، وصف هتلر لقبرية «جورنيكا» في إقليم «قباسك» الإسباني خلال الحرب العالمية الثانية، لهذه القبرية لم تكن لها أية أهمية عسكرية أو استراتيجية على الإطلاق، ولكنه كانت مثل بغداد - مركزاً ثقافياً ودينيّاً، وجاء قصصها لإرهاب الإنسان وكسر روحهم المعنوية، وبش قدرتهم بل وغيبتهم في القاموس».

هل نجحت الحملة الأمريكية؟ وهل حققت أهدافها النفسية والمعرفية؟

سؤال قد يري البعض من المنجز الإجابة عليه بسبب قلة المعلومات أو غشوش الصورة الحالية، ولكن دعونا نرصد المشهد خارج ميدان القصف،

**أولاً: الضمير:**

لا نبالغ إذا قلنا أن «الضمير» هو الحرب التي بدأت قبل الهجوم بكثير، ويبدو أنها انتهت، ونساق هنا استكشاف جوانب الضمير ثم ننقل لاحقاً لبنيان آدارم النفسية المعيملة.

- منذ أن وصلت «ماتيلان أولبرايته» المليون طفل عراقي الذين ماتوا بسبب الضمير على أديمهم (Collateral damage)، أو مجرد آثار جانبية للدواء الأمريكي (...). وربما من ثمار تصريحات أولبرايته تم حشد ترسانة من جرائم والمخاطبات والتجديرات المخلوطة، ولا يتسع مجلد من ألف صفحة للإحاطة بكل هذه الأكاذيب التي وصلت إلى درجات غير مسبوقة من القبح، وأذكر هذا أمثلة قليلة:

\* تدمير الطرق وشبكات المياه والصرف الصحي - استهداف البنية التحتية للجيش المعادي

\* إغراق المدن بوابل مستمر من القنابل الفتاكات - تدنلات جراحية

\* احتلال العراق وتدمير شعبه ومنه = تحرير العراق شعباً وأرضاً

ويمكن رصد العديد من الأمثلة على التلاعب بالإنفاظ، واختلاق الأكاذيب،

والناطقون بها يعرفون أن كلمة (Awe) لها ظلال روحية، فهي تحمل خليطاً من المعاني وتتضمن نوعاً من مشاعر قرع، والاحترام، وادخشة في درجة الذهول، والإنسان الذي يتملكه هذا الانقاس، مأخوذاً بما يراه من آثار الدمار، أو عنف القصف، أو شدة لصدمة، وأحسب أن ترجمة Awe إلى «رعب» لم تكن موفقة أو غير كافية على أحسن تقدير.

ويعود هذا التعبير إلى عنوان كتاب صادر عام ١٩٩٦ عن الجامعة الوطنية للدفاع التابعة للبيتاجون، والكتاب يتحدث عن استراتيجية عسكرية منها تحقيق السيطرة السريعة على العدو، ودفعه إلى الاستسلام بالخصائر مكنته، والأهم من ذلك كله، بل التسبيل إليه أن يتم ضرب إرثه العسود ومعنوياته فيشعر بالعجز للام، ويانه لا مفر من التسليم، ولذلك فإن الصورة التي ترسمت في أذهان مؤلفي الكتاب، وهم يرسمون خططهم كانت صورة ظلمات وذهول وألم قتي ملأت عيون من بقوا أحياء بعد القصف الواسع في الحرب العالمية الأولى، وأروا في هذه الحصور من المعاني ما يتجاوز خيال الجنس البشري، وللأفلا، والذاريخ.

هذه الصور كانت هي «المهمة» لأوضاع استراتيجية لصدمة والرعب! ونفس الألفاظ تم استخدامها لوصف مشاعر الأمريكيان بعد تجديرات سبتمبر ٢٠٠١، مما دفع أغراض الحملات على العراق هو الانتقام للحادى عشر من سبتمبر عبر تقديم القتي للندن العراقية، أو أهم معامها، وتدمير القنصير لقمصير أنغويوات العرب والمسلمين، بل وكل معارضى الحرب حول العالم وأضرهم بالكل والإهانة.

■ اعتدت الإنسانية عبر مساهرها طويل، وعبر الملة وولحد وتسعين مليون إنسان قذين ففدوا حياتهم كالمر مباشر أو غير مباشر للزعات للسلحة في قسن العشريين، وتصفهم من المنديين بالمناسية، إلى حقيقة أن الحروب تبدأ في العقول والضمائر، وعلى هذا الأساس قامت سياسات البيونسكو الثقافية والقربوية في برامج «التعليم والتربية من أجل لسلام»، ومقلنا القتي قد يفتقد أن الحروب تدور أساساً في النفوس والعقول، وتقل الانتصارات والقزائم هناك، في فاذكرة والعقل الجمعي، حتى وإن زلت آثارها من على الأرض.

تابع العلم كله على مدار الأسابيع الماضية كمايوساً رهيباً أطلع من فيه أنه في الحقيقة يحدث لا في المئات، والألفاظ من ذلك أن قرأى لسلام العالمى كان مهيباً له عبر الخطط التي كانت تنشر تباعاً في وسائل الإعلام بوصفها اكتشافات وسبقاً صحفياً لهذه الجربة أو تلك بينما هي في الحقيقة تسريبات متعمدة من البيتاجون أو المخبرات المركزية للتخضير المعنوى وبث قرع من لعية، ولإحباط كل محاولات المعارضة للضرر على المستوى الداخلي الأمريكى، وعلى المستوى العالمى كله شعبياً ورسمياً، ولذلك فقد ذهبت أمريكا وبريطانيا للضرر وحدهما، وبقيت أوروبا تنسج وتشتكى، والمظاهرات تنطلق بىلايين حتى بذات «العمليات»، وليس من قبيل المصادفة أن تحمل الهجمة شعار «الصدمة والرعب» (Shock and Awe)، والمعلنون باللغة الإنجليزية،

حيث النتيجة الواقعية، لم تنجح الرسالة العراقية حتى الآن في بناء تحالف دولى أو عربى يستند للقائمة العراقية بدرجة فعالة.

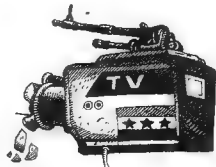
وتبرز في هذا السياق تلك الرسالة العراقية المتولدة في مثل هذا الموقف، والتي كانت تتوجه إلى «الجماميه» وه الشعب، مباشرة، داعية إياها للثورة على حكامها باعتبار أن الخطر لا يتهدد العراق وحدها بل العرب والمسلمين جميعاً.

**ومصاداً لصدمة**

ترى ماذا عن رسائل المستقبل؟ هل جرى إعداد رسائل الحرب النفسية للمرحلة القادمة؟ لو كانت الأمور تجري وفقاً للخطط العلمى الصحيح، فإن هذه الرسائل ينبغي أن تكون جاهزة بالفعل، أو في طور وضع للسمات الأخيرة لها، بل إن ما شهدناه خلال القتال من تكرار تداول مصطلحات مثل «مرحلة ما بعد صدام»، أو مرحلة إعادة تعمير العراق؟ إلى آخر تلك القائمة من المصطلحات التي شاع استخدامها منذ وقت مبكر بين الأطراف جميعاً، إنما تثبت أن الاستعداد لإطلاق تلك الرسائل الحربية النفسية كان يجري على قدم وساق.

لقد نجحت قوات التحالف الأمريكى البريطانى بالفعل في الإطاحة بنظام صدام حسين. والسؤال هو: هل يؤدي ذلك تلقائياً إلى تكريس عالم القطب الأمريكى الأوحده ترى هل سيقبل العالم بذلك؟ وماداً عن العالم العربى؟ هل ستقبل الدول العربية باحتلال أمريكى سافر في الخلفه؟ وإذا ما قبلت تكفي ستولج شعوبها لتي لا تكون تذاك مدفوعة للفاضة بين تأييد «تخاتورية صدام» ومقاومة «استعمار العراق»؟ ثم ماذا عن موقف إسرائيل والوقوف من إسرائيل في ظل هذا السيناريو؟ هل ستظل الولايات المتحدة الأمريكية في حاجة إلى وكيل معتمد يمشى في المنطقة وهي تتواجده بتشمعها ولحمها في قلبها؟ أم أن الدور الوظيفى لإسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية سوف يتشعب؟ وهل ثمة دور جديد لها في ظل هذا السيناريو؟ وماهى ملامحه لو وجد؟

ويبقى تساؤل طير للقلق؟ هل لدى الخلف العربية مثل هذا النوع من الرسائل الحربية النفسية المستقبلية؟ أظن ذلك... ولا ■

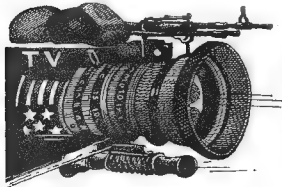


بدا المشهد العربي منكسراً وشديداً العجز، وبدت الأمم المتحدة - لغة قطعاً دولي - في مقاعد المتفرجين، وبدت القوى المخالفة في موقف المتأمل، أو المتعصب، أو المطلب بالإتهام السريع لعميل تدوير / تحرير العراق.

وشعر الناس أنهم يعيشون في عالم بلا قواعد ولا قوانين، ولا صوت فيه إلا اللبيلجي واحد لا يعيا بمعارضة، ولا يشيع من أدم والإشلاء، ومع استمرار سقوط الضحايا تصاعدت مشاعر الغضب والحق والقهر، ولم يجد الناس من الميزيد من التشویش والاختلاف في المفاهيم والمشار، وكان من الطبيعي أن ينجوا إلى الدعا - فهو كل ما بأي لديهم - وتعلموا إلى أي نصر ولو كان كائناً، وحلوا في اليقظة بطعم السمود المستقر، وشهدوا انقراض الغزاة، ولكنهم استيقظوا! على العلم الأمريكي في سماء بغداد.



هذا العنف الضاري في التدوير، والعجز كالمع في الفعل، والتشویش في المفاهيم، والتضارب في المعلومات لم الإنكسار المفاجئ للدفاع عن بغداد خلق متخفاً مستمراً من الشدن والتفريق، والصعود والهبوط من السفوح في هوة سحيقة من الخوف والإنجاب، وأزادت الشهور بالمرارة، وتأنيت الضمير، والكتابة وإيلاء لدى البعض، وقلاقلات والجتاجل مريباً من الواقع المؤلم عند آخرين، أو تبرير ما حدث أو عقلته أو محاولة لبحث عن تفسير غيبي له، وكلها محاولات تهدف إلى تسكين الألم النفسي.



## ثالثاً، الانتصاب

في غمان الحرب على الأرض بدت الصورة واضحة في ذهن البعض على أنها غزو لجنبي لبلد عربي مسلم بقصد إخضاعه بالقوة، والتحكم في موارثه وثوراته في غطرسة واضحة، ومغايرة لكل قوانين الأرض، ولكن لدى آخرين كانت الصورة أكثر غموضاً، فقلبيد العراقية بكل تاريخها الأسود الدموي، والشعب المجهور تحت الاستبداد والحصار يطلع إلى التحرر، والعجز العربي يملأ المشهد، والحلولون العرب يتضاربون في ولاهم أو إدراكهم للمشهد، وتزداد الحيرة، وعامة كندس لا يمكن القدرة على تمييز بين المستويات والخيارات، ولا يتقارون الوقوع في فخاخ الاسئلة المخالطة من قبيل خياردن لا ثالث لها، إما استئصال العراق وقيادة صدام، أو احتلاله وسقوط نظام البعث؟! وانما طرحت قضايا من قبل: هل هي حرب صليبية أم استعمارية؟! - هل تقايل في بتحرير بغداد (... ) ليس سوى صورة حلقة من عمالة المعارضة العراقية المعقدة من خضار، وإن ميدان الفردوس الذي شهد إسقاط كدال صدام لم يكن مكتظاً بالجناس كسما بدأ في الصور، ولما كان خاويًا تماماً إلا من بضعة عشرات ركزت عليهم زاوية القلعة... إلخ.

وعندما حاولت بعض وسائل الإعلام موجهة هذا السيل المنفق من الأكاذيب أو المعلومات التضليلية لثقافة، وحجب الأجزاء للبيضة من الصورة كتلت النتائج التي يصرها الجميع بقصف

الصفيين، وقيلت المراسلين، وطردوا وإقصاء أسماء كبرى مثل: بيتر أرينيت مراسل NBC، وفوكس نيوز بالقرار من البنتاجون.

- وباقبال لعيت القيادة العراقية دوراً هزلياً مؤسفاً في تشويه الحقائق عن موازين القوى على الأرض، وحجم الخسائر لدى الجانبين فاعطت أملاً خادفاً، وصورة وريدة من مقاومة صلبة ستدوم، وجميع سيؤول الغلظة ثم اختفت عن المشهد بين عشية وضحاها. وإن كنا لاحب التفسير القامري، ولكننا نرى أن اكتمال الصورة بالخداع من لطرفين أطبق على عقول الناس ونفوسهم، وسامهم في إحباطهم وانكسارهم كما سنرى.

مسؤولين من مشاة البحرية الأمريكية بقرعة أخيرات تلك الشبكات في ولاية أتلانتا للموقع في مسؤولية تقارير المراسلين قبل إذاعتها أو نشرها. وعلى أرض العراق لم يكن سموحاً للصفيين أو الإعلاميين إلا بالتقوى في أماكن محددة، وبصحبة الوحدات العسكرية الأمريكية، وعلى الشاشات الأمريكية المختلفة كان الضيوف من العسكريين والحلولين يتلقون ردوداً وتحليلات من عسكريين سابقين، وكل ذلك تحت السيطرة القهادية لانتصار الحرب، بينما رأى الأخر لا يجد غير الشوارع ليقتلها فيجدها، أو وسائل إعلامية لقل انتشاراً وأضعف تأثيراً، وحتى هذم نتج من التدمير مثل موقع «الجزيرة» على الإنترنت، والذي تم تعطيله لمدة عشرة أيام تقريباً، وكذلك على قلاع بالصور أجرت من العديد من الفيئات ومنها: بيت تقنية المعلومات Information Cleaning house مقارنات وتحليلات بالكمبيوتر أظهرت أن أهم مشاهد العراقيين المهلئين بتحرير بغداد (...) ليس سوى صورة حلقة من عمالة المعارضة العراقية المعقدة من خضار، وإن ميدان الفردوس الذي شهد إسقاط كدال صدام لم يكن مكتظاً بالجناس كسما بدأ في الصور، ولما كان خاويًا تماماً إلا من بضعة عشرات ركزت عليهم زاوية القلعة... إلخ.

وعندما حاولت بعض وسائل الإعلام موجهة هذا السيل المنفق من الأكاذيب أو المعلومات التضليلية لثقافة، وحجب الأجزاء للبيضة من الصورة كتلت النتائج التي يصرها الجميع بقصف الصفيين، وقيلت المراسلين، وطردوا وإقصاء أسماء كبرى مثل: بيتر أرينيت مراسل NBC، وفوكس نيوز بالقرار من البنتاجون.

- وباقبال لعيت القيادة العراقية دوراً هزلياً مؤسفاً في تشويه الحقائق عن موازين القوى على الأرض، وحجم الخسائر لدى الجانبين فاعطت أملاً خادفاً، وصورة وريدة من مقاومة صلبة ستدوم، وجميع سيؤول الغلظة ثم اختفت عن المشهد بين عشية وضحاها. وإن كنا لاحب التفسير القامري، ولكننا نرى أن اكتمال الصورة بالخداع من لطرفين أطبق على عقول الناس ونفوسهم، وسامهم في إحباطهم وانكسارهم كما سنرى.

وليس اقها الألام أو المعلومات الملققة من أسحلة الدمار لشامل، أو قريب بين النظام العراقي، وتختلف القاعدة، أو أن من أهداف الهجوم تأسيس نظام ديمقراطي في العراق في الوقت الذي فشلت فيه أمريكا نفسها في دولة فاشية وبوليسية تحتل الآلاف دون تهمة، وبدون محاسبة، وتغريب للثاهرين من مواطنيها المناهضين للحرب بالرصاص اللطاطي!!

ألا نذكرنا هذه الأكاذيب بمقولة «جولز»: اكذب حتى يصدقك الناس. - معركة الإعلام:

سيكولوج التاريخ كثير! أمام الأبرقة الأمريكية للمستوى الإعلامي من العمل، وهنا قد يكون من المفيد استعانة كتاب ظهر في أواخر عام ١٩٩٩ مؤلفين أمريكيين يجمعان بين الصفتين الأكاديمية والعسكرية، ويعلمان معاً في معبد «راند» (Rand) للأبحاث الذي يقدم استشارات لجيش للخبارات العسكرية الأمريكية، ولأسباب غير واضحة لم يلق الكتاب الاهتمام العالي في ظل إدارة كلينتون، والمفهوم الرئيسي الذي يدور حوله الكتاب أن حروب المستقبل ستدار أساساً بالإعلام أكثر من أي سلاح آخر، ويرى قناب أن الرسالة الإعلامية الموجهة ونشرها على أوسع نطاق بما يربك العدو، ويشتت قدرته، هي الاستثمار الأم بالسيطرة على المعلومات والاتصالات، وفي الأساس الضروري لتحقيق النصر النهائي.



ويطرح المؤلفان مفهوم «الحرب الافتراضية» التي تفتح جبهات عسكرية متفرقة، وتطبع إعلامية محكومة بعقلاء، ودعاية صارخة قبل وأثناء وبعد الهجوم.

والمتابع للاداء الاعلامي الأمريكي سيجد تطبيقاً لهذه الفكرة، ولجميع أدوات الفروبيجندا داخل أمريكا، وفي ميدان المعركة نفسه. بحيث تم التركيز على جوانب دون جوانب، وإذاعة معلومات دون أخرى، وتكل صور ومشاهد بعينها، بل وتم منع أية محاولات لتغيير ذلك. وطبقاً لروبرت فيسك في التبتندت بتاريخ ٢٠٠٣/٢/٢٠ فإن شبكات CNN وABC، وصحيفة دنويورك تايمز قد وافقت على تواجد

هذا هو المناخ النفسي الذي لابد من فهمه كبديل إلى ما حدث من تداعيات نفسية، أفكار معنوية.

#### زاهيا، الضغط النفسي،

لا يمكن فهم الآثار النفسية التي شعرنا بها، وشعر بها الناس من حولنا إلا إذا عرفنا قدرًا من المعلومات عن الضغط النفسي والعصبى الذى أصبح موضوعًا مهمًا من موضوعات الطب النفسي الحديث، ويحدث هذا الضغط مع أية تغيرات حياتية تحمل صدمة مفاجئة، أو أزمة كبيرة، أو مجرد تراكم لصفات يومية، والحروب هي من أكثر الأوضاع ضغطًا على نفوس الناس.

وللضغط النفسي تأثيرات على كيمياء المخ ونواقله العصبية، وعلى مجموعة من الهرمونات التي تفرزها الغدة الصنوبرية، والغدة فوق الكظرية، وغير مسارات بيولوجية وفسيولوجية متعددة، وعمليات مركبة تظهر تأثيرها الضغوط النفسية على شكل أعراض وجدانية وجسمانية متنوعة فزرى الضجر، والعصبية الزائدة، ومشاعر السوف والرهبة، واضطراب النوم، واختلال الرغبة الجنسية، وكل مظاهر الإحباط والاكتئاب، كما نرى الرعدة والغثيان والصداع، وفقدان الشهية، وخفقان القلب، والأوجاع الجسمانية المختلفة، والشعور المستمر بالإرهاق. والضغط النفسي في تلك الحرب

حدث عبر طرق عدة منها:

- رؤية الخوف والذعر، والجرحى والفئى العراقيين.
- الإدراك السلبى لذات ولأخسرين.
- ولواقع المستقبل.
- أفكار غير منطقية عما هو كائن، وعما كان ينبغي أن يكون
- الاعتقاد بالعجز الكامل، وفلة الحيلة، وعدم القدرة على فعل شيء.

- الشعور بفقدان الثقة، وفقدان القدرة، والتوجه السليم.

انقطاع الحياة المباشرة بأهلنا في العراق، وتضارب الأنباء حول ما حدث هناك.

- سيادة أو شيوع أساطير أو تنبؤات عسكرية أو غيبية تحمل مشاهد مستقبلية سلبية: تقسيم العراق، حروب أهلية، الهدى المنقظر.

- إلقاء اللوم على الذات أو على الآخرين دون وجود خطة واضحة للحل.

- التفكير المستمر في الموت، وعدم جدوى أو معنى الحياة.

- ونتيجة لهذه المؤثرات، وتعاقد معدلات الضغط النفسي شاهدنا حالات - في واقع ممارستنا الأكاديمية - ظهرت فيها أعراض اكتئاب أو أو سواس قهري، وحالات أكل - من الأصغر سنًا - ظهرت عليها أعراض هانغمان من ضلالات - وهلاوس، وتحدت شكوى من قلق وخوف، وروت بعض الحالات - وأكثرهن نساء - عن تكرار أحلام مرعبة يسمعن فيها أصوات المراسلين، وتكرر فيها مشاهد القتل والتدمير بما يقرب من أعراض اضطراب ما بعد الصدمة PTSD الذى يكون مصحوبًا باختلال التوازن النفسى في الإدراك والتفكير، والتركيز، واستعادة مشاهد القتل أو صور الجرحى والقلى، ويعد ذلك تيجاح النفس مشاعر عدم الاطمئنان والحياء الإحساس بالذنب لعدم قدرته على تقديم المساعدة، وقد تتابعه نوبات من الإحباط والغضب الشديد.

وفي الأطفال تباينت ردود الإفعال من معاناة التخيلات والأحلام، والكلام أثناء النوم إلى فقدان الشهية للطعام، والبكاء بدون سبب علاوة على ضعف التركيز، والإهمال المدرسى، واشتكى البعض من صداع أو غصص، وظهرت مشاعر الأطفال في ألعابهم ورسومهم التي تمثلت الحرب ولتأثيرها.

ولم يثائر الناس بنفس الدرجة

بالتعب صغارًا وكبارًا، وتعددت قدرة الإنسان على التكيف مع الضغوط على عدة عوامل منها:

- مدى سلامة نشأته الطفولية من العوامل السالبة.

- التعرض لخبرات سابقة بالفعل، أو بالتدريب على التعامل مع الأزمات.

- طبيعة الشخصية وبخاصة فيما يتعلق بنمط تعبيره عن مشاعره أو كتمانها.

- لظروف الحياة بالإنسان من دعم أسرى واجتماعى.

- وجود معنى وجودى عميق مثل الإيمان بمعتقد أو التمسك حول هدف مالى.

- الوعى بالبعد ما يحدث، والقدرة على التفسير والتفهم.

- سدة التعرض لمشاهد القتل والدمار، ومتابعة الأخبار.

- الاندراج في عمل محدد لمواجهة ما يحدث، أو الاكتفاء بالفرجة.

#### خامسة، آليات المقاومة،

ولكن الناس لم تسكت في مواجهة هذه الضغوط النفسية، وظهرت أشكال من الازيمات الدفاعية النفسية والاجتماعية منها:

- تبرير الحلة بأن صدام هو السبب الرئيسى لكل ما وقع ويطح وسيعب للعراق، ويقاتلى هو المصلو، وشعبه مسئول بالتبعية لأنه لم يسطفه، ولكن هذه الآلية لم تستمر طويلاً.

- الاعتراض على موقف الأنظمة العربية بالنظر الذى فاق في سرعته والتسامح مع الحسابات والتوقعات حتى قال المراقبون أن مظاهرات القاهرة في ٢٠ مارس هي أكبر مظاهرات عنوية خرجت منذ جائزة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

- الشعور بالتضامن العالمى، والاعتدال الخارجى بأن حركتنا المناهضة للحرب هي حركة إنسانية دولية، وبأننا لسنا وحدنا.

- اللجوء إلى الإيمان لتسكين الآلام، واستمداد اللون، واستلهم إرادة لقاسم من لقول على لله، والاستعانة به.

- خروج طابعات واسعة من الكتلة السنية لصامتة عن صمتها وسليبتها، وظهر حالة جديدة من القنط والإبداع في التعبير عن الرغص للوضع القائم، ولا يمكن تجاهل التنكيت والرقاقية كآلية دفاع مهمة يستخدمها الناس - للتواصل مع آخرين محلياً وعالمياً

يحملون نفس الهموم والاهتمامات، ويتبادل وجهات النظر، والقواصى باستمرار مناهضة الحرب.

- الخروج من سواك النفسية العاجزة إلى دور المتفاعل مع الأحداث، المشارك في صنعها.

- وقد رأيت أثناء تجوالى خلال التجمعات المختلفة أنماطاً متباينة الأعمار والخلفيات الثقافية والوظيفية خرج كل واحد فيهم حاجة في نفسه، ولكنهم التقلوا جيناً على هدف واحد هو مناهضة تلك الحرب الخائلة مثلهم مثل الملايين حول العالم.

وهكذا فإن الضغوط النفسية ليست شيئاً سلبياً على طول الخط، فالضغط النفسي هو مصدر من مصادر الطاقة الدافعية، ويمكن توجيهه إلى خدمة أهداف الناس، وهو صمام أمان مهم للحركة ضد الخطر، ويخلق الدوافع المستندة إلى اعتبارات مادية أو معنوية حقيقية.

كنت أطالع تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠٠٩ عن العنف والصحة في العالم، ووجدت تحت عنوان العنف الواسع - الجماعى - إجراءات شخ هذا النوع من العنف المدمر أو التقليل من آثاره منها:

- التقليل من اللقر.

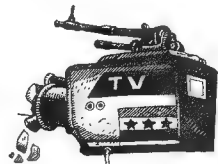
- التصديق على امتلاك الأسلحة البيولوجية والكيمائية والنوية، وبغية الأسلحة.

- التاكيد من نشر وتطبيق المعاهدات الدولية، وبخاصة المتعلقة بحقوق الإنسان.

ثم يفتم هذا الفصل بالحديث عن معاهدة جينيف عام ١٩٤٩، وسرحت خطارى متخيلاً أن من صاكو التقرير كانوا يقصدون قبائل الفريفيين، أو الجماعات المسلحة في آسيا، وتردبت بين أن اعتير الماربى منه حبراً على ورق، أو أخذته مسمى كمبراً على لافتة في المعاهرة القادمة ضد الحملة الأمريكية على العراق!!

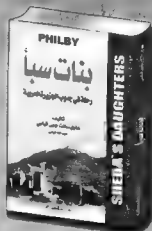
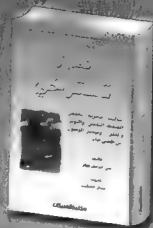
#### المراجع:

- (1) Shock And Awe: Achieving Rapid Dominance Ullman, Harlan, and James P.Wode, with L.A.Wdny et al Washington, D.C National Defence Univ., 1996.
- (2) The Emergence of Neopolitik, John Arquilla and David Ronfellt Rand Monograph Report, Santa Monica, California, 1999



### Publishers & Booksellers

الخبر  
الاصدارات



حضر الباطن، عمارة جبر الباطن حاتم ٢٠١٨

www.00-kimbo.com    www.chickenbooks.co.uk

...the ... ..



# من تكساس إلى بغداد

## إبراهيم عبيد الجليل

شرح ماذا يهدف بحرية الوصول، وقال بعض السيطرة على تلك المصادر الاقتصادية وعمومها. وهكذا دون أي مواربة شهد شاهد منهم بأن السيطرة على منابع البترول في الخليج كانت هدفاً استراتيجياً للسياسة الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فحتى عام ١٩٧١ كانت بريطانيا تقوم بدور الشرطي الحارس لتلك الثروة في منطقة الخليج، أما الآن فلقد تقدمت أمريكا لتلعب نفس الدور بدع من بريطانيا التي توارت خطوات إلى الوراء بحكم تغير موازين القوى في العالم، وأرغمت أن تلعب دور التابع الأمين للقوة الأحادية المهيمنة والمسيطر.

لذلك لم تكد تمضي أسابيع عدة على فوز بوش الابن الآن من تكساس إلى البيت الأبيض حتى أمر بتشكيل مجموعة عمل برئاسة نجله ديك تشيني وكانت المهمة صياغة سياسة جديدة للطاقة في الولايات المتحدة الأمريكية، وديك تشيني هذا كان قبل أسابيع عدة من توليه منصب نائب الرئيس الأمريكي يشغل منصب الرئيس لواحدة من أكبر شركات الخدمات البترولية في العالم (شركة هالبرتون). كما أن باقي المجموعة الحاكمة في البيت الأبيض قد جاءوا من تكساس معقل صناعة البترول الأمريكية بعد أن ساندت حملتهم الانتخابية دولارات البترول التي ساهمت بها الشركات الأمريكية التي تستطيع على مقدرات صناعة البترول في العالم، تلك الشركات كانت ولزالت تملك بضرواً ضد أي محاولة لتهميش دور البترول كمصدر رئيسي للطاقة في العالم منذ اكتشافه وحتى يومنا هذا مهما كانت المبررات بيئياً واقتصادياً وسياسياً.

مستلهمون في ذلك روح الأجداد الأوائل، تسانداهم شركات الأمريكية العملاقة التي أتت بهم إلى مقاعد السلطة في واشنطن.

### الولايات المتحدة البترولية

في دولة يعيش الناس فيها ويصنعون وينامون على استهلاك البترول، حيث نصب المواطن الأمريكي منه يتعدى عشرة أضعاف نظيره في أي بقعة من العالم، وحيث سعر جالون البنزين في محطات التزويد يمثل لهم كل صباح اهتماماً يفوق أي اهتمام آخر بأحوال الدنيا والعالم.

في تلك الدولة الأكبر استهلاكاً للبترول في العالم (نحو ٢٧٪ من الاستهلاك العالمي) تصبح قضية البترول والطاقة في أم القضايا، ويصبح توفير البترول بسعر رخيص هو محور السياسة للجانسين في البيت الأبيض والمخابرات الأمريكية والبنطاجون.

في شهادة أمام الكونجرس الأمريكي عام ١٩٩٩، صرح الجنرال أنتوني زيني قائد القوات المركزية الأمريكية، أن منطقة الخليج بمصادرها البترولية الهائلة تعد ذات قيمة حيوية للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، لذا - ولزالت نقلت عن الجنرال الأمريكي - فإن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون لها حرية الوصول لتلك المصادر، وتطلع بنفسه

وهكذا كتبت تلك الهجرة بدأت في تاريخ لولاية كاليفورنيا الأمريكية والتي أصبحت الآن أغنى الولايات الأمريكية وأكثرها تحراً وتقدمًا، فهي معقل صناعة السفن، وموطن لنجوم هوليوود، ومقرًا للصناعات المتقدمة بدءاً من تكنولوجيا الحيوية وانتهاءً بصناعات الإلكترونيات والاتصالات في وادي السليكون الشهير.

وتر نحو مائة وخمسين عامًا أو تزيد قليلاً منذ أن دفع هؤلاء المغامرون إلى اقرب الأمريكي بحثاً عن الذهب بأسوا خلال اندفاعهم الجشع على كل ما اعترض طريقهم. فهل يأتى بعيد التاريخ نفسه الآن لترى موجة جديدة من أجداد هؤلاء الأفيالين تدفع هذه المرة نحو المشرق العربي بحثاً عن الذهب الأسود، لتوايدهم معهم كل ما في جعبة آلة الحرب الأمريكية من أسلحة للدمار والخراب، لتوايدهم أبواب عاصمة الرشيد تحت شعار تحريرها من قبضة صدام حسين، لتكتمهم على الحقيقة لتوايدهموا أيديهم على منابع الذهب الأسود في منطقة تحوى تحت رملها ومياهها ثروات مخزون انقطع في العالم، بعد كل تلك السنين، وفي غيبة من الزمن، سطا حققة من المغامرين ورجال الأعمال على منافذ القوة في البيت الأبيض، وولصوا منذ اللحظة الأولى يخططون للاستيلاء على مقدرات القوة في العالم

■ في صباح يوم باره من أيام يناير عام ١٨٤٨ صاح أحد الأمريكيين في أقصى الغرب الأمريكي وكان يدعى جيمس مارشال في عاملين معه بأنه قد عثر على منجم للذهب، وكانت تلك الصيحة بداية لكبرى حركة هجرة عرقها التاريخ الإنساني حيث اندفع نحو تسعين ألف شخص إلى كاليفورنيا خلال الخمسينات لتتبعهم لصيحة جيمس مارشال ليصل بعد ذلك عدد المهاجرين هناك إلى نحو ٣٠٠ ألف شخص، وكان سكان أمريكا حينئذ لايزيدون على ٢٥ مليون نسمة. ولم يكن هؤلاء المندفعون نحو الذهب في الغرب الأمريكي قادمين للاستقرار والبناء شأنهم شأن باقي المهاجرين الأوائل للعالم الجديد، ولكنهم جميعاً كانوا قد أتوا من أجل الذهب، ومن أجل ذهب ما يمكن نهبه من هذا الذهب بائ وسيلة وبكل وسيلة ممكنة، ولم يلق تصبرك على الأمريكيين وحدهم، بل لقد امتدحوا ذهب ليشمل الإنجليز والفرنسيين والاسبان والعديد من الجنسيات الأخرى الذين عبروا المحيط الأطلنطي في ظل ظروف بالغة القسوة مدفعا في بريق الذهب الأصفر. ولم تكن تلك الرحلة سهلة، ولم يكن البحث عن الذهب في الأرض الجديدة غرباً أمراً ميسوراً، فقد لقي نحو ٢٠٪ من هؤلاء حتفهم، إما نتيجة للإصابة بأمراض الكوليرا والملاريا، أو أمراض سوء التغذية، أو نتيجة أعمال العنف الدموى التي اشتعل بها هؤلاء المغامرون في الغرب الأمريكي حيث سادت بينهم شريعة الغاب بلا رادع من أي قانون سوى منطق القوة والشه والجهش من أجل مزيد من الذهب وللدروة.



وضع ديك تشيني سياسة جديدة للطاقة في أكبر دولة مستهلكة لها في العالم، تلك الدولة التي تعتمد بالدرجة الأولى على البترول، والتي زادت وراثتها من نصل حاليًا لنحو ١٠٠ مليار دولار أمريكي سنويًا وتشير التقديرات المستقبلية إلى أن تلك الولايات تسهل لنحو ٥٠٠ مليار دولار عام ٢٠٢٠.

إذا علمنا أن نسبة كبيرة من تلك الولايات (٧٣٪) سوف تأتي من منطقة الشرق الأوسط، تلك المنطقة التي يتزايد فيها العدة والكراهية للولايات المتحدة الأمريكية يومًا بعد يوم كتجذبة طبيعية للسياسة الخاطئة وغير العادلة التي

بعض الدول المنتجة للبترول في العالم بما فيها دول عربية اطعم الأمريكي وراحت تساند موقف الولايات المتحدة، بل لقد بلغت الماسة لروتها حينما ساند لوفد العراقي في هذا المؤتمر الموقف الأمريكي دعمًا لصناعة البترول العالمية.

## الفرزوا التاريخ:

مذبحو عشرين عامًا كالت السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط تركز بشكل أساسي على ضمان إمدادات البترول إلى شرايين الاقتصاد الأمريكي، فكان دعم صدام حسين ضد إيران وجرحه والذين في حرب دموية استمرت نحو عشر سنوات استندت فيها عائدات البترول لصالح شركات السلاح الأمريكية، لم جاءت حرب

كل ما هنالك أن المستعمرين القدامى وأصحاب المصالح من شركات البترول لا زالت تخذى تلك الفكرة النعمة للسلب ولتنبه لكي تصعيد سيطرتها على بترول العراق، الدولة التي تمتلك تحت أرضها نحو ١١٪ من إجمالي المخزون العالمي، وتشير تقديراتهم إلى أن ذلك الرقم سيقتزى في المستقبل لكي يصل إلى نحو ٢٥٪ من جملة الاحتياطي في العالم، وما العراق سوى بوابة للخليج وبقي دول المنطقة التي كانت دائمًا هدفًا للأطماع الاستعمارية.

أما منطقة «أوبك» فإن دورها للأسف الشديد يتقلص يومًا بعد يوم ويعد أن كانت تستهفك الخديج عن مصالحها عندها من الدول المصدرة للنفط، ومنها ٧ دول عربية، تحول بها الحال لكي تكون أداة لضمان ضخ مزيد من

وتغيير خريطة لصالح القوى الاستعمارية وقصصيون؟  
هل تصبح تلك السياسة الأمريكية الفسوخة بداية لتراجع تاريخي في جهود المجتمع الدولي من أجل حماية البيئة، تلك المسيرة التي بدأت في ستوكهولم عام ١٩٧٢ مرورًا بربو عام ١٩٩٢ وانتهاء بجوهانسبرج عام ٢٠٠٢، وهل كل البشاد أمريكا من بروكوكوكيو بداية لنسخة الدولة الكبرى عن التزاماتها الدولية بسبب مصلحتها التجارية والاقتصادية؟ هل معنى كل تراجع صناعات الطاقة المتجددة المستفيدة للبيئة وتراجع كل الجهود التي يبذلها المجتمع الدولي للبحث من بدائل للطاقة وهي متطلبات التنمية المستدامة، وهل تراجع تلك أصام الهجمة الفرسية لشركات البترول لعالمية وغيرها من

# الطاقة ايل الدماء!

تساند من خلالها إسرائيل على طول الخط، والتي أطلقت من خلالها يد قفوة الفاسدة في إسرائيل التي تمارس كل أنواع الانقسام والبطش والقمع ضد فلسطيني الأعزل، الذي تم الاستيلاء على أرضه ونهبت ثرواته بمباركة مستمرة من الحكومات المتعاقبة في واشنطن.

وتتصرف سياسة الطاقة التي وضعا بيد تشيني بأن جهود ترشيد الاستهلاك، ومحاولات تنمية مصادر الطاقة المتجددة صديقة لبيئة لن تفلح في مواجهة الطلب المتزايد على الطاقة في المستقبل، لذا فإن الحل هو زيادة العرض من خلال بناء محطات جديدة وزيادة العرض من منتجات البترول، ولتذهب مصيحات حماية البيئة إلى الجحيم. ولكن كل ذلك باطن، الغريب على المراقبين. فلقد ولّف لريجنز الأمريكي بنفسه في مارس عام ٢٠٠١ ليزف للعالم نبأًا ساعدا أمريكا من بروكوكوكيو الذي يدعو إلى خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون المسبب لولادة من أكبر مشكلات البيئة العالمية. ألا وهي قضية تغير المناخ.

وكان ذلك إشارة البدء بالترامز الإبراة الجديدة في واشنطن بدعم صناعة البترول وشركاتها التي أصبحت تأثر بشكل مباشر في عملية صنع القرار في البيت الأبيض، ولم ترض سوى شهور على ذلك، حتى وقف لوفد الأمريكي بشدة ضد أي محاولة لتشجيع استخدام الطاقة المتجددة الخفيفة، وكان ذلك أثناء اتفاق قيمة التنمية المستخدمة التي قدمتها الأمم المتحدة في ديسمبر من عام ٢٠٢٠ بمدينة جوهانسبرج في جنوب إفريقيا، ولاشديد، فلقد بدت

الخليج الثانية حينما اعتدى النظام العراقي على دولة الكويت، فكانت فرصة ذهبية لأشرف لا الأول لتخليها مخطوط السياسة الأمريكية لتستجيب لوجود العسكري الأمريكي قرب منابع البترول، بل لا كون مياحًا لو كانت تلك فرصة قد تم التخطيط لها لدعم استراتيجية بعيدة المدى للبقاء في تلك المنطقة من العالم لسنوات طويلة قادمة.

لقد بلغت مصيحات السلاح الأمريكي لدول الشرق الأوسط خلال الفترة من ١٩٩٠ وحتى ٢٠٠١ نحو ١٠٠٠ طيار دول أمريكي، تم سحبها من عائدات النفط العربي ومعها قيمة فواتير حرب تحرير الكويت لتضع في شرايين الاقتصاد الأمريكي الذي غش على سنوات إدارة كلينتون زهي فترة في تاريخه.

وفي تلك الفترة تخاضت الولايات المتحدة الأمريكية اختبار داعية أو مدعية لحقوق الإنسان والديمقراطية، تخاضت تلك الداعية من الجرم التي ارتكبت في حق شعوب عربية والإسلام لا شيء إلا من أجل التماسك على استقرار مصنوع تسانده الإنسان ويتم بالقوات معه تخفيف مسلسل من تفسييف والحد والمطالبة لحل مشكلة الشعب الفلسطيني حتى بعد إجماع قبضة إسرائيل على الأراضي المحتلة بينما العظم العربية غارقة في أوامع السلام. وبعد عشر سنوات من الحصار والتجويع والإللال لشعب العراق تصاعد تمزق أمريكا العالم ضحيًا من ضرورة نزع أسلحة الدمار القش من العراق وتغيير نظام الحكم في بغداد تحت دعاوى وأكاذيب ساذجة لم تعد تنطلي على أحد في العالم.

النفط في شرايين الاقتصاد العالمي حتى أنه دوى الفسوخة والقنابل في كل أنحاء العراق، فلم تسع من أوبك وأعضائها الأمريكيين لتأكيد الالتزام بضمان عدم حدوث أي نقص في إمدادات البترول للعراق، أنه الحرب الظالة على العراق، وهكذا تحول البترول العربي من سلاح في يد العرب إلى سلاح في يد أعدائهم يروث في صدورهم، وكان ذلك الموقف القرمي منظمة الأوبك نتيجة حتمية لكل السياسات التي تنتهجها الدول لصناعة المستحكة للبترول من صدمة الطاقة في أكتوبر عام ١٩٧٢، ولتي هدفت إلى تهميش دور العراق حتى يتحول لها ما أوتت، أما منظمة «أوبك» التي تضم الدول العربية المصدرة للبترول في إطار الجامعة العربية فلا استك لله لها صوتًا، لم تسع عنها أو منها أي هسة كما لو كان دأصها صرلخ أمريكي في مقن.

ولو حدث - لا لآخر لله - أن سيطرت الولايات المتحدة على بترول العراق وربما بقيت الخاطئة فإن ذلك يعني النهاية لأوبك والكل تلك المصالح التي لم تكن لتختف عند أول صراخ تطلق ليصيب هدفًا في بغداد، فلا هم قادرون على السيطرة على مصدات الإنتاج ولا هم قادرون على تصعيد الأسعار، ولا هم قادرون على دعم مصالحهم في مواجهة قوى القشر والعولان.

وأخيرًا... هل تصبح تلك الحرب فظالة على العراق بداية لفرض السيطرة الأمريكية على بترول الشرق الأوسط ومقراته

أصحاب المصالح في صناعات الفحم والسيارات وغيرها؟  
هل معنى كل دفعة قوية لصناعة الطاقة النووية التي تراجعت بشدة منذ حادث تشيرنوبل الشهير عام ١٩٨٦؟

هل سيكون ذلك بداية لنهاية للمنظمات الأمم المتحدة العاملة في مجالات البيئة والساعة للم شمل المجتمع الدولي من أجل مواجهة تحديات البيئة العالمية التي تعدت الحدود الجغرافية بين دول، وأصبح لا بد من مواجهتها من انقسان دولي؟

بل هل سيكون ذلك بداية النهاية للمنظم العالمي الذي استقر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، والذي بدأت الحرب عليها فخرت الجيش الأمريكية لضرب العراق ضد إدارة المجتمع الدولي وبدون موافقة من مجلس الأمن؟  
هل سيكون ذلك نهاية لما سعى بالنظام العالمي الجديد الذي سبقت عنه الاقتعة التي خدمت أولًا وأ كانت تحت شعارات العولة وحرية التجارة وحقوق الإنسان... وبقي قائمة والتي كانت دائما تخفي استعمارًا حقيقيًا كذلك الذي تخلفنا منه خلال الخمسين عامًا الماضية، لا فرق. وكان التاريخ يعيد نفسه، ولكن هذه المرة من واشنطن، الإمبراطورية الجديدة التي تريد استردك العروض القديمة التي سلطت ونهات تحت اقدام شعوب.

أسئلة كثيرة وتداعيات مرعبة كأنها كابوس قديم جلم فوق صدور القوم لا زالت تيدح عن إجابة! ■

# ما لى متواجد في مراکز





# ماك

ماك على الإنترنت [www.maccarpets.com](http://www.maccarpets.com)

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مشايات

قطع موكيت

مطبوع

دواسة حمام

شرقي

سجاد أطفال

مع بواقي التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر.





القدرة الشيطانية التي تحوزها وسائل الإعلام. فها هو مثال آخر على الحقيقة الحزينة الأتية: وهي أنه مهما كانت الكلية كبيرة، فيكتفي أن تكررها عدداً من المرات، وبإسماح وصوت مرتفع، حتى يصدق عدد كبير من الناس.

كان المفروض من قبل أن نرى ما حدث من تدمير وخراب أن تعجب كل هذا الكلام عن العلاقة بين ديكتاتورية صدام حسين وبين الهجوم على العراق من قبل اللغو من القول الذي لا يحتاج لأني جهد لتفنيده.

فمنذ متى تقبل دولة كبيرة أن تضحي بالمال والعقاد، ناهيك عن أرواح أولادها، من أجل سعادة ورفاهية شعب صغير لا ينسب إليها لا برابطة الدم ولا بالثقافة، بل ولا تكلف هذه الدولة الكبيرة منذ زمن طويل، على تحريك ثقافته والإساءة إلى الأمة التي ينسب إليها؟ وتاريخ الولايات المتحدة في تأييد نظم ديكتاتورية في العالم الثالث أطول من أن يحكى، وكذلك تاريخها في تدبير الانقلابات الدموية وغير الدموية للقب نظم ديمقراطية من أجل مصالح مادية بحتة لشركاتها. كما أن الألة هي أكثر من تخصص على أن مثل هذه المصالح هي أيضاً وراء هذا الهجوم على العراق.

ثم فلنترض جدلاً أن العراق كان قد بدأ تطبيق نظام ديمقراطي رفيع منذ بضعة شهور، فهل كان هذا سيمنع الولايات المتحدة من الهجوم على العراق لاحتلال آبار البترول، أم كان من شأنه فقط أن يجعل هذا الهجوم وهذا الاحتلال أكثر صعوبة وأكثر دموية، فمهما حدث عندما قامت المخابرات الأمريكية بترتيب الانقلاب للنصوري في شيلي لقلب نظام الجندي الديمقراطي الذي لم تكن ترضى عنه الشركات الأمريكية؟

كل هذا كان من الممكن استنتاجه حتى قبل أن يقع الغضب، ولكن الغضبة الحقيقية حدثت بعد بداية الهجوم. إذ لم تستطع الشركات الأمريكية صبراً، ولم تنطق الانتظار حتى تنتهي الحرب ويتم إرساء قواعد الديمقراطية لم تبدأ بعد هذا بتوقيع الاتفاقات وإرساء المعاهدات التي تعطي الشركات الأمريكية الأولوية على

# الحملة على العراق أولى مراحل الاستعمار

جمال أمين

## جمال أمين

الماضيين؛ وعلى الرغم من أن الهجوم كان متوقفاً من جانب الكثيرين، ولم تكف الولايات المتحدة عن التهديد به يومياً لعدة شهور، فقد كان لابد أن يكون لحدث بهذا الحجم وهذه الخطورة مضاعفاته وفصلحه، وأن تمتد المفاجآت والغضب لتشمع القوتين بالهجوم والمعرضين له على السواء. وهذا هو ما حدث بالفعل، وما اتناوله في هذا المقال، مكتفياً الآن بفصائح المهاجمين.

[١]

ولابد بغضحية بسيطة، كان المفروض أن يكون أمرها مكشوفاً حتى من قبل أن يبدأ أي هجوم، إذ لم يكن في الحقيقة ليعجز عن كشفها أي تلميذ

ما أكثر لغضاض التي تتكشف في أوقات الكوارث. فالمفاجأة لا تتكرر لأحد الوقت الكافي لتغضبة نفسه وإخفاها ما هو متورط فيه. وهذه الشديدة تسقط الإقنعة التي كانت تخفي لوجود لادمية فيظهر قبحها الحقيقي.

حدث مثل هذا في مصر، كما حدث في غيرها. أكثر من مرة. فعدداً وقع لزلزال الكبير في مصر في سنة ١٩٩٢، ظهر فجأة كم من الدارس والباحث الحكومية كانت قد بنيت بسمت مغشوش، وكم منها لم يجر ترميمه وصيانتها لسنوات طويلة، رغم أن أموالاً كانت قد رصدت ولقيت من أجل لترميم ولصيانة. وعرفنا كلنا كم من الناس كانوا يستقون بيوتاً غير صالحة للسكنى، بل وصدرت بشلها القرارات بالإنابة، ومع ذلك استمروا في الإقامة بها وهم يبركون أن من الممكن أن تقع على رؤوسهم في أية لحظة الجسد أنهم لا يعرفون أية طريقة لإنقاذ بانفسهم في ظل إغفائهم الخفية للقاهرة، وعجز الحكومة أو امتناعها عن مساعدتهم.

حدث مثل هذا أيضاً عندما وقع حريق للناسوي لظفار الصعيد في العام الماضي. إذ تكشف للناس فجأة بسبب هذا الحادث كيف تعيش نسبة لا يستهان بها من المصريين، وما يتعرضون له يومياً من أخطار يعرفونها جيداً ولكنهم يتسوامتاً من أن تتخذ الحكومة أي إجراء يخلصهم منها.

حدث مثل هذا للفصاح أيضاً عندما هجم الجيش العراقي فجأة على الكويت في ١٩٩٠، فتبين أن كل لبيانيين من الدولارات التي انطقتها الكويت ولسمودية على الأسلحة، لم تجب أي نفع إلا لبلداه هذه الأسلحة، إذ لم يوفر كل هذا سلاح أية حماية للكويتيين أو لسعوديين عندما جدد الجدد.

وقبل هذا كشفت حرب فلسطين في ١٩٤٨ عن الضحية الأسلحة للفدسة لتي كانت تباع للجيش المصري، وكشفت مزمنة ١٩٦٧ عن أن لطائرات للصربية عندما وقع الهجوم الإسرائيلي، كانت لاتزال في صناديقها على الأرض. كان لابد أن نتوقع فضاض مماثلة عندما وقع الهجوم الأمريكي /البريطاني على العراق في أواخر مارس وأوائل أبريل





في أعقاب حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، نجد أن تاريخ ذلك القرن المصنوع يتخذ شكلاً مختلفاً إلى حد كبير عما كنا نتصوره من قبل. وهذا في حد ذاته ليس بالجديد، فما أكثر ما تتطلب أحداث جديد إعادة النظر في حقيقته تاريخياً بأكملها، وما أكثر ما نلقي أحداث ما من ضوء جديد تماماً على أحداث ماضوية. ولكن الآن نراه الآن، تحت هذا الضوء الجديد، ليس شيئاً ساراً بالغة، وإن كان علينا - شئنا ما أئبنا - أن نعد أنفسنا لقبوله.

ذلك أن ما سمي بحصول دول العالم الثالث على استقلالها في منتصف القرن العشرين، أي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، يبدو الآن أنه كان سورياً إلى حد بعيد، وقصير العمر بأكمله، كما نتصور، وأن الفرق بين حال دول المنسدة بدول العالم الثالث خلال النصف الثاني من القرن العشرين وبين حالها خلال النصف الأول، لم يكن يتحقق بالضبط باستقلال الإرادة أو فقدانها، بل كان يدور في الأساس حول صور فقدان الإرادة، أو بعيرة أخرى حول الإرادة التي يجري بها فرض إرادة على أخرى.

كان الاحتلال العسكري، كما هو معروف، هو الطريقة الأساسية لفرض الإرادة في النصف الأول من القرن العشرين «وأواخر القرن السابق عليه»، ولكن هذا الاحتلال العسكري لم يعد لزماً أو ضرورياً في النصف الثاني من القرن العشرين مع تقدم وسائل الاتصال وصور التهديد والوعيد، فاصبحت الانقلابات العسكرية، وتقديم ما يسمى بالوعود الأجنبية أو منحها، طريقة فعالة لتحقيق نفس الأغراض الباطنية، فبدلاً من الاحتلال العسكري أصبح من الممكن الوصول إلى نفس النتائج عن طريق حكام محليين لهم كل سمات الحكم الوطني المستقل (بل وأحياناً حتى التمرد على الاستعمار) وبمساعدة من بعض المؤسسات الدولية كصندوق النقد والبنك الدولي.

استمرت هذه الطريقة في إخضاع دول العالم الثالث طوال عمر الحرب الباردة التي انتهت قرب نهاية القرن العشرين، ولكن حدثت خلال هذه الفترة تطورات خطيرة ومذهلة أوجدت وسائل

«بصراع الحضارات» هي أنسب تسمية ممكنة، بينما الصراع هو عادة بين طرفين متقاربين في القوة؟ هل هو صراع حضارات ذلك الذي ينتهي بفقدانكم نحو ملة جندى وفقدان العراق لعشراته الألاف من الرجال والنساء والأطفال؟ وإلى شيء مما حدث من جانبكم أو من جانب العراق، كان يعبر إرثاً عن قيم حضارة بعينها؟ هل كان شركم للعراق حماية للحضارة الغربية وتظاهر صدام حسين بالحرب حماية لحضارة عربية أو إسلامية؟ أم أن إلحام لفظ «الحضارة» في الأمر كان مجرد عمل من أعمال الدعاية استدرج إليه لاسلاف عدد لا بأس به من المهتمين بالشئون الثقافية؟

### [ ٣ ]

لم يكن ما حدث في العراق إذن أكثر أو أقل من هجمة استعمارية جديدة من طرف مدجج بأحدث أنواع السلاح، على طرف من التاكيد من تجديده من السلاسل قبل أن يبني الهجوم، ولأهداف لا تختلف قط عن الأهداف المعروفة والمشهورة لأي هجوم استعماري عبر التاريخ، والتي تتلخص في النهائية في النهب والاستغلال الاقتصادي، ولئن هذا في حد ذاته يشكل فضيحة أخرى لا يمكن أن يستهان بها، إلا هل كان أحد يتصور أن يعود الاستعمار على هذا النحو، وبهذه الصورة الفجة، وبهذه الغلظة، ولنفس الأضرار القديمة؟ ألم تكن نغمة أن الاستعمار قد انتهى إلى غير رجعة منذ نحو خمسين عاماً، وحصلت البلاد المستعمرة على استقلالها وأصبحت تتمتع بكل مظاهر السيادة، وتعتبر عن رايها الحر المستقل في الهذات الدولية، وتتف مسوقاً عند لندن أسماء الدول الاستعمارية القديمة في المنظمات والحلقات الدولية؟

لأننا أننا نحننا في هذا أيضاً، وأن الأمر كله يحتاج إلى إعادة نظر، فعندما ننظر إلى القرن العشرين بأكمله، في ضوء تصرفات الولايات المتحدة خلال السنوات القليلة الماضية، وعلى الأخص

بالميلين أن يعالوها بكل هذا الإصرار والتهام، وعلى الأخص لم يكن يجدو بمقتضى هذا الثالث، والعاملين الغربي والإسلامي على وجه الخصوص، أن يقعدوا بهذه السهولة في هذا الفخ الذي نصب لهم، فيردون مع غيرهم كل هذا الكلام الغريب عن نهاية التاريخ وصراع الحضارات.

كان المفروض أن يكون واضحاً من البداية أن الترويج لمفهوم «نهاية التاريخ» كان بمثابة احتفال فكري بانتصار الولايات المتحدة في الحرب الباردة وسقوط المعسكر الاشتراكي، يقول فيه المنتصرين: «ها قد انتصحت أنني كنت دائماً على صواب، ولا مجال بعد الآن للشك في أن نظام الحرية السياسية والاقتصادية الذي نعمل لواءه هو النظام الأصح، بل هو النظام الوحيد الصالح». ولكن حتى لو كان البعض قد انتفعوا بهذه اللقطة في نهاية الثمانينيات، عندما سمعنا عن نهاية التاريخ لأول مرة، فهل يجوز هذا الآن، بعد أن أخذت الولايات المتحدة تتصرف في العالم وكأنها صبي أنجوز مجنون، وتقيد الحريات وترافق تصرفات الناس في داخل الولايات المتحدة وكأنها قد عادت إلى أسوأ أيام الحثارية؟ لم ها هي تقوم بالهجوم على العراق عبرانية باحتجاج ملايين العراقيين في داخل الولايات المتحدة وخارجها، في سبيل مصالح ضيقة لشرعية صغيرة جداً من الممكن بمقاييد القوة والمال، هل يمكن لتوكوياما أن يلف الآن ويقول نفس الكلام عن «نهاية التاريخ» بنفس اللغة التي كان يقولها بها منذ عشر سنوات؟

أما عن «صراع الحضارات»، فإين هو بالضبط صراع الحضارات في هجوم الولايات المتحدة وبريطانيا على العراق؟ إذ لو كان الذي حدث بينكم وبين صدام حسين هو حقاً «صراع حضارات»، لكان من الجائز أن نتصور أن نلقوا إلى جانبه وتصادفوه في هذه الدرجة وتعمدوه بالسلاح والعقبات مادام يشن حروباً في صالحكم، لم تتهربون وتضجون نهاية لنظامه عندما تتطلب مصالحكم تماماً مختلفاً؟ هل تسمية هذا الذي حدث

ما عداهما في اقتناص فرص البيع المتولدة عن الاحتلال، بل شرعت القوات المهاجمة في توزيع المصلود وأرساء المعاهدات بمجرد دخولها أرض العراق، وأحياناً كانت تعطى عقد المحاولة الخاص بإعادة تعمير مرفق أو إصلاح منشآت أو أنابيب حتى قبل أن يتم تدميرها، خوفاً من أن تنازع هذه الشركات شركات أخرى غير أمريكية أو لا تتمتع بنفس الخطوة لدى المسؤولين عن هذا الهجوم.

لم أشد الفضيحة عندما رأينا القوات المهاجمة، وقد تم احتلالها لبغداد، تفرض حراسة مشددة على وزارة البترول العراقية، حيث الوثائق والرسوم والخرط الضرورية لإحكام القبضة على البترول، ولكنها تافق متفجرة لا تحرك أصبعاً وهي تشاهد الناس وهم ينهبون متحف الحضارة العراقية وتحرق المكتبة الوطنية في بغداد (بشرطي خاص بلا شك مع المسؤولين عن الهجوم خارجها هذا النهب والإحراق من فوائده لا تدر بعين إسرائيل على وجه الخصوص)، وكان إرساء قواعد الديمقراطية لشعب ما، وحماية الحضارة والتراث القومي لهذا الشعب شيء آخر، أو كان تدمير نفس الشعب بالحكم الديكتاتوري شيء وتدمير ذاكرة نفس هذا الشعب شيء آخر. إننا لم نسمع مثل هذه الجرأة في تجارب الاستعمار القديم، إذ كانت للمصالح الاقتصادية (التي كان لها دور أساسي بالطبع) يجري تحقيقها بدرجة أكبر من الحياة والتسلسل، الواضح إذن أن الخوف من الفضيحة قد أصبح الآن قوة يكبر عما كان منذ مائة عام.

### [ ٢ ]

لا شك أن الفضيحة قد طالت أيضاً الاستاندين الأمريكية فوكوياما وهانتجتسون صاحبين النظريتين الشهيرتين: نهاية التاريخ وصراع الحضارات. كان المفروض هذا أيضاً أن تكون النظريتان مضبوطتين من البداية، فالحقيقة أن منتهقهما كان من الهزل والضعف بحيث إنه لم يكن يجدر





جديدة، ومذهلة بدورها، جعلت من المنك تطبيق نفس الأهداف القديمة للاستعمار بطرق أقل كلفة فيما يتعلق بالارواح «على الألا أرواح جنود الدولة الاستعمارية» كما أن نتائجها مضمونة أكثر، وأكثر ملامة لما حدث من تطور في أفكار الناس وفيهم. ربما كان من اللازم استخدام بعض التحركات العسكرية وبعض الصور المحدودة من الاحتلال العسكري، وكذلك قد يكون من اللازم تنصيب حكومة عميلة تتلقى التوجيهات مباشرة من الخارج، ولكن الجديد في وسائل التحكم عن بُعد هو ما أصبحت نتيجته ثورة الاتصالات والمعلومات بدرجة غير مسبوقة، خلال العشرين سنة الماضية، من قدرة على التحكم في المعلومات

المعارضين يتم عن طريق استخدام حكام محليين، يحققون للمستعمر نفس الأغراض القديمة ولكن في ظل شعرات وطنية ومستقلة، ويجري ترويضهم، عند التزؤم، بالمعونات الاقتصادية، كما يجري عزائهم، عند الضرورة، بإتقال عسكري جيد. أما على الساحة الدولية، فقد كان الأمر يبدو في صورة مشرقة تماماً: دول مستقلة تتعامل مع دول كانت استعمارية في الماضي ولكنها لم تعد كذلك، والجميع لهم نفس الحق في التصويت في جميع الأمم المتحدة وهيئات التمويل الدولية أو الهيئات المنظمة للتجارة العالمية. كل هذه الوسائل القديمة لتزالت مفيدة، بل وأحياناً لا تزال ضرورية، ولكن كلاً منها أصبح الآن يتعرض لمصاعب

يحدث أيضاً في الفيلم السينمائي حيث يظهر للممثل الواحد في صورتين مختلفتين وبرادامين مختلفين، وكانت شخصتان يجلسان متجاورين ويصاحبهما الأرض. وقد توالت للقصّة كافة عناصر التشويق والإثارة المطلوبة والتي تحقق فضلاً عن التشويق والإثارة بعض الأفراس الثانوية.

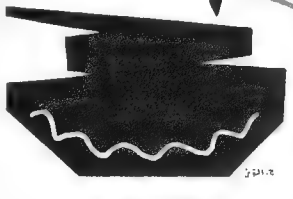
فقد اندثر إحساس في البداية وكان القصّة يمكن أن تنتهي باتّصال الطرف الأضعف، ثم سرعان ما أُنهي هذا الجزء من القصّة خوفاً من أن يلجأ أسلاً من الخطر أن تزيد على حدمعين، فإذا بالإحباط النهائي يوقع أي إحباط (إذا أن الإحباط الذي يأتي في أعقاب ارتفاع في مستوى الأمل يكون أشد منه عندما يكون الأسر منسحباً منه في البداية، وهذا الشعور بالإحباط مطلوب لأنه يسهل مهمة ترسيخ الوضع الجديد الذي يعاد فيه ترتب كل شيء.



أما «العدو» الأسطوري، الشرس جداً والمكار للغباء، وصاحب اللقوة الأسطورية واسلحة الدمار الشامل، فقد ظهر أنه لم يكن ينوّي القتال طويلاً، بل لا ينوّي القتال على الإطلاق، مما لا بد أن يلجأ إلى التفسير البهيم الشديدة لدى من لا يقيّل التفسير المقام، إذ كيف يكون الرجل بكلّ الدرجة الخارقة من الشجاعة قبل ساعات من بدء الحرب (بل وخلال أيامها الأولى)، ويبدى بتصريحات مدعشة عن المقاومة والصمود، ثم يكفّ هذا فجأة عن عمل أي شيء مع أنه كان في مقدوره (مهما كان ضعفه الحقيقي) أن يفعل الكثير ولو على سبيل إنقاذ ما هو الوجه؟ ثم يخفّي هذا «العدو» فجأة وكأن الأرض قد انشقت وابتلعت، ويؤجل كل أثر له، باستثناء بعض المقاعد الويزرة التي جلس عليها بعض الجنود المهاجمين وهم يعضون السيجار (وقد ظهر في صورة أقرب إلى ما نراه في فيلم ذي جوك كاتفاوي صغير)، أو على المسرح في مسرحية باعثة الإخراج). كما يستمر ترديد اسم هذا العدو الشرير كرمز للثبطان نفسه، الواجب التصدي له والصدت عنه، كما حدث من قبل لرجل مقاتل يسمى «أسامة بن لادن».

#### [ ٤ ]

أما الفضيحة الرابعة فهي تلك المتعلقة «بالحصارة الغربية»، لقد



والأفكار والمشاريع بدرجة عالية من الكفاءة والسرعة، عن طريق استخدام النص والصورة. انظر كيف ساعد هذا التطور بتحقيق نفس الأهداف القديمة بطريقة أسهل وأرخص وذات نتائج مضمونة أكثر. كان إسكات رأي المعارضين للاستعمار (سواء المعارضين في البلاد المضاعفة للاستعمار أو في داخل الدولة المضاعفة نفسها) يعتمد على استخدام السلاح استخداماً مباشراً: دأ حصون البلاد المطلوب فتحها؛ وإطلاق الرصاص على المتظاهرين أو إبعادهم السجون، أما في ظل الاستقلال، الذي حصلت عليه دول العالم الثالث في النصف الثاني من القرن العشرين، فلم تعد الدولة المضاعفة في حاجة، من أجل إسكات المعارضين، إلى استخدام السلاح في هذه الدرجة، ولا إلى نقل الجيوش من مكان لأخر. كان إسكات

ويخلق متاعب لابد من مواجهتها. فإرسال جيوش الاحتلال بأعداد كبيرة لم يعد أمراً مقبولاً بالدرجة التي كانت في الماضي، إذ أن أرواح الجنود أصبحت أغلى على الناس وأعلى سعراً مما كانت، بل حتى أرواح الناس في بلاد العالم الثالث نفسه أصبح ينظر إليها الآن نظرة مختلفة كما كان سائفاً في الماضي، مع اقتدار الشك في تفوق عنصر بشرى على عنصر آخر. أما استخدام حكام محليين لتأدية نفس الأغراض فهو أقل كلفة بالبلغ من الاحتلال العسكري المباشر، وهو وسيلة لا يمكن في الحقيقة الاستفادة عنها، وإن كان من المفيد دائماً أن تصبح أكثر دقة ونتائجاً أكثر إمكاناً. لقد تاحت ثورة المعلومات والاتصالات الفرصة لتحقيق ذلك في الماطوية ووزارة دولة درجة الإحكام في النتائج المرغوب فيها، مع الاحتفاظ بتقنيات الاستعمار عند أقل مستوى ممكن.

المعارضين إلى الحد الأدنى شيء شبيه جداً بهذا هو في رأيي ما حدث فيما سمي «الحرب»، التي دارت في العراق. لم يكن الطرفان في الحقيقة إلا طرفاً واحداً يقوم بدورين مختلفين، كما





## كتاب الزاوية



### البيان والتبيين للجاحظ

يعد هذا الكتاب من أهم كتب التراث العربي خاصة في مجال إرساء قواعد الفكر البلاغي، وهو يجمع بين كونه كتاباً في الأدب بالمفهوم الواسع القديم لكلمة الأدب الذي يعنى الأخذ من كل علم بطرف وكونه كتاباً في النظرية الأدبية.

والجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى اللبثى ولد في عام ١٦٣هـ/ ٨٦٦م في مدينة البصرة جنوب العراق واشتهر بالذكاء الحاد والذاكرة القوية والقدرة البالغة على الإنشاء الأدبي، وقد درس علوم عصره الأدبية والفكرية، كما قرأ المؤلفات الفلسفية التي تمت ترجمتها إلى العربية من اليونانية. وعاش الجاحظ في العصر الذهبي لامة العربية والإسلامية، عصر الخليفة هارون الرشيد وولده عبد الله المأمون.

توفي الجاحظ في البصرة عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م وترك آثاراً أدبية كبيرة ومهمة في التاريخ الفكرى والأدبى الإنسانى، ويقال أنه كتب ثلاثمائة وستين كتاباً في شتى ألوان المعرفة الإنسانية السائدة في عصره. وقد ضاعت معظم كتبه ولم يبق سوى القليل منها وفي مقدمتها الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء والطفيلون وفضيلة المعتزلة وأخلاق الملوك ومسائل القرآن ورسالة الترييع والتدوير.

وقد أصدرت الهيئة العامة لقصور الثقافة في مصر بداية العام الحالى ضمن سلسلة الذخائر كتاب: البيان والتبيين، في أربعة أجزاء وهو من تحقيق وشرح المحقق الكبير الراحل الأستاذ عبد السلام هارون

جميع ونقل المعلومات وفي تسهيل الاتصال بين الناس.

كان كل هذا هو ما دفع كتاباً ومفكرين من أصلال شينجلر، وهـ جـ. ويلز، وهكمسلى، واورويل، وسارتر، وكامى، وبرتراند رسل، إلخ إلى التحذير من مصير بلاس للبشرية إذا استمر سير الحضارة الغربية في هذا الاتجاه، وهو أيضاً ما جعل المهاتما غاندى يجيب ساخراً على سؤال لمصطفى برطاني عن رايه في الحضارة الغربية، بقوله: «إنها لتكون فكرة طيبة جداً، لو كان بالإمكان تحقيقها»! (It Would be a very good idea!) ما الجديد إذن مما يمكن أن تكون قد جلبته هذه «الحرب» الأخيرة في العراق؟

هناك بالطبع ما سبق أن أشرت إليه من جرأة بالغة وغير معهودة وعدم اعتراث بالفضيحة، بالمقارنة بمحاولات أكثر جدية للنسنت على فضائح الاستعمار في الماضي. وهناك الفجاجة والركاكة اللتان يتسم بهما الخطاب الأنشلى وتقتزن بهما هذه الهجمة الاستعمارية الجديدة بالمقارنة بالخطاب الاستعمارى القديم، وهو ما يشبهه الفارق بين شخصية رئيس الولايات المتحدة من نوع جورج بوش (خاصة الآن) وشخصية استعمارية أخرى، ولكنها أقدم بنصف قسن على الأقل، مثل رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل.

ولكن كل هذا يهون في رايي بالمقارنة بشيء واحد اعتبره هو الطامة الكبرى فيما يحدث الآن، وقد ظهر بصورة بالغة الوضوح في هذه الهجمة الاستعمارية الأخيرة على العراق، وهو ما يشكل في رايي أكبر فضيحة للحضارة الغربية الحديثة. وهو هذا الاتجاه غير المصوب، في سبيل تدمير الأعمال غير الأخلاقية، وفي سبيل إسكات أصوات المعارضين، إلى استخدام وسائل غسيل المخ والتلاعب بمسؤول الناس إلى هذه الدرجة الشيطانية. إن هذا هو الشيء المغيث حقاً، أكثر من سلب أموال الناس، وأكثر من الاستيلاء على أراضي الغير بالباطل، وأكثر من قتل الأبرياء. إن هذا الإصرار الشيطاني على خلط الحق بالباطل، وغرس الانكباب في قلوب الناس، ومحو ذاكرتهم، هو أسوأ ما تمخضت عنه هذه الأحداث الأخيرة في العراق. ولله يامل أن يكون الأمر مجرد فضيحة، إذ الفضيحة يمكن على الأقل العمل على عدم تكرارها. أما إذا تمخض الأمر عن أن يصبح هذا الأسلوب في مخاطبة الناس هو السمة الشابتة لوسائل الإعلام والاتصال، فإنه يكون بذلك قد تجاوز الفضيحة إلى ما هو أسوأ بكثير. ■

لقد أثرت الحضارة الغربية منذ نشأتها منذ نحو خمسة قرون بشن الصروب الاستعمارية بين الحين والآخر، جرياً وراء الريح، سواء كان الريح من وراء الاستيلاء على أراضي الغير وطرده منها أو إبادته، كما حدث في الفتوح الأوروبية لأمريكا الجنوبية والشمالية، أو الحصول على أيد عاملة رخيصة، كشن الحملات على أفريقيا لاصطياد الآفمين وإرسالهم إلى القلعة الأمريكية حيث جرى تشغيلهم كعبيد، أو الحصول على مواد أولية رخيصة وفتح أسواق جديدة أمام فائض السلع لصناعية، كما هي الحال في سائر الهجمات الاستعمارية الأوروبية والأمريكية على أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

لقد اقتربت الحضارة الغربية منذ نشأتها كذلك بالحروب فيما بين الدول الأوروبية نفسها. فاندثمت إليها الولايات المتحدة في القرن العشرين، سعيها وراء أهداف ليست أفضل من الناحية الأخلاقية من الهجمات الاستعمارية. ولم يعد خافياً على أحد أن الشعارات التي القرت بها هذه الحروب أو تلك كانت دائماً شعارات زائفة تستخدم لإخفاء أهداف دنية.

لم يعد أحد الآن يصدق أن استعمار بلاد الرافدين أو آسيا كان بفرض تمدن أمالي هذه البلاد، أو نشر الحضارة بينهم أو حماية الأقليات، كما لم يبق كثير من الآن من يصور أن الحربين العالميتين في القرن العشرين كانتا بغرض الانتصار للديمقراطية ودمج النازية والفاشية، أو أن الحرب الباردة في ذلك القرن كانت مناقسة شريفة بين إيديولوجيتين: الرأسمالية والإشتراكية. وإنما يعرف الجميع الآن أو يجب أن يعرفوا أن كلتا الإيديولوجيتين كانت تستخدم لتغطية أهداف أخرى تتعلق إرماً بالكسب الاقتصادي أو توسيع مناطق النفوذ.

كان كل هذا يغفل كتيبة وقائمة للغايلة على الحضارة الغربية دفعت عدداً من الكتائب والمفكرين الغربيين أنفسهم إلى التعبير عن شعورهم بالإحباط الشديد وفضيحة الأذل إلى يكون هذا هو مصير حضارة علفت عليها كل هذه الأمال الكبرى منذ حركات التنوير المتفائلة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وإن يرون أن هذه النهاية المنيعة هي منتهى ما وصلت إليه الحضارة في الغرب، وإن يكون هذا التقدم في إنتاج الأسلحة والقاء القنابل، بما في ذلك القنابل النووية على شجب كان قد استسلم بالفعل، هو الشعب ما يمكن أن يتفنت عنه التقدم العلمي والتكنولوجي، وإن يكون ناسر الأفكار المنطية واستخدام الأسلحة المنيعة هو أقصى ما يتفنت عنه كل هذا التقدم في

# المشكلة الكردية

## هل تجد حلاً أم تزداد تعقيداً

### دريّة عـوـنـى

الإناضول) وسدى هوكانه  
ووريندخان» في العراق تقع في اراض  
كردية.



أما ديانة الأغلبية العظمى من الكرد فهي الإسلام على المذهب السني الشافعي، ويوجد حوالي ستة ملايين كردي شيعة تصفهم في كردستان (إيران) كما يوجد علويون اكرد، ويثني المسيحيون منهم إلى الشعب الآشوري الذي حكم نينوى (الموصل الآن) قبل الميلاد ومنهم قلة تعتبر نفسها كردية. كذلك توجد أقلية كردية يهودية هاجر معظمها إلى إسرائيل عام ١٩٤٨ وهي الآن تشكل جالية كردية يهودية اقتصادها حوالي ١٠٠٠٠٠ نسمة في إسرائيل.



وكانت مساعدة ساكس - بيكو لد أناطا بربيطانيا حكم منطقة وادي الفرافين من جنوب الموصل في الخليج العربي (أي ما يطلق عليه بالعراق العربي) ثم انتقلت إليها ولاية الموصل قتي كتلت من نصيب فرنسا بعد الحرب.

ورغم أن إنجلترا ولعت على معاهدة سيفر لأنها لم تطبق إلى يند منها وسارت في مخططاتها بإلحاق ولاية الموصل للكردي بولاية البصرة وبغداد والفرجين وتنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق، وبعد عدة انتفاضات كردية للحصول على دولة مستقلة قسمتها إنجلترا بشدة وبالسلاح الكمالي رضى الكرد والقبائل بحكم ذاتي فقط داخل العراق، فكل وحلفائها تخضت عصية الأمم اقراً بضم ولاية الموصل للعراق ولكن بشرط إعطاء الكرد حصاً ذاتياً وتكوين إدارة كردية لاستعمال اللغة الكردية.

وبهذا انقصت ولاية الموصل نهائياً عن تركيا، ولكن تركيا لم تقبل حتى الآن هذا الانفصال وحاولت في كل مناسبة استرجاعها كما حصل أثناء حرب تحرير الكويت، وكما تحاول الآن منذ هذه الأزمة العراقية ثم الفزو الأمريكي - البريطاني، وبانتهاء الانتداب البريطاني على العراق في ١٩٣٠ واستقلال العراق

العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٢م

سنيين هو ٢٥ مليوناً وأكبر رقم يذكر هو ٤٠ مليون نسمة وكردستان مقسمة سياسياً في الوقت الحاضر بين خمس دول هي: تركيا (١٥ إلى ١٨ مليون نسمة) وإيران (٦ إلى ٨ ملايين) والعراق (٥ من ٦ ملايين) وسوريا (٤ مليون ونصف) وإرمينيا (الانحد السوفييتي سابقاً بضمة الأرم) وتمثل كردستان وحدة جغرافية متصلة. وهم يمثلون للجموعة العراقية الوحيدة في العالم قتي يزيد تعدادها على ٣٠ مليون نسمة، ولقي لم تحصل بعد على حقوقها القومية.

وتخسر المناطق الكردية بالبلورات المعدنية ويأتي البترول على رأسها ويقدّر احتياطي البترول في كل أجزاء كردستان بكثر من ٤٥ مليار برميل (أي أكثر من احتياطي الولايات المتحدة) فلي كردستان العراق يوجد البترول بوفرة في حقول كركوك وعين زاه وخلقين وبابكر (وهي من أغزر آبار البترول إنتاجاً).

وفي كردستان تركيا يوجد البترول في ديار بكر واطمان، وفي كردستان إيران يوجد في منطقة كرمنشاه وقصر شيرين وخانه، وفي كردستان سوريا يوجد البترول في روميلان وكراشوك.

بجانب البترول يوجد كثير من المعادن المهمة مثل الكبريت والفوسفات واليورانيوم والذهب والفضة والفضة والحديد، فضلاً عن أن المناجم الأساسية لهنرى دجلة وفرات تبدأ من كردستان تركيا، لذلك نجد أن أكبر اسدود في تركيا (GAP) أو مشروع جنوب شرق

عراقية الحديثة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨). ثم نشر، بإيجاز أهم تطورات علاقة الحركة القومية الكردية مع الانتظمة العراقية المتقلية وخاصة مع النظام البعثي وصعود نجم نقيب رئيس الجمهورية ثم رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين إلى حرب الخليج الثانية (أو اجتياح الكويت في أغسطس ١٩٩٠، ولقيت إلى نشأة إقليم كردستان وتطور بعد أن فصله الرئيس العراقي (أرباً عن باقي العراق عام ١٩٩١، وحتى وقوع الفزو الأمريكى - البريطاني في مارس ٢٠٠٣.

### أصل الكرد

الشعب الكردي هو أحد ثلاثة شعوب أصلية في منطقة الشرق الأوسط، هذه الشعوب هي: الفرس - العرب - الكرد.

وهو شعب أرى من مجموعة الشعوب الهندو - أوروبية من العائلة الإيرانية، لغته الفصاحة وهي لغة الكردية ذات لهجتين أساسيتين: السورانية (يتكلم بها كرد شرق كردستان العراق وكرد إيران) والبهديانية (يتكلم بها كرد غرب كردستان العراق وكرد تركيا وسوريا).

ومن الصعب جداً أن لم يكن من المستحيل إعطاء رقم حديث وديق عن تعداد الشعب الكردي، فقل رقم يذكر من



من الصعب جداً أن لم يكن من المستحيل إعطاء رقم حديث وديق عن تعداد الشعب الكردي، فقل رقم يذكر من سنيين هو ٢٥ مليوناً وأكبر رقم يذكر هو ٤٠ مليون نسمة



■ ■ ■ تكث هذه السطور بعد أن انهار النظام العراقي ورموزة وسقطت بغداد وانتهت الحرب، أو كادت واستسلمت مدينتا كركوك والموصل بدون قتال أو مقاومة.

طيلة الأزمة قتي سبقت الفزو الأمريكي - البريطاني وإثناء هذا الفزو وإلى الآن برزت القضية الكردية كاحد أهم المسائل التي تركزت حولها التحليلات والتوقعات لما سيكون عليه عراق ما بعد صدام حسين.

فعندما كانت أمريكا تهيب قواتها لفتح «جبهة الشمال» معتمدة على حليفها الإسرائيلي تركيا وعلى قواعدها الحربية فيها بالإضافة إلى أن تركيا عضو في الحلف الأطلسي «ناتو» انتقد أول لخم كردي عندما رفض قيادة وشعب كردستان العراق شروط تركيا المجففة للسماح للقوات الأمريكية بالمرور من أراضيها وأهملها ونحول سنيين قف جندي لحراسة المقاتلين الكرد بعد نزاع أسلحتهم، الاشتراك مباشرة في إدارة كركوك خاصة والعراق عامة، واكتشفت واشنطن أن تركيا بالإضافة إلى الفصين مليار دولار قتي تخليها كمساعدة تريد أن تحصل على أكثر من نصف «الكفة» قتي حصلت على هذه القوات ودخلت في عداوة مع معظم سكان لكره الأراضية ورفض أن يشار بها فيها أحد حتى حليفها بريطانيا.



ما هي الأسباب قتي أدت إلى أن تتدخل القضية الكردية هذا الحيز الكبير على مسرح الأحداث؟ هل ستجد المشكلة الكردية حلاً؟ وفي أي حدود؟ وهو احتمال وارد كما أن هناك سؤالاً آخر يطرح نفسه أيضاً وهو: هل ستراد هذه المشكلة تعقيداً خاصة إذا فجر الجوانب الإقليمي حيث توجد أليات كردية في جميع دول المنطقة بالعراق (تركيا وإيران وسوريا) وهذا احتمال وارد أيضاً؟

من الصعب الإجابة عن هذه الاسئلة بدون التذكير ولو بإيجاز شديد ببعض النقاط التاريخية والجغرافية واجوسياسية المتعلقة مباشرة بالموضوع الذي نحن بصدد. سنذكر بأصول الشعب الكردي وتاريخه ووضعه حتى انهيار الإمبراطورية العثمانية - لم نذكر بطرف نشأة الدولة





## لم تدم الضربة طويلاً فقد

نشرت الحكومة العراقية في ١٧/٧/٧٠

ومن طرف واحد مشروع الدستور المؤقت دون

البند العاشر الذي يعلن أن الشعب العراقي مكون من

شعبيين (العربي والكرد) واستمر النظام في

تهجير الأكراد إلى إيران

واندلعت الحرب مرة أخرى



في مساعدة الرئيس الراحل يومين  
وزبير خارجيته عبد العزيز بوتليقة  
رئيس الجزائر الآن تمت صفقة مشيئة  
للحرب والاكرد في الجزائر لئلا مؤتمر  
الاولد في ١٩٧٥/٣/٦ تنال العراق  
عرب وان يكون خط ثلوك هو الحدود  
بين العراق وإيران وان توقف بغداد  
حملاتها الدعاية ضد طهران، وان تكف  
عن مهاجمة معاهدة فك الاشتباك في  
سبناه بين مصر وإسرائيل مقابل ان  
توقف إيران مساعداتها للاكرد وتغلق  
حدودها مع العراق وتشديد الحراسة  
عليها لمنع الاكرد من هرب من قبل  
صدام. كذلك اغلقت تركيا حدودها في  
وجه الاكرد مقابل تحقيق هدفين:  
تزويدها بيشورل عراقى باسعار خاصة  
واضعاف الاكرد، انهارت الثورة الكردية  
تماماً، وفي ١٩٧٥/٣/١٨ القى مصطفى  
الكردى اوسع كرتة نفسية وحربية  
واسانية عرفها الشعب الكردي في  
تاريخه الحديث.

في هذه الاثناء وبعد نهيار الثورة  
الكردية عام ١٩٧٥ نجحت الحكومة  
الكردية في المنفى في إعادة تنظيم  
صفوفها، وتزكت لقيادة كردية  
التقليدية المئات لبروز لقيادة شابة  
واحزاب جديدة، ففي دمشق عام ١٩٧٥  
تكون الاتحاد القومي الكرديستاني الذي  
يتراسه حينئذ الآن جلال الطائياني (كان  
لدة طويلة من أهم معاوني مصطفى  
البرزاني قبل حدوث الانشقاق لكردي  
عام ١٩٦٤ م).

اما مصطفى البرزاني والذي كان  
موجوداً في إيران فقد أعاد تنظيم حزيه  
(الحزب الديمقراطي الكرديستاني)  
بتشكيل قيادة مؤقتة تلقت من نجليه  
إدريس البرزاني (توفي) ومسعود

علي الحكم وتم تعيين لصفد حسن  
البيكر رئيساً للوزراء، وصدام حسين  
نائباً له.

بعد قتال عنيف بين النظام والحركة  
الكردية اتصل احمد حسن البكر سراً  
بمصطفى البرزاني لم يدات ملاقات  
بينهما أدت إلى الاتفاق الشهير باتفاق  
١٩٧٠ء م ١٥ بنذا واعتبر كل طرف  
أن الاتفاق حقق له الحد المطلوب من  
مطالبه، فاكرد اعترفوا اعتراف الاتفاق  
بوجود امه كردية شريكة في الوطن  
العراقي كسباً كبيراً كما اعتبر الحكم في  
بغداد التأكيد على وحدة التراب العراقي  
مكسباً مهماً.

ولكن الفرحة لم تدم طويلاً فقد نشرت  
الحكومة العراقية في ١٧/٧/٧٠ ومن  
طرف واحد مشروع الدستور المؤقت دون  
البند العاشر الذي يعلن ان الشعب  
العراقي مكون من شعبيين (العربي  
والكردي) واستمر النظام في تهجير  
الاكرد من كركوك وكذلك تهجير ١٢٠ ألفاً  
من الاكرد الشيعه «الفرجة» إلى إيران  
واندلعت الحرب مرة أخرى ودار قتال  
شرس بين القوات العراقية والبيشمركة  
الكردية.

## اتفاقية الجزن

مسئول ١٩٧٥

امام تحصيلات انهيار الجبهة  
عراقية وتقدم المقاتلين الاكرد الذين  
رسل لهم ليران كمية كبيرة من  
الأسلحة، سارع صدام حسين، وكان  
لازل نائباً للرئيس، مع هزيمة كانت  
محتملة وتنازل عن مسؤولية العربية  
على اهم من ماتي عربي في اقتلح اي  
شط العرب مقابل منع هذه الكارثة.

البرزاني (رئيس الحزب الآن) إضافة  
إلى عدد من الكوادر فاشية، وظهرت  
احزاب واتجاهات جديدة مثل الاتجاه  
الاشتراكي وفتيان الإسلام (ففي سنة  
١٩٨٤ تأسست الحركة الإسلامية  
الكرديستانية بقيادة الشيخ عثمان عبد  
العزيز من قيادة الإخوان المسلمين  
سابقاً) وهي ليست لها علاقة بالنصار  
الإسلام لكن جوهموا في الأيام الأولى  
من الغزو الأمريكي - البريطاني، وقد  
صعدت بغداد من سياسة التهجير  
والتهجير إلى أن أصبحت حرب إبادة  
منظمة باستعمال كل أنواع الأسلحة  
والبذات الأسلحة كيميائية، في هذه  
الفترة أزيلت أكثر من ٤٥٠٠ قرية من  
على سطح الأرض، أكثر من نصف  
مليون كرد هجروا من كركوك في  
جنوب العراق في النصار وألاف من  
الاكرد يقدر عددهم بـ ٢٠٠ ألف نسمة  
واستولت لسلطات العراقية على  
منازلهم وأعطتها لسلالات من جنوب  
العراق في محاولة لطمس الهوية  
الكردية لكر كوك في ١٩٨٨/٣/١٦.

وليد ان تذكر هنا ماسة طليجة،  
فقد حررت قلوبا كردية ديتة طليجة  
(تقع على بعد بضعة كيلو مترات من  
الحدود الإيرانية) وايلتت بغداد ان  
الخطر جسيم وكان رد الفعل رهيباً  
وسرياً وبموافقة ضمنية امريكية قامت  
السلطات العراقية (فرنسية الصنع)  
بإلقاء اطنان من المواد الكيميائية (المانية  
الصنع) على هذه المدينة الكردية وفي  
لوان كان حوالي ٦٠٠٠ (ستة آلاف)  
شخص أغلبهم من الأطفال والنساء  
ورجال مسنون (الشباب) كانوا يقاتلون  
في الجبال) قد تمسدوا في أماكنهم  
وتكاثم تماثيل في متحف الرب.

ورغم ان الصفح العالية نشرت  
لصور والاخبار التي تكشف عن بشاعة  
للجريمة يمنع أحد من الغرب او  
شرق النظام العراقي من الاستمرار في  
استعمال الأسلحة كيميائية ضد الاكرد  
طيلة شهري أبريل ومايو ١٩٨٨، ولم  
يبدد بهذه المجزرة عدد قليل من  
المثقفين العرب.



## اجتياح الكويت

عندما اجتمعت قوات العراقية  
الكويت ورفضت الاطلبية الكردية تأييد  
غزو الكويت واجاب الاكرد  
اشكافية واجهها كفتيون

الرسمي والاسمي أصبحت العلاقة  
السياسية الرسمية بين النظام العراقي  
وقادة الحركة الكردية علاقة مواجهة،  
واصبوحا في خندقين في مواجهة  
مباشرة وفي حلة حرب او شبه حرب  
لاكثر من ٤٠ سنة، وتطورت الحركة  
الكردية مع إنشاء الحزب الديمقراطي  
الكرديستاني عام ١٩٤٦ (المعروف  
بالبراتي) والذي راسه الزعيم مصطفى  
البرزاني وراسه حلفاً ابنه مسعود  
البرزاني بهدف الحصول على حق تقرير  
المصير. وفي ١٤/٧/١٩٥٨ اطاح انقلاب  
عسكري بقيادة عبد لكرام قاسم  
بالنظام الملكي، وفي محاولة لإعادة  
الحياة لديمقراطية إلى العراق اعترف  
بالأحزاب بما في ذلك «البراتي» وظهرت  
١٤ صحيفة ومجلة كردية في هذه  
الفترة، وتم إعلان الدستور المؤقت  
الجديد الذي يعيد الحياة لديمقراطية  
وأعلن البند ثالثاً منه وبصرامة أن  
(الشعب العراقي يتكون من قوميتين:  
الحزب والاكرد ولهما شريكة في هذا  
الوطن) وأكد الدستور على ضمان  
الحقوق الوطنية الكردية داخل إطار  
الكيان العراقي.

وسل لفترة قصيرة جو من  
الديمقراطية وسمح للثلاث مصطفى  
البرزاني بالعودة من منفاه في الاتحاد  
السوفييتي، وساعد هذا المناخ على  
الإسراع في بلورة لتيارات السياسية  
الكردية وبروز حركة قومية تحريرية  
منظمة سياسياً وعسكرياً مركزة على  
قاعدة شيعية.

ولكن سرعان ما نزع عبد الكريم  
قاسم فتاة وظهرت حقبة ممارساته  
الديكتاتورية على العرب وعلى الاكرد  
معاً، وفي ١٩٦٠ قرر إخلاء ليد الخاص  
بالشعب الكردي للدستور المؤقت وأمر  
طائراً بدار منطقة برزان بالقتال.

بعد هذا التصرف من قبل عبد الكريم  
قاسم قرر حزب «البراتي» بقيادة  
مصطفى البرزاني الدفاع عن الشعب  
الكردي، وفي يوم ١٩٦١/٩/١١ اندلعت  
الحرب بين السلطة العراقية والحركة  
الكردية وظلت هذه الحرب مستمرة مع  
الانظمة العراقية المتتالية حتى عام  
١٩٩١ مع فترات قليلة من الصلح  
والوقاف سوعان ما كانت تنتهي بانفجار  
جديد.



وفي ٨ فبراير ١٩٦٣ اطاح ضباط  
بعثيون في الجيش بحكم عبد الكريم  
قاسم واعمدوا ولوا عبد قسام عارف  
العبد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م



**بعد فشل المفاوضات في بغداد  
حسم صدام حسين الوضع بجرعة قلم،  
فقد قرر فصل إقليم كردستان إدرياً عن باقي  
العراق وسحب جميع الإدارات من المدن الكردية  
تحت الحماية وتوقف عن دفع رواتب  
الموظفين الأكراد وأعلن حصاراً  
اقتصادياً على كل المناطق الكردية**



بإشراف مائيلين أولبرايت وزيرة خارجية أمريكا بين حزبي طلياني وبرتالي لحل المشاكل المتعلقة بينهما، وأنها توحيد الحكومتين ووضع كل الإيرادات تحت تصرف حكومة موحدة وإجراء انتخابات جديدة واستعداداً للحرب على العراق تم تشكيل قيادة موحدة بين الحزبين في مارس ٢٠٠٣.

و قد عملت جبهة الأحزاب الكردية منذ المستعنفات على الاتصال بالمعارضة العراقية وعقد مؤتمرات عديدة خاصة في دمشق ثم في ليبيا، وبعد اجتياح لكوت اجتمعت المعارضة في بيروت في (مارس) ١٩٩١، ثم في صلاح الدين (كردستان) في أكتوبر ١٩٩٢ ثم مؤتمر لندن في ديسمبر ٢٠٠٢ الذي انطلقت منه لجنة تنسيق ومتابعة اجتمعت ثانية في صلاح الدين أواخر فبراير ٢٠٠٣ حيث تم تشكيل الهيئة القيادية للمعارضة العراقية التي تضم «مسعود البرزاني وجلال الطليباني عن الأكراد، أحمد الجبلي عن المؤتمر الوطني العراقي، أباد علوي عن حركة الوفاق الوطني للعراقي، عبد العزيز الحليم عن الثورة الإسلامية» (شبكة) كما دعي عنان، الباجه جي ولكنه لم يحضر ودعي في لندن مؤتمر المستقلين.

وأعلنت الهيئة القيادية أنها ترفض أي احتلال أو غزو للعراق وترفض تنصيب حاكم عسكري أمريكي وترى تشكيل حكومة انتقالية عراقية تعد لإجراء انتخابات بعد فترة مناسبة من أجل إقامة نظام ديمقراطي برلماني تعدد إيرادي في عراق موحد، كما ترفض الهيئة القيادية أي تدخل إقليمي في شؤون عراقية وخاصة في كردستان. العراق.

#### احتمالات المستقبل،

حتى كتابة هذه السطور لم تتضح بعد الفئوي الأمريكية مستقبل العراق. وقد أكدت أي شخصيات مطلعة في المعارضة العراقية من أكراد وعرب وشيعية وحسنة أنهم أيضاً لا يعرفونهم إلا كدواليي ولي حتى انهم لم يثبت على اطلاع كامل بكل التفاصيل. ويبدو حسب مؤشرات كثيرة أن الجناح فيصيني المسيحي - الصهيوني في الإدارة الأمريكية هو فقط الذي يعلم بخطوات السيناريو الأمريكي.

العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م

رواتب الموظفين الأكراد (حوالي ١٥٠ ألف موظف كردي) وأعلن حصاراً اقتصادياً على كل المناطق الكردية التي كانت تعيش أيضاً الحصار الدولي على كل العراق.

#### الوضع الحالي في إقليم كردستان،

سبح الراد مجلس الأمن ٦٨٨ بوجود «إقليم كردستان العراق» وهو يضم ٦٥٪ من مساحة كردستان ولم يعترف بهذا الكيان دولياً بطريقة رسمية، لكن كثيراً من القادة والمسؤولين وبالأد من أمريكا وأوروبا تتعامل معه ككيان شبه مستقل. وحتى الدول للجوار التي تقاسم كردستان والمعادية لهذا الكيان تتعامل معه على المستوى الرسمي عن طريق مكاتب للوزيرين لرئيسيين كرديين، كما زارته وفود رسمية إيرانية وتركية. ويوجد مثلك للوزيرين في أغلب العواصم بما في ذلك القاهرة.

ولكن الأزمة الاقتصادية طاحنة (تحت حصار مضاف دولي وعراقي) ووضع غير المستقل للإقليم ومناورات الدول (غير الصديقة) الجاورة ومحاوله كل فريق توسيع نفوذه. كل ذلك فجر انقلاباً كردياً كردياً أدى إلى تقسيم إقليم كردستان إلى قسمين، فسيطر حزب الاتحاد على أربيل وإقليمه وضواحي كركوك وسيطر برزاني على مسافطة دھوك وبعض مناطق أربيل.

ويضبط من أمريكا بات دفع مفاوضات بين برزاني وطليباني أدت في توقيع اتفاقية ولشطن في ١٧/٩/١٩٩٨

٨٥٪ من مساحة كردستان قد تم تحريرها خاصة مدينة كركوك.

بعد ذلك استطاع الأكراد أن يوليخوا لقوات العراقية التي لم يكن يحميها غطاء جوي بسبب حماية الحلفاء وأن يستعيدوا من لقوات العراقية التي أخذت تنسحب من أهم المدن الكردية: السليمانية - أربيل - دهوك التي أصبحت تحت سيطرة كردية لتتوكل وراء خط ٣٦. واعتقد الأكراد أن الظروف الدولية والإقليمية وبالحقيقة مهيأة للتفاوض مع صدام، فالتوحدت الأحزاب الكردية في جبهة واحدة ونهبت إلى بغداد للتفاوض ومعها مشروع كامل حول الحكم الذاتي وفي قصور كركوك واستعداً إلى حد كبير على اتفاق آت مارس ١٩٧٠، بعد إضالة المسائل التي جدت (إلغاء القوانين الاستثنائية حول التحرير - رجوع للمهاجرين - رجوع للمقنودين خاصة ٨٠٠٠ مقنود من شيرة لبرزاني - تحديد حدود كردستان بما فيها مدينة كركوك وخضائن) ولكن المفاوضات فشلت بعد انتظار لوفد كركوك أكثر من ٤٠ يوماً في بغداد. وفي أثناء ذلك كانت القضية الكردية تمر من جانبها وعلى المسرح الدولي بطورات سريعة، فثوات تختلف كانت تتخذ مواقعها في قواعد العسكرية خاصة في تركيا (إنجريك) وتوفر حماية جوية للمنطقة للانصراف ضمن خط ٣٦ والتي تشمل دهوك - الموصل - أربيل إلى أطراف السليمانية، ومنعت القوات العراقية من التدخل في هذه المنطقة.

بعد فشل المفاوضات في بغداد حسم صدام حسين الوضع بجرعة قلم، فقد قرر فصل إقليم كردستان إدرياً عن باقي العراق وسحب جميع الإدارات من المدن الكردية تحت الحماية وتوقف عن دفع رواتب الموظفين الأكراد وأعلن حصاراً اقتصادياً على كل المناطق الكردية

وهي الانحياز إلى أمريكا وحلفائها مع عدم تقهيم في فنوايا الأمريكية، ولكن أمريكا حسمت الموقف عندما قررت الانحياز عن أي حوار أو تصاون مع الأكراد خوفاً من إغضاب تركيا التي كان لها دور مهم في حرب الخليج، وبلغ حرص أمريكا وحلفائها على عدم الاتصال بالأكراد، إلى درجة أنهم كانوا يمتنعون عن استقبال قادة الأكراد في واشنطن أو باريس أو لندن.

وبدا قادة الأكراد يضعون خططهم لمواجهة كل الاحتمالات سواء سقوط صدام أو قيامه بهجوم يأنس على كردستان. وفي سبيل مواجهة كل هذه الاحتمالات تحرك قادة الأكراد في العراق للتسيق مع قادة الأكراد في كل من تركيا وإيران، وأخذ لقادة الأكراد على تصميمهم على عدم تقسيم العراق وتنشيم في عدم إقامة دولة كردية مستقلة.

وبداوا في مفاوضات مع المعارضة العراقية لإيجاد خيار آخر لنظام صدام. وفي دمشق يوم ٢٧/٢/١٩٩٠ تم اتفاق ١٧ مجموعة حزبية عراقية على ضرورة الطاعة بصدام حسين وإقامة دولة ديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وضرورة منح الحكم الذاتي لأكراد العراق.



#### الانتفاضة ولادة إقليم كردستان،

بعد هزيمة العراق في حرب الخليج، انتفض الشعب العراقي في الجنوب واستمر الانتفاضة عدة اسبوعين وباتت بغداد وكثيرا غير قادرة على عمل شيء. وفي كردستان قامت انتفاضة عشوية في ١٩٩١/٣/٤ في مدينة «ربانية» ولكن سرعان ما انتشرت الانتفاضة في كل أنحاء كردستان، ولاحق بها القادة والمقاتلون، وبسرعة استطاع البشمركة أن يسيطروا على عشرات المدن مثل السليمانية وأربيل ودهوك.

بعد وقف إطلاق النار مع الحلفاء قدم تعرضهم لنظام صدام القابع في قنصته العراقية شعر انتقام العراقي بأنه ظليق اليدين داخلها فاستدع الانتفاضة في الجنوب بوشية متقطعة نظير، ثم اتجهت جيوشه ومطاراته إلى الشمال حيث كانت مساحة تصل إلى

## كتاب الزاوية



### في الصمت

كان أعرابي يجالس الشعبي فيطيل الصمت، فستل عن  
مول صمته فقال: «اسمع فاعلم، وأسكت فاسلم».  
وقالوا: «لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من  
ذهب».

وقالوا: «مقل الرَجُل بين لحييه وفُكَيْهِ».

وأخذ أبو بكر الصديق، رحمه الله، بطرف لسانه وقال:  
«هذا الذي أوردني المَوَارد».

وقالوا: ليس شيء أحق بطول سجن من لسان.

وقالوا: اللسان سَبْعُ عَقُور.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «وهل يُكِبُّ الناس  
على مناخرهم في نار جهنم إلا حصادت السننهم».

وقال ابن الأعرابي، عن بعض أشياخه: تكلم رجل عند  
النبي عليه الصلاة والسلام فخطأ في كلامه، فقال  
النبي ﷺ: ما أعطى العبدُ شراً من ملاقاة اللسان».

وقال الملائشي، وخالد بن خِدَاش: هدفتنا مَهْدَى بن  
ميمون، عن غيلان بن جرير، عن مطرف بن عبد الله بن  
الشخير، عن أبيه قال: قِيمْنَا على رسول الله ﷺ في وفد  
فقلنا: يا رسول الله، أنت سيدنا، وأنت أُمْلُونَا علينا طَوْلًا  
(فضلاً)، وأنت الجفنة الغراء. فقال رسول الله ﷺ: «أيها  
الناس، قولوا! بقلوكم ولا يستقرنكم الشيطان، فإنما أنا عبد  
الله ورسوله».

عليها محاولات التغامر بين الحركة  
الكردية والأنظمة العراقية المختلفة كما  
رأينا فيما سبق هي: الاعتراف بوجود  
شعب كردي على أرضه شريك مع  
الشعب العربي في عراق موحد، تحديد  
حدود كردستان، تقسيم ميزانية العراق  
حسب تعداد السكان، عودة المهجرين  
إلى كركوك، والأكرد الشيعة (فيلية)  
إلى خانقين.

### السيناريوهات الأخرى

#### أن تتقدم المشكلة الكردية

ولك إذا أصرت تركيا التي صرحت  
أكثر من مرة بأنها لا تقبل حصاً فيدرالياً  
ولا حصاً ذاتياً لأكراد العراق «كي لا  
يطالب أكراد تركيا بأشياء نفسه» كما  
لا تقبل أن يدخل الجيش تركي كركوك  
والموصل. ولقد أعربت كل من إيران  
وسوريا عن قلقهما من الدور الكردي  
للتصاعد وبدها يتناورون.  
وقد حاولت إثارة في ضوء هذه الأزمة  
أن تشتره ولو جزءاً من ولاية الموصل التي  
انضمت عنها عام ١٩٢٥ وانضمت إلى  
العراق. ولذلك حاولت إضلال أكثر من ٦٠  
ألف جندي تركي داخل وصول البشمركة  
إلى كركوك!! «وترع سلاحهم وللشركة  
في حكم العراق»، وهي تحاول بكل  
الوسائل تهيمش الدور الكردي وتكتسب  
حدوده. ونحن نعتقد أنه أصبح من  
الصعب جداً أن تحقق ذلك، فتركيا ليس  
لها أي سيطرة على أكراد العراق، كما  
أصبح من الصعب أيضاً عليها أن تستمر  
في عدم تلبية مطالب حوالي ٢٠ مليون  
كردي في تركيا، فالوضع متفجر بعد أن  
نقد صبر الأحزاب الكردية وخاصة (حزب  
العمال الكردستاني) Pkk الذي اختطف  
رئيسه «عبد الله أوجلان» ويقبع في  
سجن أنغارا في جزيرة وسط بحر إيجة  
منذ ٤ سنوات. لقد تنازل هذا الحزب  
الذي أصبح اسمه «المؤتمر الوطني  
الديمقراطي الكردستاني» (ككك) عن  
طلبه في الانفصال ونيل الفتح المسلح  
في مقابل حصوله على حقوق سياسية  
ولقائحية داخل تركيا، ولكن تركيا لم  
تستجب.

المشكلة الكردية حسب أكثر  
السيناريوهات احتمالاً سوف تجد حلاً  
في داخل العراق ولكنها ربما تتغير في  
تركيا أو سوريا أو إيران، إن شاء الله  
هذه الدول بإعطاء الحد الأدنى لأكرادها  
أي نوع من الحكم الذاتي أو - على الأقل -  
لامركزية. ■

الفوضى والتهب والقتل التي سادت  
المدن العراقية «الحررة» والتي فاجأت  
الجميع وخاصة جبهة المعارضة التي  
كانت تعتمد أن وجود الجنود الأمريكيين  
سيمنع مثل هذه الفوضى التي كان  
يخشاه الجميع على نحو ما كان يحدث  
بعد كل انقلاب منذ نظام الملكي ثم نظام  
عبد الكريم قاسم ثم عبد السلام عارف  
وبعد عبد الرحمن عارف.  
مع ذلك سنحاول أن نلخص  
السيناريوهات المحتملة للقضية الكردية  
في إطار الوضع الكردي في العراق  
وأيضاً في دول الجوار (تركيا - إيران -  
سوريا).

### السيناريوهات الأولى

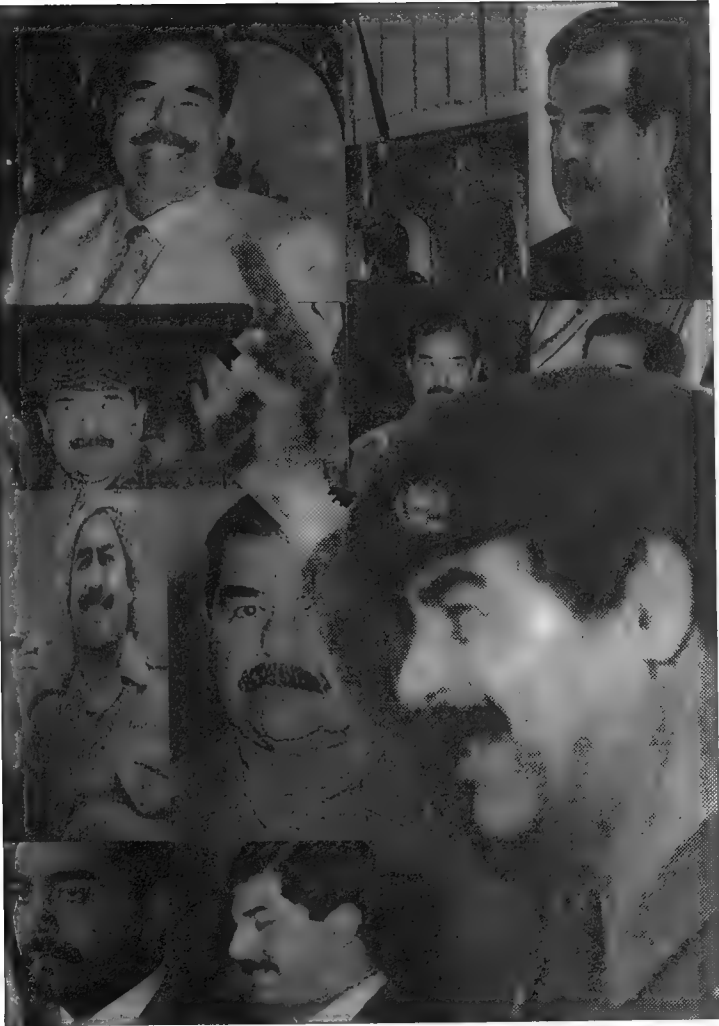
#### (وهو الأكثر احتمالاً)

■ أن يُلَبِّثَ الأكراد الحكم الذاتي  
الذي فرض عليهم منذ ١٩٩١ مع إضافة  
الناطق للحررة مؤخرًا من باقي الأراضي  
كردية مثل كاسانقين وعسد من المدن  
قنابسة لحافظتي كركوك والموصل  
مساعدة مدينة كركوك داخل عراق  
ديمقراطي فيدرالي موحد، ونذكر هنا أن  
مدينة الموصل مدينة عربية لا يطالب بها  
الأكراد.

■ إصدار الأكراد الذين هجروا في  
إطار لتحريرهم من كركوك على مدى  
ثلاثين عاماً وعددهم ٣٠٠ ألف نسمة  
وابارتها من قبل أغلبية كردية بالانتماء  
مع أقلية تركمانية عربية وأشورية علب  
تحرير كركوك يوم ٢٠٠٣/٤/١٠ وأكد  
القادة الأكراد أنهم سوف يجعلون من  
كركوك نموذجاً للإخاء بين أكراد وعرب  
وتركمان وأشوريين. وهم يصفون  
كركوك بأنها مدينة كردستانية (وليست  
كردية) في أنها تشمل عناصر غير  
كردية.

■ أما آبار النفط فسوف تخضع  
لسيطرة المايورن الأمريكي، ولم يكن في  
نية الأحزاب الكردية التي تعتبر نفسها  
من جبهة المعارضة العراقية، احتمال  
الآبار البترولية في كركوك، لأن الغفلة  
الاستراتيجية هي أن آبار البترول في  
الشمال وكذلك الآبار في الفاي في  
الجنوب (وهي الأغزر ولم تستهلك مثل  
آبار كركوك التي تستغل منذ قرن  
تقريباً) هي ملك للشعب العراقي ككل،  
ومن مطلب الأكراد أن يحصلوا على  
نسبة من كل بترول العراق حسب  
تعدادهم لإعصال الإقليم الذي سيكون  
داخل الحدود العراقية.

إن أهم المشاكل التي كانت تتحطم  
العبد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م



والفرص صدمومة، وفي شبّاء ١٩٦٤  
اقسم ممدد الواء الضربى.. فى حزب  
بعت العربى الاشتراكى  
كانت العملية الكبرى فى شهاب  
عبد حسين، هى محاولة فاشلة  
لتقليد عبد الكريم قاسم، ١٧ أكتوبر  
١٩٥٩، ما يكن مطلوباً من صفاء حسين  
والى تأمين حماية رفاهية الأربعة  
والانحسار بعد أن يكون هؤلاء قد  
انسحبوا، لكن وبسبب عدم حماسة،  
وجد صفاء حسين نفسه يسحب رأساً  
صغيراً من تحت سترة طويلة أخذاً من  
خلفه، ويطلق النار على سيارة عبد الكريم  
قاسم.

كانت محاولة الإغتيال مجرد صراع على السلطة. لم يكن في ذهن من قاموا بها كالتخويف أو إرغامهم على التوجه لفرنسا. صرقاته المالية الغربية، والتي أصبحت عندها صراعاً خطيراً، كانت تلحق الصدمة بالسياسة. الرئيس لم يقتل. اختبرته حرصاً وهدوءاً واحدة كشفه وقد كان في المستشفي. وفي اللحظة التي كانا يضمنون فيها بجرحه، استبداه بعض الأعداء أوكران جرحاً جدياً. وبالإزاء الأعضاء في السي. إن. إن. التي تم تمسكهم. أعلن فقط عن مقتل الرئيس وأصابه ومراقبه بجرح خطير. أما صدام حسين فلم يفلت من مصاصه. في كتاب راجعه صدام حسين نفسه ونفسه للخطأ المعالجة. واستخراج الرصاصه من قومه:

« جرى قص اللحم بالسكين، أقبض  
صدام على الأرض الطين، انفلأفرد  
انفززت في الأرض، حين جرى إدخال  
المقص في الجرح للبحث عن الرصاصة  
وسط اللحم والدم، فلقد صدام الزعبي  
و حين استعاد وعيه بعد عشرين دقيقة  
وجد الجرح مريوفاً في القماش.

كان هذا ما جرى في أرض الفلج.  
فكيف جرى التصفية عبرة في فيليب  
سببنا في عدم حسين. نلقا ما كتبه  
المخرج السببنا العراقي المنفذ سالم  
ول. من مفاة الاويوي عن التصفية سالم  
الطويلة. المخلو عن رواية عبد  
الامير معة. ومن اخرج واحد من كل احدى  
مفرجي السببنا العربية توفيق صالح.  
قال سالم انه تم جمع كل من يتجولون  
شبهيا عن عدم حسين كل الذي  
العراق. وعدم حسين نفسه هو احدى  
اختر من يقوم بالطويلة. كان عدم  
كامل. حسين كان الذي مسكر.  
قال ليصح (وزير) للتصفية العسكري.  
فما بعد تزوج عدم كامل. وحسين  
كامل من رقصتي عدم حسين. وحسين  
الذي هربا الى الازن. وعبدنا وما قبل  
عدم وحسين في تصفية جديدة  
صوية اشدت نغى عاصيا بعيدا عن  
الدولة العربية. ومن عدم حسين شاهد  
بنفسه الفيلد لاية عرصة في دولته  
الرض العراقية. كان عدم حسين  
ومخر. ولم يعلق عدم حسين  
الا على المشهد الذي يتالم فيه لطفه  
استراخ رصاصا من جسمه دون  
مخر. قال عدم انه لا يتالم. ولم يتالم  
عندما جرى استراخ عدم  
راضة قلا من عدم

وَصَحَاتِ نَظَرٍ ۵۳

ثم انتسب إلى الحقوق. هذا ما كان يقال.  
أما الحصول على شهادة من جامعة  
الانتساب، فيحصل هناك إجابة شافية  
عنها. الأمر المؤكد أنه لم يتحقق له  
الاستمرار والانتظام في الدراسة.  
والرئيس البكر أنه لم يترك الحياة في  
حياة صدام عندما منحته رتبة جنرال رغم  
أنه لم يكن حتى جندياً في يوم من الأيام.  
أما مدير له الطفايح هو عبد عثمان الذي  
سبق صدام إلى صفوف حزب البعث. وإن  
كان صدام قد خلفه، وقد بعد بعد ذلك  
وعندما أصبح صدام الرئيس والقائد  
أصبح عبد عثمان وزير دفاع. ثم سرعان ما  
أبعدته وقاتله بطريقة عارضة. صدام لم  
تفرّج أثناء أي حادث سياسي مؤلفاً.  
بعد أن بدأت صورته الإعلامية في البروز.  
وقد كتب البعض بعد الحرب مع إيران  
أنه شط العرب.

تزوج صدام من ساجدة ابنة خير الله، وشقيقة عدنان، ولدت قبله بعام واحد، أو عامين، ورغم بعض المقامرات التي قبلت عن صدام حسين من قبل

■ ■ ■ ابن صدام حسين؟ هل قتلته  
 ضربت عراقي ينتظر مكافأته الأول؟  
 جعلت عراقي التحالف العراقي كانت  
 تروج فيه القيادة العراقية وقتوا جميعاً  
 وروا واحدة وجعلوا ابراهيم معهم؟  
 صفاوا بعضهم بعضاً فيه الطريقة  
 العراقية؟ هل كانوا من الهروب جميعاً؟  
 هل هم موجودون في وسطيا خاصة ان  
 كونداليزا راباس تركت وشايتا بشكل  
 غريب واذهبت الى موسكو في مهمة لا  
 تقبل عما جرى عليه الكثير؟ وهناك  
 فارتعت ادباء عمولة صدام حسين.  
 حديثاً تصرفت ارضهم من انهم ان  
 حيث مغربي تحركت اصدقاء المدفون  
 فيها الكويتي الاول؛ صلاح الدين  
 الابويهي له يقول صدام في ادس مساجد  
 بغداد ان ينتظره مدير اسامة بن لادن  
 حيث يتخير في الهواء ويطلع عليه احد.  
 وتحتال أمريكا ان تبدو وقد افعلت امره.  
 كما قستة متعباً

لكن جرح العراق يبدو اكبر من الجسد  
الذي به نفسه، من اجل مستقبل شعب

## صدام حسين في قصر النهاية !

العراق، تكتب عن صدام الرجل الذي  
لخص الدولة في شخصه، أكتب وفي  
خيالي، أن الذين سيكونون هنا بعد  
نصف قرن من الزمان، سيعطون في  
صفحات التاريخ وهم يسألونا: ماذا  
فعلتم من أجل أطفال العراق؟

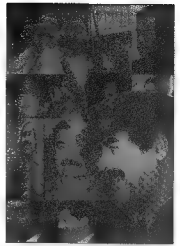
### الهروب من الطفولة

في قرية «العوجة» التابعة لتكريت  
 في عام ميلاد محمد حسين - وإن كان كثير  
 المبالغة - وعرفوا في ذلك هناك تاركين  
 متعطلين للميلاد: ٢٧ و ٢٨ أبريل من عام  
 ١٩٣٧ - عاشى في هذا البيت ولكره و  
 صعبة. والى مكتبه كتب محمد حسين رسالة  
 زيارات وتوجيهات له بعضه أخوه غير  
 الشافق، زبون وظهران وسبعوى وغير  
 واحد. كل ذلك طلائع جعله رجل مستقبلي.  
 هنا هذا البيت جعل فيه جلاله خير الله  
 طلائع يقولى ترويته. إذ تعليمه متفكر  
 من موعده. بالتعليم بدى في العاشرة.  
 حصل على التأسيسية في تكريت سنة  
 ١٩٥٥. وحصل لى زوال الغلظت عليه  
 العسكرية ولكن أبوا الغلظت دونه.  
 يحاول الانقلاب منها. حصل من مدرسة  
 قصر اللبى بالهاجرة على شهادة امتحان  
 فخر الشرف خلال إقامته في مصر.

في فترات الشباب والمراهقة  
 قليل عن صدام أنه شاب صموث  
 وكتوم لا يميل إلى المزاح.  
 يتعد عن الآخرين. يؤمن أن  
 الحياة ما هي إلا معركة  
 مستمرة بلا نهاية. وأن الخصم  
 الذي على قيد الحياة  
 يشكك في جدل الإنسان.

يوسف القعيد

العدد الثاني، والخمسون - مايو ٢٠٠٣م



صدام حسين

ووقف وزير الإعلام وقال إن الأمم شعور إنساني، فاشار صدام بيده للوزير زاجراً بإمام، ووصفه بكلمة نابية، وأنهى صدام اللقاء.

مخرج الفيلم ما لبث أن ترك العراق عائداً إلى مصر. وقد كان لم ينفق بكلمة واحدة عن تجربته مع صدام وأركان حكمه. أما عبد الأمير ملة الذي كان قد أصبح وزيراً لوزارة الإعلام والثقافة، وكان مسؤولاً حزيناً كبيراً، فقد لاحظ بعد عرض الفيلم بقسرة، أن هناك سيارة تنجبه إلى أي مكان يذهب إليه، وعندما يدخل بيته تبقى هذه السيارة حتى يخرج منه. لم يكن عبد الأمير قد لاحظ أن ابنه الكبير قد بدأ يجرده من مساحد بغداد، ولم يكن قد أدرك أن ابنه كان مرسوفاً. وهكذا كانت النهاية التي لا تختلف كثيراً عن نهاية الضعفاء شقيق التكملي الذي كتب لنضيد القوي للعراق، بعد حكم الخليليين له، وعزيز السيد جاسم، الشقيق الأكبر للدكتور محسن جاسم الموسوي، الذي كان نائباً لوزير الثقافة ورئيساً لدار الشؤون الثقافية. والتكية التي جرت للمثلة، بعد أن كتب عزيز السيد جاسم كتاباً عن الفرق الدينية في الإسلام، ومن الطبيعي أن يتعرض فيه للسنة والشيعية وقد اعترض الرقيب على نشر الكتاب. إلى هنا والأمور طبيعية، ولكن عني الطبيعي كان صدور الكتاب في بيروت، اخفضي عزيز السيد جاسم، وأصبح محسن الموسوي مغترباً ألبانيا من مصادره إلى تونس إلى الإمارات العربية المتحدة.

## السيد الشاب

حتى الرئيس أحمد حسن البكر لم يكن يقول عن صدام حسين سوى عبارة "السيد الشاب، وعندما كان يذهب إليه أحد العراقيين القاديين شاكياً من تصرفات صدام حسين كان يخرج من وراء مكتبه ويتوسط الحجرة - خاصة في أيامه الأخيرة - ويقول للشاكى أنه - أي فكر - لا يستطيع حتى الاستقالة من منصبه.

تلك كانت صورة السيد الشاب، الذي جمع مناصب رئيس أمن حزب البعث والأمين العام للحزب علوة على أنه نائب البكر الوحيد بعد أن تخلص من النابتين الآخرين، حردان الكريتي وصالح هادي عمارة، وتلك هي صفات السيد الشاب: وجه داكن، شارب قائم، عظام بارزة من الكتفين والخصر، أما داخله فلا توجد هي اللغة العربية كلمة واحدة توجده على انحصار رغم تراث هذه اللغة بالعديد من المفردات، صوت بارد وودود، صوت هادئ قادر على أن يكتم مشاعره مهما كان غيظه، كان يتكلم دون أن يرف له جفن - يؤمن أن الخصم لا يمكن أن يستسلم إلا بعد أن يصبح قتيلاً - كان صدام يحكم العراق بسلطان الفكر التسلطي، وكان يمكن أن يعصف به الآخرون، لو أن البكر رفع غطاءه من فوق رأسه، لكن الخيوط هي ما يجمع بين الرئيس ونائبه، ونائبه تتلاشى وتضيع

## إلى أن يكتم

من بين يدى الرئيس، لتتجمع بين يدي الشاب، كان الرئيس البكر قد أصبح متعباً، والذئاب عنده من الهمة والعافية ما لا يعرف ماذا يمكنه أن يفعل بهما؟

كان العراق جزءاً من منطقة جرى اختراعها قبل عقود، رسم الإنجليز خرقطها مع خلفاء الحرب العالمية الأولى، حيث كانت تعرف بارض العراق قبل خروج دولة العراق إلى الوجود، والعراق تعني الأرض المعركة بالخير والنساء، عندما كان نائباً زار وفد من الأمم المتحدة العراق وذلك للبحث في أحوال السجون، والتقى، حضر البكر وصدام الاجتماع، البكر انصرف مبكراً، وصدام بقي طوال ثلاث ساعات لم ينفق بكلمة واحدة، ولكن عبد الخالق السامرائي قال للوفد أن كل دولة تحتاج إلى أمن شخصيها، الفيلسوف هوبز قال أن العالم غاية، والدولة هي محاولة لغرض قوانين حياة هذه الغاية، قد يظلم الأبرياء لكن هذه هي طبيعة الدولة عموماً، لكن المشكلة أن الهاجس الأمني تعدى كل الحدود بعد هذا.

ظل هذا الوضع حتى السادس عشر من يوليو تموز سنة ١٩٧٧، وهي اللحظة التي أعلن فيها الرئيس أحمد حسن البكر - بتفهمه - على التكنييون، وعلى مشهد من الأمة كلها اعتزاله لأسباب صحية. كان صدام حسين يصفى البكر بـ ٢٥ عاماً كاملة، ومع هذا تمكن من خلعه بجهود، وسلامة.

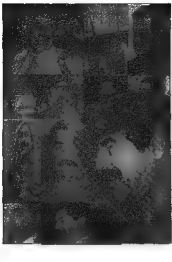
## القائد الضرورة

إن اتحدث عن نظام حكم يقوم على شريحة الرجل الواحد، لكل الشرعيات هكذا في العالم الثالث والوطن العربي جزء منه، ولكن الكلام عن فكرة السلطة المطلقة التي تصبح دائماً وأبداً مفسدة مطلقة، دعك من الانقلاب الخطيرة التي أطلقت على صدام حسين، فهي تحتاج لجلد وخسما، ولكنك كسان رئيس الجمهورية، ورئيس مجلس قيادة الثورة، ورئيس مجلس الوزراء، والأمين العام للقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، والقائد الأعلى للقوات المسلحة العراقية، جرى هذا من لحظة استيلائه على السلطة، حتى لحظة اختفائه منها.

طبيعة العراق تتطلب التسوقف أصامها، في كتابه حروب تند أخرى؛ لتاريخ السورى لنسرب الخليج، يكتب سعد البراز: - لا يوجد شعب على وجه الأرض يشعر أنه معرض للمخاطر ومحاط بالاعداء مثل شعب العراق، الذي تتشكّل عند أبنائه مشاعر خوف جماعية من وجود من يعمل على إقناطهم، معو إحصاسهم بوجود عدو قتل، وعدو محتمل، وهي مشاعر مخاتية عن إرث تاريخي مشترك عمره ستة آلاف سنة. العزير مشاعر أخرى تولدت في الحضر الحديث الذي نشأ على انقلاص بغداد للمدسة سنة ١٢٥٨ الميلادي، عندما استباحها المحول.

- ويذهب العراقيون إلى أبعد من ذلك في التساؤل: هل يستطيع العراق أن يحيا في كنف السببات والركود والسكون؟ أم أنه يدوى ويضمحل وقد ينقث عنذاً؟ إن الحرب وظيفية لا يمكن إكثارها بالنسبة للعراق بوصفها اختياراً للخدمة المجتمع على التكتل والنضمان، وتجديد نفسه، إنه يكتب عن ظلم الجغرافيا للعراق، فالوضع الجغرافي ترك بصمته على التكوين النفسي للعراقيين، فالشعور بالجزلة والانغلاق وسط جيران منافسين وعداة على البر يولد إحساساً بالضيق تحت ثقل طوق يرى تتفاوت فيه درجتا الانحباس والانفتاح، وكثيراً ما جسدت الحصار، السندياب روح العراقي للحرور من الجحيم، ويقلع عن المورخ طه ياسر بسولة، إن حصاره وادي الرافدين تمتاز بالحدة وتوقع المخافات والواجب.

ولهذا فإن العراق الذي امتاز بالأرض الخصبة والمياه الوفيرة والبترول والخطبة الصناعية الكبرى، دخل من الحروب ما جعله دولة مديونة، كانت ديون العراق عند لحظة انتهاء الحرب مع إيران ٧٠ مليار دولار، بفضاا إليها مع لائقه العراق من الاحتياطي قبل بدء الحرب، وكان يزيد على ٥٠ مليار دولار، إن تحوير الفايكود العراق وحده ٥٧ ألف قتيل، العراق كشكول مفتوح، ليست مجرد بلد عادي، عند تسلم صدام حسين السلطة كانت تركيبة سكان العراق التركيبية هكذا: ٢٠٪ كرد و ٢٠٪ عرب سنة و ٦٠٪ شيعة ولا بد إضافة إلى الأقليات لم تحصن أبداً من ذلكان وصانتي ديون وأشوريين وسريان، لذلك كان من الصعب على سلطة البعث أن تحاول أن تستمدع شعريتها من الدين، إنه أفضلة مفسودة، إن هؤلاء السكان يمكن أن يجتمعوا حول، القومية العربية، وهي أيضاً قد تمكن العراق يوماً من إعادة الوطن العربي، لذلك كان يقال القطر العراقي وليس الدولة العراقية، إن الهاجس الأمني الذي تضخم عند صدام حسين جعله يغير أمته إلامته بصورة مستمرة، مع تضيق دائرة من يعرفون مكانه، كان مجرد السؤال عن مكان تواجده يساوي قضية تجسس للأعداء، حتى الوزراء ومن أكبر منهم لم يكونوا يعرفون مكانه، وعند الذهاب لبلابته، لم يكن الألبام يعرف أنه سيقابل صدام حسين أبداً، وكان يذهب إلى أكثر من مكان، وقيل الوصول إلى مكانه كان يستلزم سيارة عصابة مستأجر سوري، وعندما يمدل إلى المكان يمدل في طوق طويلة، إما أن حيلاتها وأرضيتها وسفها عبارة عن مرايا، أو أن يمشي في طريقة ضيقة يلف على جانبيها مجموعات من العراقيين يصطفون ويهتفون لصدام بصوت عال في مكان ضيق، حتى يصل الضيف إليه وهو شبه ميت، بسبب كل هذا الهول الذي يمر به كان صدام حسين يغير أماكن إقامته بصورة متتلفة، حتى افراد أسرته لم



الدقي. وإن الرجل كان يراعي ظروف صدام الملحية حيث يقدم له الطيبات موجدًا للذوق. إن أصبح صدام رئيساً للعراق، وحدث أن جلس صدام مصرى كان يصرف مئة صاحب للمقي بصدام في المهلي. وقال له أن زبونه التقسيم أصبح رئيساً للعراق. فقال الرجل: هل وجد الأستاذ صدام والكيفية؟ ألف مبروك. وما أسمع صدام الصليبة في بساتين بهاء لزيارة بغداد حيث أغراها بفتاح مفتي له في العراق. للمقي أصبح أهم مطعم في حي المنصور منذ عشرين عاماً. وأبو وليد جعل للمطعم الذي يمتلكه في العراق في طابقين. الأرضي يقدم بعض الاكلات العراقية في الوطن العربي. ولكن الدور الثاني كان مخصصاً لطبقة الثوم والثني الغنياء. اللوحة فيه لشخص واحد تكلف خمسة عشر ألف دينار عراقى حوالي سبعة دولارات.

القصة القصيدة. أصبحت جديدة وتوصلت إلى جزء من الحصف الذي تعرض له المظلم قبل الأربعين. اسابع من أبريل الماضي. لقد جاء هذا الحصف بعد ورود معلومات «دقيقة» تؤكد أن الرئيس العراقي موجود في هذا الجزء من نخيلة عند مصيصة النصر. وقد أخرج جرس للمطعم وتم تدميرها بالكامل. وثلاثة بيوت حوله. لكن لم يتم التأكد بعد الحصف إن صدام فعلاً ضمن القلعة. ويبدو أنهم إن يعرفوا أياً، لكن الحفرة الناتجة عن الحصف يبلغ عمقها عشرين متراً. وأظهرها خمسة وخمسة وعشرين ألف قدم. ولم تحصر هذه شهادة هذه الضربة. ويضخ الجيران أكدوا أنها غادر المكان قبل الضربة بدقيق. والبيض الآخر الآن الضربة أخطأت العمارة التي يوجد فيها المطعم ويزنت على عمارة مجاورة. الذين عملوا مع صدام عن قرب يقولون إن كريم هو لا حدود إن يصغر له في الولاة الحصف بالحدود أيضاً. وأنه يتفق بشخصه. لكن الذين عرفوه عن قرب أيضاً يقولون أنه لا يعتمد سوى على نفسه ونفسه فقط. ولا يتفق بالآخرين هناك كانت الحصف الشخصية به. وجيرولد بوست مسئول برنامج علم النفس بجامعة واشنطن ومؤسس مركز تحليل الشخصية والشخصي والسياسي القابع للمخابرات الأمريكية منذ عشرين عاماً. يقول عن صدام حسين أنه يعاني من هوس الارتياح. يعتقد أن شخصية بالحقولونه في كل مكان. ويحصل لاحتلام الجسد. وإن إساءة معاملة زوج له في طوقاته. ويده التحليل متأسراً. من استخداه بعد كل بسنوات. كل هذه الأمور تركت آثاراً نفسية بارزة عليه. وأنه يعاني من ذات مشه. وربما كان هذه السبب في كثرة تماثيله ومنحوتاته ومزوره.

زرت أمين عز الدين بعد عودته النهائية من العراق. وأمين عز الدين مع سامي اللبني كانا مسؤولين عن شؤون صدام حسين. عندما كان لاجئاً سياسياً في مصر. وبعدما أصبح صدام رئيساً. وتغيرت الأحوال في مصر. لانت أسرة أمين وهو شخصياً كل الرعاية والعناية من صدام. لم يقصر أمين في شيء أبداً. في اليوم الذي ذهب فيه الرجل عن الدنيا

القاهرة بمنحه شخصية من شاعر كويتي. هو عبد العزيز سعود الجناين. في الجناين نجد عبد الرزاق عبد الواحد. شاعر الرئيس. الذي قال أنه كتب عن صدام ما لم يلقه المثمن في سيف الدولة الحداني. فإن قلت يا صدام. نأيت أمه / لأن المتأدي زهوها وفخارها. ويا حيناً صدام وصادم أمه / وتاريخ أرض يستعاد زيمارها. في اللقبيل نجد سعدى يوسف. الحارثي المتأدي الذي يستبدل مفتي بمفتي. تحت الأسوار واندنا / وعلى الأسوار ثموت / لم تعرف في بلبل / غير القتل لأجل القوت.

وإن كان هناك نموذج ثالث لبعدين لم يتروكوا العراق. وحافظوا على قدر معقول من الاستقلالية مثل محمد خمير قاص البصرة وحسب الشيعي جعفر الشاعر البغدادي. قد كتباً كل واحد منهما وراء كلماته. وتسلك بالصلص في مواجهة بعض المواقف الحصرية والصعبة. ورغم الانقسام الرهيب في حالة المثقفين العراقيين الذين تحولوا إلى مثلي الداخل ومثلي الخارج. إلا أن من يذهب إلى العراق في سنوات حكم صدام حسين يتكشّف أنه في كل مكان من العراق تفعّال أو جدانية له. حتى أصبح له أكثر من ٢٢٨٠ تمثالاً ونصباً في العراق. وهكذا أصبح صدام حسين صاحب حسابات برامجية منطقية. ولديه إحساس مبالغ فيه بالنفطة. وأنه قائد بارع ولكن حساباته ربما تكون خاطئة أحياناً. وأنه تطرق في الاستغراق في الذات. ولذلك لا يستوعب آلام ومماناة الآخرين. متفكراً أكثر مما ينبغي بشأن فرص النجاح. غير مستعد أن يظهر أي تردد. لا يصيبه الإرهاق من استمراره في العمل أكثر من أربع عشرة ساعة يومياً بصفة مستمرة. إن هدفه الجوهري هو إحكام سيطرته الكاملة على هذا الجزء من العالم الذي يسميه: الوطن العربي. إن النتيجة الطبيعية لكل هذا. ما نذهب إليه صدام حسين. وكان يحدث لأول مرة في تاريخ العراق. عندما جعل من الولاة الشخصي له هيئة قتالية تابعة للقوات المسلحة بدلاً من الولاة للوطن. كما يؤكد ذلك أحمد الزبيدي في كتابه الأزمة الضائعة. أيضاً فقد تحول الحرس الجمهوري إلى جيش مواز للجيش. بل إن تسليحه وإتقاف عليه أصبح له الأولوية على القوات المسلحة نفسها. وفي السنوات الأخيرة خرجت إلى الوجود أشكال أخرى: فئاني صدام. كتائب الموت. التي جعلت فرق جيش لليبلا تراجع كثير. ومع هذا فإن حربه كانت تد حروباً أخرى. حرب في الشرق. تد حروباً في الشمال. تد حروباً في الجنوب. تد مواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهي في طريقها إلى عسكرة العولمة.

## جدارية صدامية

من الحكايات الإنسانية التي تروى عن صدام حسين أنه عندما كان متكباً في مصر تعرف على صاحب مفتي في ميدان

يكونوا يعرفون مكانه. وكان يتولى أمور أئمة الشخصية بنفسه. وكانت له جيون في كل مكان سواء داخل العراق أو خارجها. لمرجة أن المصريين الذين كانوا يعملون في العراق. عندما كانوا يتكلمون عنه بينهم يبين أنفسهم كانوا يرمزون له باسماء مطبلين مصريين. خوفاً من التمسك أو التمسج عليهم. وما أن تكتشف شفرة اسم الممثل حتى يتم تغييرها واستبدالها بشفرة أخرى.

## صناعة الحفلة

هناك مسؤولية تقع على المثقفين. في صناعة الظاهرة. سواء ملفوظ الداخل العراقي. أم ابتداء من أبناء الوطن العربي الذين تخصصوا في كتابة الكتب الأولى عن صدام حسين. «السلطان الصوري». وهذا أحد التعابير التي أطلقت عليه مبكراً جداً. في كتب صدرت عنه في الخمس سنوات الأولى في حكمه. كتبها مؤلفون عرب سواء من الذين عاشوا في العراق. أو الذين كانوا خارجاً. وإن كان البعض ضربه حربه مع إيران ١٩٨٠ - ١٩٨٨ على أنها مأساة غير مفهومة الهدف والوجه. فقد صدر في هذه الفترة ١٧٤ مؤلفاً منها ٧٤ رواية و٧٧ مجموعة قصص قصيرة. والبياني كتابات أخرى خارج سياق النص الروائي القصصي. علاوة على ٤٠٠ قصة قصيرة نشرت في الصحف والمجلات ولم يتم جمعها في كتب. وذلك كما تؤكد بيبولوجيا أدب الحرب في العراق. وإن كان سلام عبود يصف في كتابه المشرق والمغرب عن ثقافة العنف في العراق. على هذا النتائج الأدبي:

« في ظل ثقافة لائمة على تدمير الضمير يكون التعبير الفني ضرباً من بلاغة الألفاعي السامية. إن ما عبر عنه المعينون بقصة الحرب. هو أن شجرة السلا لا يمكن لها أن تضر لوزاً. في مثل هذه الحرب لا يوجد حين للوادة. لأنه لا توجد مساحة لسماعة الواقع. ولا توجد مساحة للتدبير في التعبير عما يجري. لقد كثر الحرب هي التي تنكث بالقادم الكتاب. سلام عبود يتساءل: إذا كانت الحرب من مسؤولية صدام حسين. فمن المسئول عن ثقافة جيلين في العراق الذين تلك مسؤولية لأحد بريد أن يتحمل انعامها. لكنها مسؤولية الجميع. جميعاً بدون استثناء. ولوأننا من سامهوا في كتابة نصوص عن الحرب. ومن صمود. ولم يقولوا للشعب أنه كان ضحية الولاة الحرب. إن ثقافة الموت. ثم ثقافة الخراب الجليل هي مسؤولية المثقف العراقي وليست مسؤولية السلطة. أي سلطة كانت.

أدب الحرب كان جزءاً من الثقافة العراقية التي سرعان ما تحولت إلى أدب الداخل وأدب الخارج. وفي الداخل وجد شاعر صدام وشاعر القادسية. وشاعرة أم المصارع. في زمنه كان هناك ثلاثة شعراء كبار الجواهرى الذي مات وفني في دمشق والبياتي الذي دفن في المنفي. وشارك الملائكة لما تولى التحالف في

العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م



## تركيبية سكان العراق

هكذا: ٢٠% أكرد و٢٠%

عرب سنة و٦٠%

شيعية وذلك إضفاءة

إلى إحصائيات لم تخص

أبداً من كلدان وصائبة

ويهود وأشوريين وسريان





صدام حسين

إلى صدام حسين ليحمل عليه سلام الوداع وهنا تنهى صدام حسين إلى أهمية أن يقدم عليه تضحية اسما في القاهرة. من يديه معاً. فك المصعد الذي كان يلفه حول وسطه. وقدمه له على الجراب الخاص به. كان ذلك أعز ما يمكن أن يقدمه له. والذي حدث بعد ذلك أن سلطات مطار صدام الدولي. وقضت أن يسافر أمين عز الدين ومعهم صدام الخاص. إلى أجدل إلى داخل بغداد مرة أخرى. وتقرر أن يتم إرسال المصعد عن طريق الحقيبة الدبلوماسية وتسلمه أمين عز الدين في القاهرة.

وكان فتحي غانم قد حصل على جائزة صدام حسين. وكانت قيمتها مائة دولار أمريكي. ألفها في جريدة وحملها بيده من القاهرة إلى بغداد. ليخصصها ضد السرقة. ثم جاء صدام حسين إلى مصر. ووجه فتحي غانم بدعوه لحضور حفل العشاء الخاص بالغانم على شرف صدام حسين. واعتذر فتحي غانم عن عدم الحضور. وكانت المفاجأة الثانية أن اتصل به وزير مهم في الدولة المصرية. يسأله عن سبب اعتذاره. ويبلغه أن الرئيس صدام بنفسه هو الذي طلب حضوره العشاء. قال فتحي غانم إنه يعاني كثيراً من مسألة ركن سيارته. ولهذا اعتذر. فما كان من مسؤولي المراسم في الرئاسة إلا أن اتصلوا به وأقروا إرسال سيارة رئاسية لإحضاره. لحظة دخول قاعة العشاء الخاص بالرئيس حسني مبارك بمسكة من يده ويقدمه لصدام حسين قائلاً هذا هو فتحي غانم.

## لعنة العائلة

ينتمي صدام حسين إلى عائلة كبيرة. ممتدة. سرعان ما تحولت إلى قبيلة. وبسبب الهاجس الأمني الذي كان يتحكم في تصرفاته فقد توسع صدام حسين في الاقتصاد على إخوانه غير الأشقاء وأبناء عمومته. لقد شكلت هذه القبيلة دعماً وفاقاً للرئيس. لكن متاعبه الكثيرة جاءت من هذه العائلة. فعندما أنشع زواجه من سميرة الشاهيد بعد بطلانها من زوجه نور الدين الصفافي. وانجابه منها ابنة عليا ثم قتل الطباخ الخاص للرئيس كامل حنا حجوا لأنه كان عراب هذه الزيجة. أيضاً عندما هرب حسين كامل زوج ابنة الرئيس إلى الأردن ٩٥-١٩٩٦. وقدم صهر الرئيس. للسؤال للسابق عن التلميذ العسكري في العراق كل ما يملكه من معلومات وهي ليست قليلة. مثل هذه المعلومات أول اختراق حقيقي في الجدار المنيح الذي أقامه صدام حول صناعته العسكرية. وتحول الاختراق إلى ثغرة. والثغرة أصبحت عرياً كاملاً أمام أمريكا. مما دفع صدام إلى استعادة صبره من الأردن وتصفيتها بمفرده وعائلته والقبيلة كعقوبة لها على أبناء ما كان عندها من الأسرار. بعد هذه التصفية الدموية. ظلت اليد الرئيس الكبرى رعد مبتدئة عن الحياة العامة. وتمتلك وتدير شركة البنية للنقل البري التي كان قد أسسها زوجها القليل حسين

كامل سنة ١٩٩١ أصاب زلزالاً صدام كامل الشقيق الأصغر لحسين كامل. فقد تزوجت في عام ١٩٩٩ من الفريق الركن كمال مصطفى العمر أمين من سفر قيادة الحرس الجمهوري. وهو شقيق جمال زوج حلا ٣١ عاماً ابنة الرئيس للرئيس صدام.

كانت فكرة صدام أن رابطته الدم والمصاهرة توفر له حالة من الإخماس بالأمان. إلا أن لوجهه لهذا المسألة كان: الأهل والقبيلة. حيث تعاملوا مع كل ما في العراق باعتباره ملكاً لهم جميعاً. لقد كشف السلب والنهب في المدن العراقية أحزمة البؤس التي تحيط بهذه المدن. وتنحى مستوى الحياة اليومية. وغياب الخدمات. وإن السلب والنهب شمل القصور فقد كانت المسافة بين القصر والساحل الشعبي مثل المسافة بين السماء والأرض. حيث شاهد الناس الحفلات المنوعة من النخب والفلاس. والخيول العربية الأصيلة. وإدوات الرماية التي لا يوجد مثلها في أي مكان آخر من العالم.

## عقدة صصر

في سنة ١٩٧٥ أقام العراق مؤتمرًا ضخمًا لثورة العراق ضد تهديدات إيران التي كانت تزعم كتيًا تحدد مهمة القضاء على والده قد حرر شرق الخليج. وأن على القضاء - ابنه - أن يحرر غرب الخليج الفارسي. كانت هناك أوصاف كثيرة تقال لإيران. مما يوحي أن العراق استبدلت العدو الصهيوني بالعدو الإيراني الفارسي المجوسي. مع أن إسرائيل كانت ما تزال مشرعة استعماريًا يهدد المنطقة كلها بخطر الابتلاع.

يوحما كانت الدعوات بالحدس لحضور هذا المؤتمر. لدرجة أنه كانت في مطار القاهرة الدولي طائرة ضخمة خاصة بصيروف هذا المؤتمر. وكان الرئيس أنور السادات قد قال لمن استأذنه في السفر إلى بغداد. أنه مع انتهاء وأعلى كلمة بذلك. ومع هذا لا مانع لديه من سفر ما يمكن أن يسمى بتمثيل رزقي محدود.

كما خضعت في طائرة تسع المئات. لطفي الخولي وفتحي خليل ومصافي السفارة العراقية في القاهرة. ومعلقة لأمينات المرأة في الاتحاد الاشتراكي العربي. واستكمل الوفد المصري من المصريين الذين كانوا يعملون في العراق. وما كان كثرهم في ذلك الوقت. وكان صدام حسين قد دعا الوفد المصري إلى غداء في حديقة تقع في قلب بغداد. وصلنا إلى قاعة الطعام قبله بوقت. وقبل حضوره ولم يكن رئيساً للدولة بعد. جاء من بدل الكرسي الذي سيجلس عليه. وعندما همست لصري مقبم هناك عن السبب في ذلك. هل هو الهاجس الأمني؟ قال لي أن عنده مرض اليكس في الجود الفكري. ولابد من مغادرة خاصة يجلس عليها. لكن بعد حضوره ورغم تبسطه مع الحاضرين من القاهرة. إلا أنني شاهدت حول قاعة الطعام أعداداً كبيرة من

الحراسات. وكان التسليح أكبر من مجرد تأمين.

كان صدام حسين قد عاد من مصر بعد إقامته فيها بمهيو. بكازيرما عبد الناصر. وكان يتصور إمكانية تكرارها في العراق. وإنه لم تكن لديه إشارات كثيرة. ولأن الشخصيات العربية في العراق تختلف عن الشخصيات المصرية. ولأن صدام كان متحفظاً. لقد توصل إلى أن هذه الكازيرما إن لم تفضح بالحب فلا بد أن تحدث حتى بالخيوف. فأن يقول إذا لم يحبك الناس عليهم أن يخافوك. لابد أن يدرك الناس ذلك الأقوى والأشهر. ذلك أن الخوف مسألة أساسية في أعماق النفس الإنسانية. لقد عذبت صدام حسين ثلاث مرات. الأولى بكازيرما عبد الناصر. والجناب الجاهيل - حتى العراقيين نخوه - والثانية بعد كاتب يلفه حيث تصور صدام أن العراق هي الدولة العربية الوحيدة المهية لولاية الدور المصري. وهذا الهوس لم يحدث في العراق فقط. ولكن الغياب المصري افقر العديد من الأدوار العربية. بل يحاولون رواية الدور المصري. والعذاب يأتي من اكتشاف أن دنوار البلدان لا توثق.

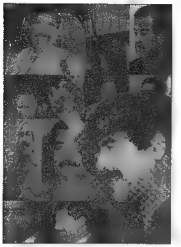
في هذا السياق جرت أكثر من محاولة من الدكتور جمال حسان لقضاء فترة من الوقت في العراق. من أجل كتابة كتاب ضخم عن شخصية العراق. دراسة في عبورية المكان. وقد رفض جمال حسان حتى مناقشة هذا الملف سواء مع العراقيين. أو مع غيرهم من بعض الدول العربية الأخرى.

عندما مصر دائماً عندما اكتشف أن مصر دولة محور. دولة قلب. وإن العراق دولة أطراف. وإن إمكانية أن تقوم دول الأطراف بأدوار قيادية مسألة صعبة لأن ذلك ضد حقائق الجغرافيا وديوس التاريخ المستفاد. وقد جرت محاولة لرمس خريطة العالم وفق وتوسط دول من حوله. ولكن اتضح أن الدول العربية التي قد تظهر في مثل هذه الخريطة. ليست كثيرة. انصرف النظر عنها.

## مؤلفات الرئيس

عندما وصلت عمليات السلب والنهب إلى بيت عدي نجل صدام حسين. لاحظ مشاهدو الفضائيات كتاباً ضخماً ملقى على الأرض. على غلافه صورة ضخمة لصدام حسين. أما العنوان فهو: المؤلفات الكاملة لصدام حسين. والواقع أن حرص صدام حسين على أن تكون له مؤلفات يعود إلى ما هو أكثر من رغب في مضي. في ١٩٧٧ في صدر عن منشورات دار الثورة في بغداد كتاب جمع مقالات ومحاضرات ومقابلات نائب أمين عام حزب البعث الفريق صدام حسين. عنوان الكتاب: الديمقراطية مصدر قلق للفرق والجمعة. وفي محاضرة للمعلمين. قال صدام حسين: علوا الطلاب أن يعترض - يعينون أمية وعقل ثابت. مع أنه إذا سمعهم يتألقون أسراراً خريبية أو ينتقدون سياسة الدولة. علوا الطلاب أن يحذر الله ويقول لهم أن هذا خطأ. إن هذا





نظرة عليها. حتى يخلصها من عيوب البدايات الأولى في كتابة النص الروائي. أو أنه لجأ إلى هذا الروائي وخاف أن يقول أن النص في حياجه إلى تنقيح أو إعادة صياغته. فور صدورها ترجمت إلى الصينية. وترجمها جيل مؤمنة الأيمن العام لجمعية الصداقة الفرنسية العراقية إلى الفرنسية. وأعلن أنه سيتم تحويلها إلى فيلم ومسلسل تلفزيوني وعرض مسرحي. ومؤسسه يترجم الآن رواية صدام حسين الثانية: القلعة الحصينة. التي يوحى الرسم الموجود على غلافها بقرص موضوعها عن الرواية الأولى ملكة جميلة وحولها الفرسان من كل جانب. الحصان كان الوحيد الذي ظهر في الخلافيين.

الرواية الثالثة: مدينة ورجال. لم يرها أحد خارج العراق. نقلت وكالات الأنباء أن الرئيس العراقي خلال الأيام الأربعة الأولى لصف بغداد الأخير «من ٢٠ إلى ٢٣ مارس الماضي» كان مشغولاً بمقابلة ريوود فعل رويته الجديدة. التي كانت موجودة مع باعة الصحف والمكتبات لدى الجمهور. وإن كانت لم تخرج نسخة منها خارج العراق. إن الدرس الكبير لكتابة صدام حسين يدور حول حلم تحويل دولة القليبية إلى دولة غطلى. حتى لو أدى ذلك إلى التناطح رأساً برأس مع سقف العالم. وتحصيل البلد من بلد يمكن أن يكون سويسرا الشرق الأوسط. إلى بلد فقير. أقول أن هناك حدوداً تحول دون ذلك. والإصرار عليه ربما كان قريباً من الانتحار. وفراة ما كتبه سلام عيود تحت عنوان وطن يبعث من مفني تلخص الموقف المأساوي الذي يعيشه الآن ٢٦ مليون عراقى:

«من يحتلون لفترة قصير صدام أم الأيريكاني؟ من يقتل منا أكل: صدام أم الأيريكاني؟ من يعطينا حرية صحافة أكبر صدام أم الأيريكاني؟ من يضربنا أكل بالكمبيوتر صدام أم الأيريكاني؟ من يبيع أمام العراقيين سوى اختيار طريقة موتهم. هذا إن لم يفاخسونا بحالة من المقاومة تستعيد لهم حريتهم من صدام الذي لا وجود له. ومن الأيريكاني الذين يملأون كل مكان في العراق الآن».

وفي بداية النهاية أكتب: ليت صدام حسين. شقيق نفسه الآن. ولحب العراق أكثر. إن أنصير الأحوال وتهدد مسار التاريخ. مثل المشكلة وجورها من كلمة «يا ريت» لا تعمر بيتاً. فما بالك ببناء وطن له ظروف وتعقيدات العراق؟ ■

#### هوامش:

- علم صدام حسين رواية. مهدى جدير
- زينة وذلك رواية لكتاتيبها
- قلعة المنفى في العراق. سلام عيود
- أوكاز الرواية تجربتي في حزب البعث العراقي. هادي الفكيكي
- ثلاثة وجوده خلفه. غالب حلسا
- ذاكرة لعدد شهادات وروى وتعارف مع أدب الحزب القميصي في العراق

يقم له وليس في غيظه بذه بارفراع شامق امتد بين الأرض والسماه؟ ثم تكن فيه وليس في غيره. واحدة من أغلب الدنيا السبع هي الجحائن المعلقة في يابل؟ ألم يهبط آدم وجوه إلى العراق بأمر الله؟ ويولد إبراهيم عليه السلام فيه؟ وتنتسب إليه النبوة والإنبياء لرحلة ما بعد نبى الله إبراهيم وما بعد ذلك. إلى آخر رسول نبى هو محمد صلى الله عليه وسلم؟ ليس هو. أو جباله. هضبة «الجف» فيه. موطن نبوة نوح عليه السلام؟ هي المرحلة الثانية بعد نبى الله آدم عليه السلام. ألم تنتسب رسالة الآلهة من جديد في العراق معطرة بأريج النبوة وبركتها وبما يوصل الحى بما هو في ذمة الخلود قبل ولقاءه المعارك الخالدة لترتفع راية الآلهة العربية من جديد. بعد أن لطفها الحصان والضمضاء ممن نسبوها زوراً بهتاناً إلى الآلهة معارهم. بعد أن طفت للصهيونية وتجبرت هي وتحالفها البغيض مع

ويعد أن يكتمل الاستحواذ على العالم وإذعان الممالك كله لهذا الكليوس ككتب: ليس من الحبس العجائب. بل وما يقرب من وصف معجزة. أن ينضض راكبا حصانه. ممتشاً حساه ليقول: ها أنذا العراق. وحدي على الأرض. أقول بصوت مسموع وجنان ثابت: ما مكانك. أو تراجع أيها الظلم والطغيان.. هنا أرض الرسالات والإنبياء. لن ترعك إلا لاله. وليخسأ كل حيوان أو عميل. لأن نستسلم. وليخسأ كل عربي نسي أنه عربي. وأنه إلى الله وحده يسلم. لو لا العراق ما كانت الشمس لتخلق ولا وجد القمر سبيله في السماء. ولا استقام نبت على سلاله. وما كان الخضر في العراق لا يلرخ للوجل ولا يوجد فيه هزال وليس فيه صفة الهزل؛ كان يا ما كان. والرواية تحكى عن ملك في بلاد الرافدين القديمة. يحاول الإقتراب من الشعب إلا أن البطانة الفاسدة حوله تمنعه حتى يلتقى بزيبية التي تغير مسار حياته. وتبدأ المعركة الأخيرة حيث يكون الملك وقائعه وزيبية ضد الأعداء. وتستشهد زيبية. ويهزم العدو. الذي كان في البداية بطانة الرئيس. ولكنه يصبح في النهاية العدو الأجنبي. إن زيبية في تستشهد من ملعة نعم وهي على جوابها الإبريز. وكانت قد تعرضت للاغتصاب بعد أن حاصرها الأعداء ولم كانت لا تسمى أن تنضم رسالة الملك لتتأبد فيها بكلمة جيبي. لأنها لا تحب أن تتأبد بجلالة الملك. فهي تعرف مدى امتعاضها من تلكمات التي لتفعل في القلاب. إنها لتفعل مناداتها باسمه: ليأق الله عليه مهابة وعنوان محبة له واشيعة ليعيشه.

سلمى سريعا على مستوى الرواية اللنى. ولكن لابد من ملاحظة أنه لم ينشر مقال نقدي واحد يتكلم عن تدنى مستواها. وتكررة الخطب فيها. وشوفاونية الكلام عن العراق. ومن المؤكد أن الرئيس لم يسعف أن يأتى بروايته محفرف في القلاء

الاعتراض أو مفتاح الديمقراطية. علما الطالب الحزن من الأجنبي. فهو عين دولة أجنبية وأذنها. وهكذا إن كانت الماركسية قد اعتبرت العمال هم الخليفة الأولى في بناء المجتمع الشيوعي فإن صدام حسين - وهو ما يزال ناشطاً - اعتبر أن العائلة هي القوة الأولى لبناء المجتمع البعثي. وكان رهبانه أساسياً على الطفل والعصبي والشاب الذين هم كل مستقبل العراق. لقد كان البعثيون الأممي قد سبقوا الخيال السياسي في هذا التصور.

في عام ١٩٧٩ نشرت دار الحرية في بغداد كتاباً جمعت فيه محاضرات لقهاها صدام حسين في منتصف السبعينيات مع ملاحظات وهوامش عليها بأقلام ١٦ أكاديمياً عراقياً مختصاً في علم التاريخ يحلون الاختوار من جامعات أمريكية وأوروبية. عنوان الكتاب: حول كتابة التاريخ. يقول صدام:

«إن البعثي ليس محايداً في شئون الوطن والآسة مهددة بالخطر دائما. البعثي عليه واجب مقدس. عليه الكرامة عن العرب كافة واحدة. معتبراً أن هذا حقيقة مغلقة. وكان يركز على أن القوة ولا شيء سوى القوة القادرة على تحقيق كل شيء».

عندما تحول صدام حسين لكتابة للنص الروائي. واجتمع مع كتاب الرواية والقصص في العراق لكي يتكلم معهم عن فن كتابة الرواية. أغلب منهم الإكثار من كتابة النص الروائي. لأن القدرة على الحكى قوة في حد ذاتها. وربما كانت كلمة القوة هي التي يمكن أن تصيح مفتاحاً لشخصيته. صدام حسين الذي تحول في سنواته الأخيرة إلى كتابة الرواية. خاصة أن العراق كان قد تعرض لهجرة مستقبلية ومهميه إلى الغرض البعيدة. الرواية الأولى كانت زيبية الملك. التي كتب على غلافها رواية لكتاتيبها. وصدرت في بغداد عام ٢٠١٠ وزينت غلافها لوحة: سيدة من بغداد للفران ولیم كلارك ونتر. وتحت اللوحة رسم كلاً جملة لإبراهيم يرفع سيفاً. وتحت اللذين حضان عربي أصيل. وكتب في الصفحة الأخيرة من الرواية: يخصص رجع هذا الكتاب للقسارة واليستاى والمساكين ويتاريخ ٢٠٠١/٥/٢٥ كتبت نيويورك تاتيز:

«البارت هذه الرواية عندما صدرت في بغداد ٢٠٠١ اهتماماً خاصاً لدى الإدارة الأمريكية ووكالة المخابرات المركزية. لقد كانت كل المحادثات تشير إلى أن الرئيس العراقي صدام حسين هو كاتبها. رغم أن المؤلف لم يضع اسمه الصريح عليها. وقد انهمك رجال الإدارة في ترجمتها وتحليلها وتكرار قراءتها. حتى قال أحدهم بكل مرة أقرأ فيها الكتاب أحس بالتعاطف مع الملك. والرواية تدور حول قصة حب وخيانة ومؤامرات وحروب. وهي تدور حول قصة حب في بلاد الرافدين القديمة.

في مقدمة الرواية كلام عن العراق: لا يعبد العراق بين الأرض والسماه وما بينهما منذ الصغبات الأولى من الأزل» لم

## شارك ليلا

■ عندما أبحر الفلاطون من سيراكوزا سنة ٣٦٨ ق.م وأخوض تلك، كان ذهنه - طبقاً لما قاله هو - مشوشاً. فقد سبق له زيارة تلك المدينة قبل ذلك، حينما كان لا يزال يحكمها طاغية الخفيف ديونيسيوس الأكبر، ولم ترق له حيلة صقلية الحسنة، وتسهل الفلاطون: كيف يمكن للشباب تعلم الاعتدال والعمل في مكان «مكتن فيه سعادة المرء في إشباع نفسه مرتين يومياً وعدم لقوم بمفرده ليلاء» إن مثل هذه المدينة لا أمل لها في الخروج من دائرة أنحرابها من الاستبداد والظور.

فلماذا يعود إنزاً ما حدث هوان الفلاطون كان له تلميح في صقلية اسمه ديون، وهو شاب بات مخلصاً لفلاطون، وقضية الفلسفة، قد كتب له رسالة يبلغه فيها بولفة ديونيسيوس الأكبر وبثولي ابنه ديونيسيوس الأصغر الحكم، وكان ديون صديقاً وصهرًا لديونيسيوس الأصغر، وكان ملتصقاً بأن الحاكم الجديد مفتتح على الفلسفة ولديه الرغبة في أن يحكم بالعدل، وكان كل ما يحتاجه - في رأي ديون - هو تلقى التوجيه الصحيح، الذي لا بد أن يخرج من بين شفتي الفلاطون ذاته، ولحق ديون على استأذنه في رجاء زيارته. وفي النهاية أبحر الفلاطون، بعد أن تغلب على لشكوك والفنون المخيمرة.



هذه حكاية قصيرة من افلاطون تدل على أنه كان مؤيداً لمشروع مجنون لإفاحة حكم الملوك الفلاسفة في المدن اليونانية، وإن بالمغامرة الصقلية التي قام بها كانت الخطوة الأولى في اتجاه تحقيق ما يطمح إليه. وعندما عاد ملرتين هيجير إلى لندريس سنة ١٩٣٤ بعد وتظليته المخزية كرئيس نازي لجامعة فرايبورج، سلكه بنهج: «هل عدت من سيراكوزا؟» وهذا عبارة ليس هناك ما هو أفضل منها. إلا أن ما كان يبغيه افلاطون لم يكن يخالف كثيراً عما كان يهدف إليه هيجير، وكما يروى الفلاطون في «رسالة السابعة»، فقد كان يطمح بدخول الحياة السياسية، ولكن حكم الفلاسفة الطاغية في أثينا (٤٠٤ - ٤٠٣ ق.م) أنشاء عما كان يحلم به. عندئذ كتب لسياسية باردة، عندما أعدم النظام الديمقراطي الذي خلفه الفلاسفة صديقه ومعلمه سقراط، وانتهى

نترتيب خاص مع

The New York Review of Books

ترجمة أحمد محمود

وجاهات تحضر ٥٨

الفلسفة وأبغض افلاطون بذلك. في البداية لم يحرك افلاطون ساكنة، حيث كان يعلم أن «الفلسفة غالباً ما يكون لها ذلك الأثر على الشباب»، وكان يشك في أنه لا رغبة لديونيسيوس إلا في إثارة الفيل والقال بشأن رفض افلاطون له باعتباره أنه لا قيمة له. واتبعاً من افلاطون لنفس المنطق الذي جعله يقوم بزيارته الثانية، فقد قرر القيام برحلته الثالثة، والأخيرة. لكن من وجده حين وصوله كان رجلاً أكثر صلابة وغروراً، يعتبر نفسه تليساوفاً، ولعل إليه ألف كتاباً، وضاعت تلك القضية ولكن افلاطون لم يلم إلا نفسه، حيث قال: «دلم يكن لدى من سبب لأن أغضب من ديونيسيوس أكثر من غضبي من نفسي ومن هؤلاء الذين أجبروني على الجيء». ولم يكن ديون شديد التأثر. وبعد ثلاث

الآن ديون كان رجلاً مفتع بفكر كبير من الحديوية بشأن توقع المعجزات. فقد اقتنع بنفسه، ومن ثم سعى إلى إقناع افلاطون، بأن ديونيسيوس يمكن أن يكون تلك الشيء العنابر الذي هو الحاكم فيلسوف. وكانت لدى افلاطون شكوك: فمع أنه كان يلقى في شخصية ديون، فقد كان يعلم كذلك أن «لشباب غلباً ما يكونون عرضة للوقوع فريسة للدواعي المماجية لحي كثيرًا ما تكون متقلبة، إلا أنه فطن كذلك أنه ربما يمر لأمر نفسه - أنه ما لم يقتض هذه الفرصة للاندرة، ويجنل الجهد لدفع طاغية ناحية العمل، فإنه قد يتم الجبن وعدم لواله للفلسفة، وبذلك وافق على الذهاب.

ولكن نهاية هذه الزيارة الثانية لم تكن سعيدة، فقد كان جلياً أن ديونيسيوس يهجو إلى المصقول على شارة التعلم، ولكنه كان يقتصر إلى النظام والالتزام الذين يقتضيهما الخضوع للجلد الديالكتيكي ويجعل حياته متسقة مع نتائج (ويقارنه افلاطون برجل يريد أن يلف تحت الشمس بشرطه ألا تحرقه). كان أشبه إلى حد كبير بالطبيب الذي لا يعطه علاج مريضه ضد إرادته. ولذلك ثبت أنه من المستحيل الوصول لديونيسيوس العفدي إلى الفلسفة والعدل. بل أن الفلاطون وديون في محاوراتهما كانتا يخاطبان طموحات الطاغية السياسية، فليكن له إنه فيلسوف سوف يتعلم كيف يقدم قوانين طبية للمدن التي يغفلها، وبذلك يكسب صداقتها. الأمر الذي يمكنه حينئذ استغلاله في توسيع مملكته أكثر وأكثر. ولكن ديونيسيوس، الذي كان يعطى أذنيه للشغلاخ، أخذ يشك في أن ديون يهدف لطموحاته هو السياسية، فطرد

علي الفور من سيراكوزا. وعندما علم افلاطون في الصلح بين صديقيه السابقين، قرر الرجول

إلا أنه عاد مرة أخرى بعد ست أو سبع سنوات، بناءً على طلب من ديون

كذلك، فمع أن ديون كان لا يزال في المنفى، فقد سمح أن ديونيسيوس عاد إلى دراسة

سنوات من سفر افلاطون الأخير، هاجم سيراكوزا بالمرتبة وحرر المدينة وطرد ديونيسيوس، إلا أنه كان هناك من خاتمة وإغاثته بعد ثلاث سنوات، وبعد سلسلة من الانقلابات العنيفة استعبد ديونيسيوس العرش لكي يخلصه منه جيش كورنث المدينة الأم لسيراكوزا، وامتد العمر بديونيسيوس وعاد إلى كورنث، حيث يقال إنه أنهى حياته مديرًا لمدرسة يعلم فيها مبادئ.

إن ديونيسيوس معاصر لنا، وقد اتخذ على مثال لقن لأضى أسماء عدة مثل: لينين وستيفن، وهنري وموسيليني، وماو، وهو، وكاسترو وتروهيو، وأمين ويوكاسا، وصنام وخميني، وتشوشيسكو وميلوسيفيتش - ولقائمه تطول، وفي القرن التاسع عشر كان للتفككون يعتقدون أن

# سحر الاقتراب من الحاكم المفكرون بين حب الحكمة وخدمة الطفولة



شحن أساتذة بارزون وشعراء موهوبون وصحفيون ذوو نفوذ مواهبهم إلى يقنوا كل من يستمعون إليهم بأن الطفلة الحداثيين محررون وبأن جرائمهم التي لا رادع لها تتسبب بالنيل، إن نحن نظرنها إليها من منظور صحيح!



لكن معظم المفكرين الأوروبيين بقوا على مكتبهم حيث زاروا سيراكوزا في خيلهم وحسب، واتخذوا أفكاراً لائقة للانتباه والثناء في بعض الأحيان لتوضيح معاناة الشعوب التي ما كان لعقولهم أن تتلقى بها أبداً. فقد أخذ أساتذة بيزنوس وشعراء موهوبين وصحفيون ذوو ثلوث موهبيهم في بقعوا كل من يستمعون إليهم بل أفكاراً للحلدين محزونين وبأن جرائمهم التي لا راحة لها تنقسم بلبلان. إن نحن نظرننا إليها من منظور صحيح، ولا بد لكل من يأخذ على عاتقه كتابة تاريخ فكري صادق لأوروبا القرن العشرين أن يتعمق بقدر كبير من المشجاعة، إلا أنه سيحتاج كذلك إلى شيء آخر، ألا سيكون عليه القلب على كراميته بالقدرة التي يتيح على تدوير جذور هذه الظاهرة الفكرية والحيرة، أما هو ذلك الشيء الموجود في العقل البشري الذي يجعل الدفاع الفكري عن لطيفين معاً في القرن العشرين؟ كيف بلغ الأمر بفكرنا الغربي الخاص بالفكر السيسمي، الذي يبدأ بانتقال الفلاسفة للطفيلين في «الجمهورية» ورحلاته غير الموفقة إلى سيراكوزا بحيث يصل إلى نقطة تلي يصبح عندها من صفة لأولن لطيفين طيب، بل جميل؟ سيكون علينا طرح هذه الأسئلة لكثرة، تلك أنه سجدنا للفلسفة نتعمل مع ظاهرة عامة، وليس مع حالات متفصلة من السلوك الذي يتحدى الحدود للعقل. وما حلة ميجور إلا أوضح أمثلة لأولن العشرين لتحدى الفلسفة، التي هي حيل الحكمة، هي حب للطفيلين، خلال

الذاكرة الحية.

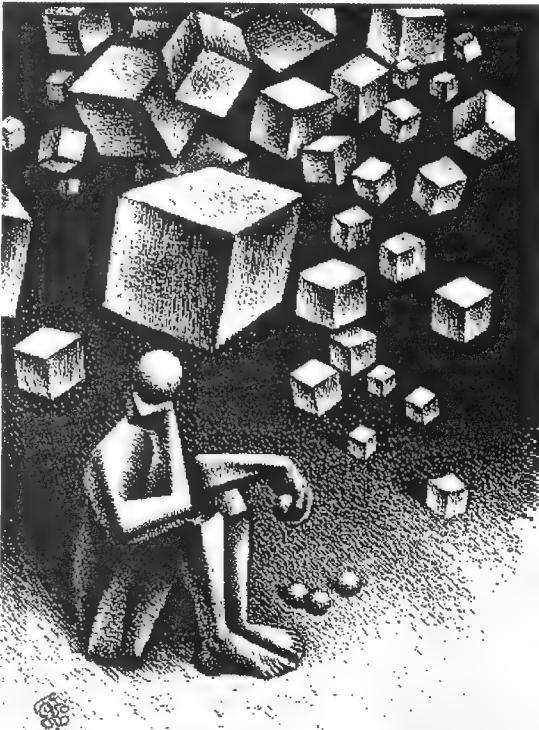


ولكن من أين نبدأ؟ لقد يكون أول ما يرد على خاطر هو الاتجاه إلى تاريخ الأفكار، على افتراض أن حب اللطفيلين الفكري والممارسات الاستبدادية الحديثة تشترك في جذورها الفكرية، وهو سيجد الكثير من التحقيقات العلمية بشأن مصير الفكر السياسي الحديث الذي يشترك في هذا الافتراض، كما يشترك في منهج يقسم التراث الفكري الأوروبي إلى اتجاهات متضاربة، ومن ثم يسم أحدها بأنه محب للطفيلين. ولهدف الفضل قل هذه الدراسة هو عصر التنوير، الذي شاع تصويره اعتباراً من القرن التاسع عشر على أنه انتزاع الجذور الأوروبية للعقد من تربة قديمة والترك للسبعين، وتشجيع التجارب المتعجزة لإعادة تشكيل المجتمع تبعاً لنظام العقلاني السبعية. وطبقاً لهذه الصورة، فإن عصر التنوير لم يأت بالطفلة وحسب، بل إنه كان مستنداً في أساليبه الفكرية ذاتها، التي كانت تنقسم بأحكامها المطلقة وعدم المرونة وعدم التسامح والقسوة والعجرفة والعنصرية. وهذه المجموعة من الصفات مأخوذة من كتابات إيساي برلين، الذي عرض، في سلسلة من المقالات شديدة الأهمية في التاريخ الفكري كتبها في عهد ما بعد الحرب، أعده قضية بالقبالة للوم فينما يخص نظرية اللطفيلين الحديث

النازية، وجورج لوكاش في الجحيم، وربما تفرز غيرهم. ولتضم كشيرون إلى الأحزاب الفاشية والشيوعية على جانبي الستار الحديدي، سواء بدفع من الانجذاب الاشتراكي أو قسوة لهن، دون مخاطر كثيرة، ولقبولن من قاموا بدور الجنود لبعض الوقت في غابات العالم الثالث وصحاريها. وقام عند يدعو للفتنة بالحب إلى السيراكوزات الجديدة التي تشيد في موسكو وبرلين وهانوي وهافنا، وهؤلاء المهالعين السياسية التي قامت برحلات خطفت بقعة على أراضي لطيفة وفي إيديها تذاكر العونة، حيث كانوا يبدون إعجابهم بالزراع الجماعية ومصانع الجرار والزرع قصب السكر والمدارس. إلا أنهم لسبب أو لآخر لم يزوروا السجون.

في العصور القديمة تختلف، إلا أن أماكنهم شغلها وزاد الدعاية والحرس الثوري وبارونات الخيرات وفيلوك السويسرية. فالتأطير لطيفة جيداً. ومشكلة ديونيسوس قديمة قدم الخلق، إلا أن مشكلة انحصارها الفكريين جديدة، وبينما انخرجت لقارة الأوروبية إلى القرن العشرين نظامين مستبدتين كبيرين، هما لشيوعية والفاشية، فقد تفرجت كذلك نطاً اجتماعياً جديداً تحتاج اسماً جيداً له: إنه للفكر الفلسفي الطفلية. جرح عند قليل من كبار فكري تلك الفترة - لنين لاتزال أعمالهم مهملة حتى الوقت الحالي - على خدمة ديونيسوس الحديث صراحة بقولهم والفعل، وحالاتهم يعرفها الجميع ومنهم مارتن هيجيرز وكارل شميت في اللغيا

الطفيلين أمر من أمور الماضي، وعلى أية حال، كانت أوروبا قد دخلت العصر الحديث وكان لكل يعرف أن المجتمعات الحديثة المعقدة، ذات الصلة بالحكيم الديمقراطية الفشيوية، لا يمكن حكمها بوسائل الاستبدادية الحديثة. قد تكون المجتمعات الحديثة سلموية، وتنقسم بيروقراطيتها بالبرود وتتخلف أماكن لعمل فيها بالقسوة، إلا أنها ليست أنظمة طاغية بالصورة التي كانت عليها سيراكوزا. لقد كان من المعتاد أن التحديث كليل بلحظة مفهوم لطيفين التقوي إلى أمر لا وجود له. وأنه مع دخول أهم أخرى من خارج أوروبا مسيرة التحديث، فإنها ستدخل هي الأخرى للاستقلال ما بعد الاستبدادي. ونحن الآن نعرف مدى خطأ ذلك. صحيح أن الحريم ومندولي طعام





شرقي الوين في القرن لتاسع عشر وأوائل القرن لعشرين هو أن أساتذة الجامعات مشغولون بعلم Wissenschaft يتعلم في الجامعة المعزولة، وأن كُتّاب يسعون وراء لقاعة الانخلاء وهم يكتبون أعمالهم، وأن الصحفيين وجمعهم هم الذين يجرؤون على لكثابة في السياسة، وهم ليسوا جديرين باللقاة.

كانت تلك خرافة، ولعلها خرافة شديدة الجذبية في الثقافة الألمانية الحديثة. ولا يتضح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة. فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة. فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة.

فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة. فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة.

فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة. فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة.

فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة. فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة.

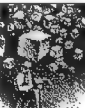
فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة. فليمنح هذا أكثر من وضوحه في كتاب «فماس من «املات رجل لاسياسي» (١٩١٨)، وهو على شديد الشخصية، وهو كذلك كثر اعمل مان لسياسية أسوة.

والفكرن الإنان، بانسماهم من السياسة الحديثة من حيث للبدع معطادين على لعيش في علم فكرى خرافي تحكمه الخيالات بشأن بلاد الجوان والخيالات لتبويتية، وهي الخيالات التي جعلت اللغويان كقائى يبدو لبعضهم على ته بولية لتجديد الروحي والفقائي، وفي رأى مابرسان لعل لفظ البطلون من على جبال العلم Wissenschaft واللقاة Bildung إلى سهل الخطاب اللغويين استديقارفي.

كان يمكن تعليم للفكرين الإنان ضد هذا الإغتراب الاستبددي. وتجدد مقولة هابر ماس مقنعة. ولكن إذا كان محطاً في إلقه بالعلوم على الفلسفة الألمانية بشأن الفصل السياسي، وإلّا كان آرون حصفاً في إلقه بالعلوم على الالتزام السياسي الأمي في فرنسا، فإن يصل هذا الأمر بدنا من الواضع أن لا من لتفسيرين لا يعني أوروبا لقرن العشرين بصورة عامة. زاميدو لانه لا يمكن لأي من «العقلانية» ولا العلاقاتانية في تاريخ الفكر أن تقس نظرية لطغيان الحديث ومعلمسته، كما يخلق كل من «الانترام» و«العقلانية» في التاريخ الاجتماعي.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يستعمل فيها مفكر ألماني «لاسياسي» حياته لسياسية استبدلاً مرمياً، فعند إنشاء الرايخ سنة ١٨٧١، وعند نشوب الحرب في أغسطس ١٩١٤، ومرة أخرى في ليلة أول مايو Walpurgsnacht 1933، قدم للصحراء من كبر أساتذة كُتّاب ألمانيا أنفسهم بجماعة وفخا في السياسة، سواء على أسس متناقضة للدفاع عن لقرات الألقا «لاسياسي»، أو بدافع من الاعتقاد لاسراج للفكر لسياسية التي لم يكونوا قد بدوا في فهم أساليبها (ومن أبرز هؤلاء هيجلر، وانتهى معظمهم إلى أن انصاعهم المائج لسياسة كل خلة، وسرعان ما عدوا إلى درساتهم ومعاملهم.

وقال الفيلسوف يوجين هابر ماس في عدد من لقرات لامة في فترة ما بعد الحرب عن الموقف السياسي والفقائي الألماني إنها ما كان على وجه لدة درس الخطا المستفاد من تلك لقطات، فعند بداية لقرن لتاسع عشر صار كُتّاب



## الرجل المستبد صورة

### عكسية للفيلسوف فهو

#### ليس متحكماً في طموحاته

#### ورغباته، وهو رجل يمتلكه جنون

#### الحب، وهو عبد لطموحاته ورغباته

#### وليس متحكماً فيها



بحث تاريخ الفيلسوفون ويون ويونيسيوس قديم من زاوية أخرى، سعياً وراء ألفة على القوى الأعرق التي تجتذب لعل إلى لطغيان.

أكثر ما يلفت النظر بشأن ديونيسيوس الشاب هو ته كان مفكر. ربما كان ذات طابعية لديه مثل تلك الاعترافات، ولكن من المؤكد أنه لم يكن الأخير. فليوم، وفي لكان مكتبات بيع لكتب الأوروبية ذات الدلول العيسانية، مارسان لعل لفظ البطلون من على جبال العلم Wissenschaft واللقاة Bildung إلى سهل الخطاب اللغويين استديقارفي.

كان يمكن تعليم للفكرين الإنان ضد هذا الإغتراب الاستبددي. وتجدد مقولة هابر ماس مقنعة. ولكن إذا كان محطاً في إلقه بالعلوم على الفلسفة الألمانية بشأن الفصل السياسي، وإلّا كان آرون حصفاً في إلقه بالعلوم على الالتزام السياسي الأمي في فرنسا، فإن يصل هذا الأمر بدنا من الواضع أن لا من لتفسيرين لا يعني أوروبا لقرن العشرين بصورة عامة. زاميدو لانه لا يمكن لأي من «العقلانية» ولا العلاقاتانية في تاريخ الفكر أن تقس نظرية لطغيان الحديث ومعلمسته، كما يخلق كل من «الانترام» و«العقلانية» في التاريخ الاجتماعي.

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يستعمل فيها مفكر ألماني «لاسياسي» حياته لسياسية استبدلاً مرمياً، فعند إنشاء الرايخ سنة ١٨٧١، وعند نشوب الحرب في أغسطس ١٩١٤، ومرة أخرى في ليلة أول مايو Walpurgsnacht 1933، قدم للصحراء من كبر أساتذة كُتّاب ألمانيا أنفسهم بجماعة وفخا في السياسة، سواء على أسس متناقضة للدفاع عن لقرات الألقا «لاسياسي»، أو بدافع من الاعتقاد لاسراج للفكر لسياسية التي لم يكونوا قد بدوا في فهم أساليبها (ومن أبرز هؤلاء هيجلر، وانتهى معظمهم إلى أن انصاعهم المائج لسياسة كل خلة، وسرعان ما عدوا إلى درساتهم ومعاملهم.

وقال الفيلسوف يوجين هابر ماس في عدد من لقرات لامة في فترة ما بعد الحرب عن الموقف السياسي والفقائي الألماني إنها ما كان على وجه لدة درس الخطا المستفاد من تلك لقطات، فعند بداية لقرن لتاسع عشر صار كُتّاب

بحث تاريخ الفيلسوفون ويون ويونيسيوس قديم من زاوية أخرى، سعياً وراء ألفة على القوى الأعرق التي تجتذب لعل إلى لطغيان. أكثر ما يلفت النظر بشأن ديونيسيوس الشاب هو ته كان مفكر. ربما كان ذات طابعية لديه مثل تلك الاعترافات، ولكن من المؤكد أنه لم يكن الأخير. فليوم، وفي لكان مكتبات بيع لكتب الأوروبية ذات الدلول العيسانية، مارسان لعل لفظ البطلون من على جبال العلم Wissenschaft واللقاة Bildung إلى سهل الخطاب اللغويين استديقارفي.

كان يمكن تعليم للفكرين الإنان ضد هذا الإغتراب الاستبددي. وتجدد مقولة هابر ماس مقنعة. ولكن إذا كان محطاً في إلقه بالعلوم على الفلسفة الألمانية بشأن الفصل السياسي، وإلّا كان آرون حصفاً في إلقه بالعلوم على الالتزام السياسي الأمي في فرنسا، فإن يصل هذا الأمر بدنا من الواضع أن لا من لتفسيرين لا يعني أوروبا لقرن العشرين بصورة عامة. زاميدو لانه لا يمكن لأي من «العقلانية» ولا العلاقاتانية في تاريخ الفكر أن تقس نظرية لطغيان الحديث ومعلمسته، كما يخلق كل من «الانترام» و«العقلانية» في التاريخ الاجتماعي.

وحينئذ تصبغ غايات جديدة لاسي، قلما «ميدل» ليشير «قاصري جهودهم» على هذا الخنق؟ يرى الفيلسوفون أن هذا سؤال نفس عميق، وهو سؤال جيب عنه القشريات في محاولته بطرق مختلفة، وربما كان أحب تلك الإجابات هو ما قدمته ديوميتا ولورده سقراط في Symposium، وهو أن كل لرجال بدعون من القشريات الجسدية والروحية، فمن «و على الأقل نشعر أننا كذلك» مطحات ناقصة ولا يمكننا لبقه إلى أن يصعب احتدال ما نشعر به داخلنا وألماس ملموساً، وإلى أن يمكننا «انجاب الجميل» كما تقول هي، وهذا الشغف، وهذا الحب، موجود في كل رغبة طامعية لصحية، وفي رغبات الجسد ورغبات الروح، وبعض الناس يشعرون في المقام الأول برغبات الجسد ويلينون، بينما يصبغ أصحاب الأرواح المقلقة فلامسة من شعراء، أو يشغلون أنفسهم بتنظيم الصحيح للحد من اللغزل، «و لسياسية في أسس معانيها». وتقول ديوميتا لسقراط ما حينما رأيت النشاط الإنساني الذي يستند لغير، فسوف تجد بعضاً من آثار الحب.

ولكن ما هو نشاط الموهج لنا هو ضار لنا أو لغيرنا؟ هل هو لخطر معلام القسوة؟ وهل هذا يدفع إليهما الحب كذلك؟ يقولنا الفيلسوف في Phaedrus أن قلظن بأن الأمر كذلك، عندما يجعل سقراط يقدم صورة شهيرة للروح تهبها على أنها فريق يضم حصانين مجنونين ولهما سائق عربي. يقال أن أحد الحصانين لجبل ومشدود، أو ما هو خلد وصان، بينما يضم الحصان الآخر بولساق، ولا يمكنه التحكم في نفسه ويحب أن تنفبض بين ما هو غث وما هو رقيق: فهو يرغب في كل شيء، ويرى سقراط أنه إذا كان الحصان الأثنى أشد قوة من الحصان الأعلى فإن فروج نفل قريبة من الأرض، أما إذا كان الحصان لندبل هو الأعلى، أو كان يهتكن سائق لعربة مساعدته، فإن الروح ترتلع لكون أقرب إلى الحقيقة الخالدة. ويمكن أن توجد كل الأرواح – وبالتالي كل الاتصال لعيشية – في مكان من هذا السبيل لاسماري. حيث يكون بعضها ابنى لاراض والبعض الآخر يرب لاسماء، تبعاً لطريقة سير خيولهم لتى تحركها لشهوة. ويصف سقراط تسعاً من تلك الأرواح، أعلاها هي روح الفلاسفة والشعراء، وأدناها روح الخنازير.



ومن خلال قراءة تاريخ سقراط وأعمال الفيلسوف خاصة كتابه «الجمهورية» يتضح لنا أن هناك بعد بين لطغيان الذي في العقل وطغيان الذي في الحياة لسياسية. فيصعب الأرواح البستيدة تصبغ حاكمة المدن والبدول، وفي هذه لحد تصبغ شعوب كاتماها خاصة

للفكار هو الذي يميز في المقام الأول الفيلسوف بالمعنى الاصطلاحي عن كثر من المفكرين المحدثين. وهذا الوعي الذاتي نفسه هو ما ينبغي أن يكون بصوت نقاد عند التفكير في حب الطغيان في القرن العشرين ولتعلّم منه. ومن الصعب القول بأن في قرن من القرنين الأخيرين قد رُكِبَ الفضل من القرن الماضي بحيث يثير عواطف العمل المفكر ويجره إلى كتابة سياسية. إن كثيراً من مفكرات لشيوعية وفلاسفة، والماركسية بالتحديد، والاشتراكية القومية، ولعلم الفلاسفة، قد أوجت به كراهية الطغيان، وجميعها قدر على الإحساس للغة القبيحية في عملها. ومن الممكن تصور هذه الاتجاهات باعتبارها جزءاً من سيرة تاريخية تقع المستوى يمكن أن تغزو إليه بعدد روافد الخارجية التي تحركها كلاً من الأحداث وتأويلاتها.

وعندما نقرأ الآن ما كتبه ونجمل الجهد في تفكير الفلاسفة، فلا بد لنا أن نشعر بشغفنا لخاصة ونواجه لقوى الفكرية الأصغر المؤثرة في العمل المحب للطغيان - وربما كُتِبَ في عقلنا المحب - ومع أن إيبولوجيات القرن العشرين تشابه غروب بعض المفكرين وطموحهم، لفتح في خاتمة كل بيت - وفي - ما يهله فينا تفكيرنا - وهو ما يحسنه بلغة كراهية الاستبداد، وهو ما يحسن في تلكنا بالعلمي الفلاسفة أن يكون من شكهم الفلسفة - وسوف تبدو الدعوة إلى الاعتدال - ولكن - من تلكهم - ضربة من الجبن والضعف وهذا هو سبب تعرض للفكرين الأوربيين قبلنا لآثاره هذه - لقد دعوا - ومنهم أرنست هيجل - بفضية باعتبارهم خونة لهمجتهم.

لقد قرأ الفلاسفة بأن الفلاسفة السبعية تخلق قوانين سبعة. وعليه فقد يكون علينا أن نخضع أعيننا عن الإطاعة السياسية التي ارتكبتها فلاسفة الأوربيين، ونحاول فهمها في ضوء ظروف القرن العشرين غير العادية. وتامل في أيام أكثر هدوءاً فيما هوأت. إلا أننا نطفي إن نحن استسلمنا لذلك. فالفلاسفة لم يمت، لا في السياسة ولا في الواجبات. تكديس، ربما يكون عصر الإيديولوجيات السائدة قد ولى، وعصر مدام فرمال وإنشاء يفكرون في سياسات - ومنام هناك مفكرون وسفارت على حال من الأحوال - فسيكون هناك إجراء الخضوع لاجتماعية فكرة ما، وللسامح للعاطفة وللخ تمعين أن قدرتها الاستبدادية، وللخ عن مسئولياتها الأولى، وفي السيطرة على الطاعة التي بدائلها.

ولكن نحن أصداء قرن للماضي سوى منسوبة لإلهام حب الطغيان الفكري غير العادي الذي لن تقتضي مساهمته في الظروف السياسية (لا تفرط)، لأنها جزء من تكوين راسل. ولا كان مؤرخنا يريد حقاً فهم خيالاته اللطيفة، فإن عليه هو الآخر أن يقتل داخله. ■

بعد، حيث عاد الفلاسفة إلى الدنيا ونزل ديون إلى ساحة الوعي، فقد دفع الفلاسفة عما قام به ديون في المجائين. فقد اعترف بأن ديون، بمقتضه مامناً من سيراً كروياً يجب بقلته، ربما ترك آتسالة تطله بشأن فرص إقناع ديونيسيوس وبهنا شعر بضرورة رفع الفلاسفة بعد فشل مساعيهم. إلا أن الفلاسفة كان مقتنعاً بأن ديون فعل هذا كله دون أن يدع الطغيان الذي حاربه يدخل روحه. فليس من العار أن يفضل المرء أو يموت في السياسة، مادام مختاراً من ذلك الطغيان. ولم يكن بإعانة ديونيسيوس إدراكه لهذا اليسير. فقد طالت حياته ولكنه عاش في خزي، بينما مات ديون ميتة مجيدة، حيث بقي على وفائه للحق وحياته.



إن سحر سيراً كروياً قوى وبشاشة لأي مفكر أو مفكرة، ولا بد أن يكون كذلك. فلا ينبغي للمرء أن يقلل خرافة سائر التوجه الخاصة بالمفكر كيبال كي يرى ما راه أفلاطون منذ زمن بعيد. ذلك أن هناك صلة ما في العمل البشري بين النزوع إلى الحق والرغبة في السامحة في الترتيب الصحيح للمنح والآخر. ولكن لأن أفلاطون تعرف بالانجذاب على هذه الرغبة الخلة باعتبارها حافزاً، أي دفعه يمكن أن يتقلب إلى عاطفة هواجس - فكان وأما لفرسته البهيمية ومشغول بتوجيهها لصحة الحياة الفكرية والسياسية السليمة. وهناك ما يثير المرء على القول بأن الحق الوعي الذاتي السامي بشأن كيفية معالجة العمل

الانحسار. وفي «الجمهورية» سقراط قدر للفيلسوف الحق في ميتة ناقصة بـ«كأن بشري راق وحوشاً بريء، دون أن تكون لديه الرغبة في الانضمام إليها فيما ترتكبه من ظلم، في حين أنه لا يمكن كرجل وحيد الفلاسفة كل الحيوانات الوحشية». ولأنه يضع كل هذا في حسنة بأن يظل ماثلاً ويكر ويتبرر ما يخصه من أسوء - كرجل في عاصفة، يلجأ إلى جدار بعصمه، حين تثير الريح اقتراب والإطمان من حوله.

هل يعني هذا أن أفلاطون تخيل الحياة الفلسفية حياة متفصلة لفصلاً؟ فبعد إلقاء شخصية سقراط كلمتها عن الفيلسوف في العاصفة، تضي في القول بأن ذلك الرجل لا يهيا الحياة الفضلى، ذلك أنه في الدنيا الطبية وحدها، سوف يزداد نموًا ويصون الأشياء العاصفة إلى جانب الأشياء الخاصة، وكما سحرف لأن سقراط العقلي قتل بسبب محاربه الطغيان، ليس بتجاهلته السياسية الواضحة وإنما في صمده النفسي داخل العقل البشري. وهذا الوعي الذاتي هو ما يميز سلوك أفلاطون وديون في سيراً كروياً من المفكرين المحبين للطغيان في أوروبا القرن العشرين. ولأن أفلاطون وديون كانا قد اتبعوا النموذج السقراطي وانتزعا كل طغيان من روحهما، فقد كانا قادرين على فهم طبيعة حكم ديونيسيوس وكان هناك ما يبرر سعيهما لتغيير سقراطاً من طغيانه. وكان كل منهما يأمل كمفكر تحويل ديونيسيوس إلى الفلسفة وجهه يرى ما في أعماله من ظلم وما في كتاباته من حق. وكانا يأملان كذلك مكافحة الطغيان بالعلمة، وليس بالسيف، وإشلاء ورغم اتخاذ كل منهما سبيلاً منفصلاً فيما

لجنون الحكام الشهواني، إلا أن مثل هؤلاء الحكام نادرون وفبستهم على السلطة ضعيفة. وهناك تأتي أخرى أكثر شوباً من الزواج المستبد التي يفكر فيها سقراط، وهي تلك التي تدخل الحياة العاصفة ليس في صورة حكما، بل كمعلمين وخطباء وصغراء. وهم من تسميهم الآن مفكرين. هؤلاء الرجال يمكن أن يكونوا خائشين، لأن الاقتدار «لوحدهم». وكما هو حال ديونيسيوس، فإن هذا الصنف من المفكرين عاطفي بشأن حياة العمل، ولكنه على العكس من الفيلسوف لا يسمح التحكم في عاطفته: فهو غارق حتى أدنيه في النقاش السياسي، وكتابة الكتب، وإلقاء الخطب، وتقديم التمتع بشهوات محمود لا يكاد يطيء عجزه دون تحمله للمسئولية. وهؤلاء الرجال يعثرون أنفسهم عفوًا مسئلة، بينما الحقيقة هي أنهم طالع تقوم شياطينهم الداخلية وتطعنهم إلى تقبل جهنم منقلب الأنواء لهم. ومن يستوعون إلى هؤلاء - وهم عادة من الشباب - قد يشعرون بتراجع المشاعر داخلهم: إذ يجدهم ذلك الشعور موضع لفة، ذلك أن التوجيه الصحيح قد وضع عليهم الشرف وينشر العدل في مدمنهم. إلا أنهم بحاجة إلى تعلم التحكم الفكري في النفس إن هم أرادوا تحويل تلك العاطفة تحولاً خاصاً إلى الانفعال الطيب.

ويذكر سقراط ذلك. إلا أن هؤلاء المفكرين يفتقرون إلى تواضعه وحرصه التعليمي: استعصمهم تعتمد على إثارة العواطف وليس توجيهها. ويرى سقراط أن هؤلاء المفكرين يولجوا بدور مهم في دفع الديمقراطية ناحية الطغيان بدفعهم عقول الشباب إلى حالة من الإثارة والجنون، إلى أن ينتقل بعضهم - ربما أكثرهم ذكاء وشجاعة - من الفكر إلى العمل ويسعى إلى تحقيق طموحاته الاستبدادية في السياسة. وبعد أن يشعر هؤلاء المفكرين بالرضا لتحقق أفكارهم في الواقع، يصبحون مداهنين للحكام خائنين له ويؤلفون «أنشيد الطغيان» عندما يتولى السلطة.

يقدّم سقراط فكرة الملوك الفلاسفة الخيرة في «الجمهورية» ليخرج محاوريه من زخام في التفكير في هذه العلاقة بين المفكرين والطغيان. وكان هذا الملك الفيلسوف - سواء أكانت تلك فطرية أو نشأ عليها - سيفضي على الفنتين معاً. فالملك الفيلسوف نموذج مثالي، ليس بالحق الحديث لهدف الفكر المشروع الذي يتطلب التحقيق، بل ما يسعيه سقراط «علماء» يساعد على تذكرنا بكيف أنه من غير المحتمل الجمع في يوم من الأيام بين الحياة الفلسفية والمطالب السياسية. فقد لا يكون في قدرتنا إصلاح الطاغية، إلا أننا قادرون دوماً على ممارسة التحكم الفكري في الذات. وهذا هو السبب في أن أولى مسئوليات الفيلسوف الذي يجد نفسه محاطاً بالفساد السياسي والفكري قد تكون هي

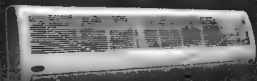
## قد لا يكون في قدرتنا إصلاح

الطاغية، إلا أننا قادرون دوماً على ممارسة التحكم الفكري في الذات. وهذا هو السبب في أن أولى مسئوليات الفيلسوف الذي يجد نفسه محاطاً بالفساد السياسي والفكري قد تكون هي

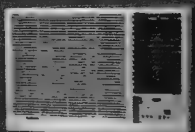
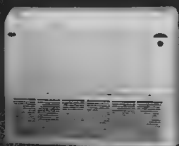


# مجموعة كاريير ٢٠٠٣

New N2



Platinum



Window (GR)

Mega II



**Miraco**

**Carrier**

**لا شيء يفوق الخبرة لا شيء يفوق كاريير**

المركز الرئيسي: ١٥ شارع مكة المكرمة - خلف نادي الصيد - المهندسين - مصر الجديدة ٢٠٤ شارع المحجاز - مدينة نصر ١٨ شارع عبدالملك العربي - امتداد شارع الطيران  
شبرا ٧٠ شارع شبرا - المعادي ٧/١١ شارع النصر - المعادي الجديدة - الهرم ٩٨ شارع الملك فيصل - تقاطع الملك فيصل مع المروحية  
الإسكندرية: الفرع الرئيسي ٥ شارع الهيرت الأول - بجوار كوبري كابو القلعة - سموحة ت ٥٠٥ (٠٣) ٤٢٥٢٠٠٥  
لمركز الخدمة في الإسكندرية اتصل بـ ٥٤٤١٥٠٠ - ٠٣ (٥ خطوط)  
الفرقة: شارع المحكمة ت ٥٤٩١٥٥ (٠١٥) - الأقصر: شارع الرينة الشريفة - الصادية ت ٣٧٣٩٤١ (٠٩٥)  
لخدمة العملاء والمبيعات في القاهرة الكبرى اتصل بـ ١٩١١١



■ هذا الكتاب «خرافات لغوية»، نُشر في مجموعة بنجوين ١٩٩٨ حرره دأوري بويري مدرس علم اللغويات في جامعة فيكتوريا، في ويلنجتون- نيوزيلاندا، وميتز تروجلر، أستاذ اللغة الإنجليزية وعلم اللغويات في جامعة نوران في سويسرا وهو عبارة عن مجموعة من الدراسات كتبها عدد من علماء اللغويات، شرحاً ونقداً وتفسيراً لعدد من الشائعات اللغوية التي تنتشر في المجتمعات على شكل حكمة أو قول مأثور، كانتها حقائق علمية معترف بها.

في مقدمة الكتاب، نذكر المحرران أنهما فكرا في تحرير هذا الكتاب لأنهما يريان أن علماء اللغويات قد قصروا في تقديم هذا العلم إلى عامة الناس غير المتخصصين ويرجعان ذلك للتقصير إلى السرعة القياسية التي توسع بها هذا العلم في النصف الثاني من القرن العشرين، حتى إن العلماء أنفسهم كانوا مشغولين بمتابعة تطوراتهم وملاحقة المعلومات والنتائج الكثيرة التي يُؤرّس إليها. لذلك كانت أغلب كتاباتهم موجهة إلى بعضهم بعضاً وليس إلى عموم الناس.

ويلفتان النظر إلى أن أغلب من تصدى لهذا النوع من الكتابات اللغوية كانوا من المتخصصين والمحبرين

والشعراء وعلماء النفس، وهم للأسف لا يصلحون أن يكونوا مراجع في هذا المجال لجرد أنهم أكثر الناس احتياجاً إليه واستعمالاً له.. ثم يقرران أنهما يعتقدان أننا إذا أردنا أن نعرف شيئاً عن الجهاز التنفسي، فلنأخذ نسال طبيباً أو أخصائياً في علم وظائف الأعضاء، ولا نلجأ إلى شخص رياضي مثلاً لجرد أنه يجيد التنفس، إذا أردنا أن نعرف كيف تعمل قطرات الأنفاس، فلنأخذ نسال شيئاً عن علم اللغويات، فإننا نسال عالم لغويات متخصصاً وليس شخصاً يجيد استعمال اللغة.

ويقول المحرران إن للناس عادة بعض «الآراء اللغوية» التي تبدو مؤكدة ومستقرة، فمثلاً كانها جزء من تراثهم الثقافي، وهما يطلقان على هذه الآراء اسم «خرافات لغوية» لأنها سررت بين الناس مسرى الأساطير عن أنها قائمة على غير أساس علمي، فهي إما أن تكون خطأ محضاً، أو مخوفة يفتلط فيها الصحيح بالخطأ، أو مبسطة تبسيطاً مفرطاً، أو أنها قائمة على فرض خاطئ أصلاً، أو أغفلت جانباً مهماً من جوانب الموضوع.

وقد اختار المحرران بعض هذه «الخرافات اللغوية» الشائعة، وطلبوا من

عدد من العلماء أن يفسروها، ويبينوا ما تحتويه من تشويش وإغلاط، وأن يشرحوا حقيقتها، ومن أين جاءت الفكرة أصلاً، ثم جعلوا عنوان كل دراسة عبارة عن جملة تخص تلك الخرافة الشائعة.. لأنهما يعتقدان أن تقييد هذه «الخرافات اللغوية» ليس أمراً سهلاً تكفي فيه عبارة موجزة مثل «هذا خطأ» أو «هذا صواب»، لكنه يحتاج جهداً علمياً حقيقياً، إذ ليس الموضوع موضوع «صواب»، وبخلافه فقط، وإنما «الموضوع دالماً جوانب أخرى، كما يقول المحرران.

وسوف نلاحظ في النهاية أن هذه الأفكار البسيطة لا تعجب العلماء بأية حال من الأحوال، حتى لو وافقوا على بعض جوانبها.

ويتضمن الكتاب واحداً وعشرين بحثاً عن إحدى وعشرين خرافة شائعة، مثل القول بأن بعض اللغات أسهل من غيرها، أو أن إحدى اللغات أجهل من الأخرى، أو أن بعض اللغات ليس لها قواعد نحو، أو أن وسائل الإعلام هي السبب في إفساد اللغة، أو أن بعض النصوص أقل قدرة على التعبير من غيرها، أو أن اللغة الفلانية بدائية، لا يمكنها استيعاب مفردات الحضارة المستجدة، أو أن اللغة العلانية لا تستحق الاستمرار، لأنها جامدة وغير قابلة للتطور.



هل صحيح أن النساء يسيطرن على المجالس بالكلام طول الوقت، كما هو شائع؟  
هل صحيح أن الرجال يجاهدون طول الوقت لينتالوا حصصاً من الحديث؟ ولو كلمة واحدة؟  
يلزم من هذا الاعتقاد الشائع، أن النساء يتكلمن أكثر من الرجال، فأغلب الدراسات التي أجريت على هذا الموضوع تشير إلى العكس من ذلك تماماً.. فكما اجتمع الرجال والنساء، فالرجال هم الذين يتكلمون أغلب الوقت.  
قامت الباحثتان الكنديتان «ديبورا جيمس» و«دانسيس رانكيس» باستعراض ٢٣ دراسة تقيس مقدار الكلام الذي يساهم به الرجال والنساء الأمريكيون في سياقات مختلفة.. فكتشفنا أن النساء تكلمن

ويعرض الأقوال الشائعة تصور الرجال يستمع في صمت ويحسب، بينما المرأة تتكلم بلا انقطاع.  
١- إذا سألنا ردي الزوجان الشباب نفسهما، من السهل التفريق بينهما، فالرجل هو المستمع، مثل أمريكي.  
٢- ليس هناك أغرب من رجل متكلم، إلا امرأة صامتة.. مثل اسكتلندي.  
وهناك أقوال كثيرة تشير إلى ثقافة حديث المرأة، وأنه مجرد ثرثرة مزعجة.  
١- هناك ضجيج دهم، حينما وجدت النساء والأزواج، مثل ياباني.  
وإن كانت صورة المرأة في الإشغال اليابانية ترتبط بالضعف، إلا أن اللؤلؤ الصيني يربط حديثها بالقوة.  
١- لسان المرأة هو سيفها، وهي لا تتركه يصدا أبداً.  
وآذن، ماهي الحقيقة؟..

■ هل صحيح أن النساء يتكلمن أكثر من الرجال؟  
الامتنان للأقوال الشائعة في كثير من اللغات تؤكد ذلك، وتشير إلى أن النساء لا يتوقفن عن الكلام أبداً.

- ١- لسان المرأة مثل نيل الشاة: لا يتوقف من الحركة أبداً.. مثل إنجليزي.
- ٢- جحر لفسل، كل تقصصه لبياء.. لها المرأة فلا تنقصها الكلمات أبداً.. مثل شاعلي.
- ٣- تزوج المرأة ذات اللينين والقديمين المشيوقتين.. أصا المرأة ذات اللسان النشيط، فابتعد عنها.. مثل ماوري (شعب نيوزيلندا الأصلي)

Language Myths  
(خرافات لغوية)  
Edited by Laurie Bauer & Peter Trudgill  
Penguin Books, 1998

ويقتر المحرران أن كثيراً من هذه الخرافات الشائعة قائم على عوامل عنصرية أو على ذوق خاص أو انطباع شخصي، أو جهل شديد بالموضوع نفسه أو بحقيقة تطور اللغات أصلاً.. مثل الآراء التي تشير إلى رغبة بعض اللغات وانحطاط بعضها، أو أن لغة معينة جميلة وأخرى قبيحة، أو أن قواعد إحدى اللغات منطقية وأخرى غير ذلك.. بينما الحقيقة أن لكل لغة خصائصها النحوية وجمالياتها الخاصة التي نتاج العقل البشري متفاعلاً مع ظروف المعيشة واحتياجات مستعملها. لذلك لابد من دراسة اللغات دراسة موضوعية محايدة، بعيدة عن الأوهام والأذواق.

■ النساء يتكلمن أكثر من الرجال، إحدى دراسات هذا الكتاب، وكانتها هي «جانيث هولز» أستاذة علم اللغويات في جامعة فيكتوريا في ويلنجتون، نيوزيلندا.. وهي تُدرّس علم اللغويات، وعلم اللغويات الاجتماعي، وقد نُشرت لها عدة كتب، مفردة، أو بالاشتراك مع غيرها، وآخر كتبها، «مفردات الجمالة عند الرجال والنساء، لوتيمان» ١٩٩٥ وفيما يلي تعريب لهذه الدراسة. ■

## أمانى العشماوى

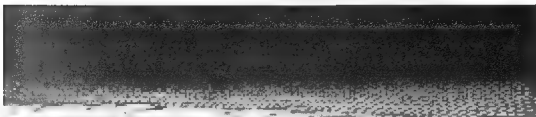
أكثر من الرجال في دراستين اثنتين فقط.  
وفي نيوزيلندا، أثبتت الدراسات أن الرجال عادة يسيطرون على أغلب الوقت أثناء الكلام.  
لقد قاربت «مارجريت فرانكن» بين مقدار الكلام الذي يتكلمه رجل وامرأة متخصصان، يعملان مساعدين لمقدمة برنامج تلفزيوني تستضيف شخصيات معروفة.. وكانت في كل مرة، تقسم مدة الحديث المخصصة للمضيفين الثلاثة، المقدمة ومساعدا الرجل ومساعدتها المرأة، وفي كل مرة كان الرجل يسيطر وحده على نصف المدة المتكلمة للثلاثة.  
وقد وجدت، أذا، النتيجة نفسها عند تحليلي لعدد من الأساليب التي سألتها لعدد من المشاركين في علة عامة، العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣



# يتكلمن أكثر!!



## جانيت هولز



فقد سيطر الرجال على الحديث في ثلاث وتسعين ندوة تلك السنوات للثقة. وعندما كان عدد الرجال مساوياً لعدد النساء، كان الرجال يمسألون للنهي الأسئلة أثناء النقاش.. فمن الواضح إذن أن النساء لم يكن يتكلمن أكثر من الرجال. في تلك الحالات على الأقل.

وأما في المجالات التي كانت النساء فيها متحدثات من موقع القوة، فقد كن يجدن صعوبة في المساهمة في النقاشات بالقدر الذي يساهم به الرجال. فمثلاً: عيّنت شركة بريطانية أربع نساء وأربعة رجال في أعلى لجانها مناصب إدارية، أجراً ومركزاً. وقد لاحظ المدير الإداري أن الرجال يحرصون دائماً على السيطرة على جو الاجتماعات، وإلى توجيه حديث النساء.. فقد قال: «ذات مرة، اجتمعت بمديرة مبيعات واحدة وثلاثة مدربين من مساعدي، ولستفرك الاجتماع ساعيتين، تحدثت فيها المديرة مرة واحدة.. وحتى في تلك المرة لسانها زميل رجل قاتلاً لي: «إن» «ن» «تصد كذا وكذا»..

وفي هذا تخصيص للموقف كله، فهو يرى أنه يعرف أصداً أكثر منها، ولهذا لم يتح لها الفرصة لتقول رأيها بنفسها.



لماذا إذن تختلف الحقيقة عن الشائعة كل هذا الاختلاف؟؟

للإجابة عن هذا السؤال، لابد أن نبتعد عن التعميمات للضغاضة، ونتناول تلك الحالات السابقة بالتفصيل. فمثلاً يرى بعض المعلمين أن صفيين أكثر نشاطاً من فتيات. وأما انصياعاً منهم.. لكن الحقيقة أنه ليس هناك دليل علمي يؤكد أن الذكور يتكلمون، بالضرورة، أكثر من الإناث.. فمن الراجح إذن أن الأسباب تعود لسوامل اجتماعية أخرى غير لظاهرة.

إن الكلام يؤدي وظائف مختلفة، في لسياسات المختلفة. فالحديث الرسمي العلني، مثل الخطاب السياسي والنقابات العامة والمحاضرات، أو للقاءات الإثابة للسوعية والمالية، كلها تهدف عادة إلى إقناع على نفس والقائم بوجهة نظر معينة. لذلك فهذا النوع من الأحاديث يقوم به عادة أتاس حريصون على تأكيد مكانتهم الاجتماعية، مثل رجل سياسي. لذلك، فإن الحديث والقبول في السيطرة على الكلمة في المجتمعات العامة من الأمور اللغو فيها والمتعارف عليها. إن الوفاء الخاطر، وهو يتضمن مخاطر كثيرة، لأن الإثابة ليس، بدون مكانة فرد أكثر ما يتقنع. وقد لاحظنا في الفصول الدراسية أن كثرة الكلام تماشى مع ارتفاع مكانة المتحدث وزيادة سلطته. فقد أظهرت

الكلامية تدعم مكانتهم.. ومن الواضح أن الرجال أكثر اهتماماً بتأكيد مكانتهم وأليات سلطتهم من النساء. وعلى سبيل المقارنة، فإنه في المجالات الأكثر خصوصية، حيث يؤدي الكلام غير الرسمي، أو الصميمي، إلى تحقيق تواصل إنساني بين الأطراف أو يساعد على توطيد العلاقات الاجتماعية وبني الصداقة، فإن الأبحاث القليلة التي درست الكلام في تلك المجالات الاجتماعية غير الرسمية، أظهرت فروقاً أقل بين مساهمات الرجال والنساء. فقد تكلم الرجال أكثر من

هذا لتفسير.. فقد جمع فيلخون من أمريكا وبريطانيا ونيوزيلندا مزيداً من الأثلة التي تؤكد سيطرة الرجال على لوقت المحيد الكلام في اجتماعات أعضاء المجلس وقنوات وجماعات اتخاذ لقرارات. وإذا كانت نشأت في هذه التتبيجة، استعمل ساعة مؤقتة لتحديد الوقت الذي يتكلم فيه كل من الرجال والنساء في أي اجتماع سياسي أو لجنة تكون حاضراً بها. مستنتفح أن الرجال يتكلمون أكثر من النساء في المجالات العلنية والرسمية، لأنهم يعتبرون مساهمتهم

الدراسات أن المعلمين، رجالاً ونساء دون تفرقة، يقومون بالحديث في ثلثي المدة المتكلمة أصلاً للكلام داخل الفصل. وأن الصفيين يستولون على الجزء الصغير الباقي من المدة المتكلمة للطلبة. إن يبدو أن صاحب الكلمة الأعلى تكون له أولوية الحديث، كلما كان للكلام أهمية وتقدير. ربما لهذا السبب، يحاول الصفيين تأكيد ارتفاع مكانتهم عن الفتيات بالاستيلاء على أغلب الوقت الذي يتبقى للطلبة. تصرفات الرجل والنساء في الاجتماعات العامة والندوات الرسمية تعزز



## كتاب الزاوية



### من كلام الناس

قال بعض الناس: «من التوقى ترك الإفراط في التوقى»

وقال بعضهم: «إنما لم يكن ما تريد فأرد ما يكون».

وقال الشاعر:

**قنر الله وارء حين يقضى وروءه  
فأرد ما يكون إن لم يكن ما تريده**

وقيل لأعرابي في شكاته: كيف تجدك؟ قال: «أجدني

أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد، وأنا في زمانٍ من جاد  
لم يجد، ومن وجد لم يجد».

وقيل لآين الملقع: ألا تقول الشعر؟ قال: الذي يجيئني لا  
أرضاه، والذي أرضاه لا يجيئني.

وقال بعضهم: «أعجب من العجب، ترك التعجب من  
العجب».

قال عمر بن عبد العزيز لعبد بن مخرم: «إني أخاف  
الله فيما تقلدته، قال: لست أخاف عليك أن تخاف، وإنما  
أخاف عليك ألا تخاف».

وقال الأحنف لمعاوية: أخافك إن صدقتك، وأخاف الله إن  
كذبتك.

وقال رجل من التُّسك لصاحبه له وهو يكيد بنفسه أما  
ذنوبى فإنى أرجو لها مغفرة الله، ولكنى أخاف على بناتى  
الضيعة. فقال له صاحبه: فإنالى ترجوه لمغفرة ذنوبك  
فأرجه لحفظ بناتك.

فى الأسر التى تتبنى أراء تقليدية  
فى العلاقة بين الرجل والمرأة كان الرجال  
يسيطرون على الأحاديث التى تجرى بين كل الأزواج.  
أما النساء ذوات الصلة بحركات التحرر النسوية،  
هكن يتكلمن أكثر من أزواجهن

كانت مقصورة قبل ذلك على الرجال، مثل  
إدارة الأعمال وبعض المجالات المهنية  
الأخرى، فلا عجب أن مساهمتهم لا  
تستقبل دائما بالرضا والإعجاب، ولا تقدر  
بالعدل والدقة».



والآن، لنصل إلى إجابة مسـئـلة  
للسؤال: هل النساء يتكلمن أكثر من  
الرجال؟

الإجابة ليست فقط «لا» أو «نعم»..  
ولمّا حسب الموقف..

أما سر يعتمد على عوامل كثيرة  
ومتنوعة، فهى تختلف حسب السياق  
الاجتماعى الذى يجرى فيه الحديث،  
ونوع الحديث، ومقدار الثقة الاجتماعية  
التي يتمتع بها المتحدث، وهى قد تتأثر  
بالدور الاجتماعى، مثل حالة المعلم فى  
الفصل، أو مضيف البرنامج، أو مدير  
اللقاء.. وكذلك بمقدار معرفة المتحدث  
وخبرته بموضوع الحديث.

نتنتج من ذلك أن الرجال يتكلمون  
أكثر من النساء فى المجالات الرسمية  
العامة، حيث يكون الإله بالعلومات  
والقدرة على الإنعاش هما  
المطلوبان. وكذلك عندما يكون المتحدث  
لبلا على امتحان معين، وعندما يكون  
الحديث فرصة لزيادة المكانة الاجتماعية  
للرد.

أما النساء، فأغلب مساهمتهن فى  
الأحاديث الخاصة وغير الرسمية، حيث  
يكون الحديث وسيلة للتواصل الإنسانى،  
وفى المواقف الأخرى التي يشعرن فيها  
بالثقة الاجتماعية.

يقول لللى: السكوت من ذهب.. فهل  
الحديث دائما مدعاة للغر والمباهاة؟

يعتبر لى صمت أبلى من الكلام فى أغلب  
المناسبات وقد يكون نسب من الكلام فى  
بعض المواقف كس يكون كلاما فـا  
قاصرة عن التعبير عن العواطف، أو عندما  
يكون لى صمتا معبرا عن الإمتنان أو  
الاحترام. وهناك حالات يكون نموذج  
«رجل الصلحة» طار الإعجاب.

وهما كان الأمر، فلماذا من الاعتراف  
أن لكلام مكانة محترمة وتقدير خاص  
فى الثقافة المعاصرة. مادام يستعمل  
للسيطرة على الجلسات المختلفة،  
وبالتالى فهو مرتبط بالمال والسلطان.  
لذلك سيقال الجدل قائما: من يتحدث  
أكثر؟.. النساء أم الرجال؟ ■

فالحديث فى الفصل يعتبر  
استعراضا للقدرة، خاصة إذا كانت  
المحدثة فتاة.. وما زالت الفتيات يفضلن  
أن يظهرن أقل من مستواهن الحقيقى  
حتى لا يلفتن الأنظار ويكتسبن عدا  
الصبيان. والمعلمون عادة لا ينتبهون إلى  
هذا الوضع القائم فى الفصول، بل إنهم  
يتصورون دائما أنهم يكونون مقدارا  
متساويا من الاهتمام ومن قرض الحديث  
للبنات والصبيان.. ولم يكتشفوا أو  
يصدقوا أن الصبيان يسيطرون على أغلب  
الوقت المقرر للمطلة فى الفصل إلا بعد أن  
استمعوا إلى تسجيلات صوتية للدروس.

«دليل سبنر»، استرالية من مناصرات  
حركات التحرر النسوية، ومن أشهر  
المنافعات عن حقوق المرأة: لاحظت أن  
العلمين والمعلمين يحرصون على تحقيق  
المساواة فى لفرص بين لبنات وقبين  
الفصل، ولكن باعطة البنات فرصة أكبر  
للمساهمة فى الكلام، ومع ذلك فوجدوا  
بانهم، بالرغم من مساواتهم، سألوا  
يعطون البنات فرسا أكثر ووقتا أطول.

فى إحدى الدراسات، قسم معلم مادة  
العلوم، الوقت للمسد الكلام الطلاب فى  
الفصل إلى قسمين متساويين بين البنين  
والبنات. وبعد ذلك أعلن المعلم أنه شعر  
أن البنات قد تلى 40% من اهتمامه ووقته.  
وكذلك احتج الطلبة البنون واشتكوا أن  
البنات قد سيطرن على أغلب الوقت  
المخصص للسيدات. مع أن الوقت كان  
مقسما حسابيا، وسجلا بساعة مؤقتة.

وكذلك فى المجالات العامة الأخرى  
مثل الندوات والمخاطرات، كلما أعطى كل  
من الرجال والنساء مددا متساوية من  
الوقت للمسد للحديث، سواء عن عمد أو  
عن غير عمد، كان الحاضرون يعتبرون أن  
النساء قد حصلن على أكثر من نصيبهن  
من الوقت.

وقد وضحت «دليل سبنر» السبب فى  
ذلك قائلا:

«إنهم يقيسون مقدار حديث المرأة،  
ليس مقارنا بحديث الرجل، وإنما مقارنا  
بالصمت، فأمرأة المتحدثه تتكلم أكثر من  
المرأة الصامته.. بمعنى آخر، سواء تكلمت  
المرأة كثيرا أو قليلا، فهى تتكلم أكثر من  
اللازم. فالغرض منها أن تقلل صامتة.

مجرد زينة فى الإطار العام للمجالس  
والأحداث الاجتماعية.. قد يبدو ذلك  
بشعا، لكن، إذا أردت أن تفهمه، فتصور رد  
فعله، إذا رأيت مجموعة من الأطفال  
يتدخلون بخبر وترد فى لحديث الكبار  
حتى يسيطروا عليها تماما.. فالتساء قد  
اقتحم حديثا كثيرا من الميادين التي  
العند الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م

# ثقافة استباحة حقوق الملكية الفكرية

محمد عدنان سالم

إن القانون يؤكد الحقوق ولا ينشئها، فما جدوى صدور قانون لحماية الحق الفكرى في مجتمع يستباح هذا الحق من فرقه إلى قدمه، يستوى في استباحته له المنتج والمستهلك والشرطى والقاضى

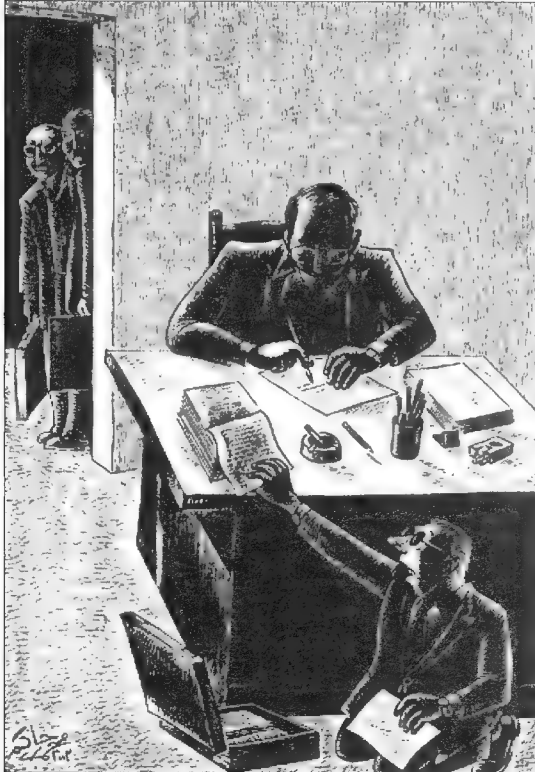
■ إن احترام حقوق الملكية الفكرية مسألة أخلاقية قبل أن تكون قانونية. فحق الملكية الفكرية حق طبيعي من حقوق الإنسان يشترط له نظير جهده الذي يبذله، ولئن كان استثماره لجهده العضلي حقاً تعترف به كل الشرائع والقوانين والأعراف، فإن اعترافها بحقه في استثمار جهده الفكري يكون من باب أولى.. ذلك أن الجهد الفكري أسمى وأرقى من الجهد العضلي، ولئن كان عمل اليد يجلب للإنسان التعب والعرق، فإن عمل الفكر يسبب له السهر والقلق، ولئن كانت السهرة تتصور في الجهد العضلي يساق إليها الإنسان بالإكراه، فإنها لا تتصور في الجهد الفكري، إذ لا يمكن تسخير الإنسان للتفكير بالإكراه، ومن المغفل الدخول إلى تلافيف دماغه لا يجتأه لمرات أفكاره. وفي هذا المنعطف الحاد الذي تجتاز فيه البشرية اليوم عصر اقتصاد الصناعة إلى عصر اقتصاد المعرفة، وتبدل فيه معايير تقدم الأمم، فخذأ يقاس بمقدار ما تملكه من ثروة المعلومات، أكثر مما يقاس بمقدار ما تملكه من ثروة المال، تعاظم دور العمالة الفكرية واشتد الطلب عليها، وتقلص دور العمالة البدوية وتراجع سوقها، وأصبحت قضية حماية الحق الفكرى ضرورة من ضرورات التقدم.

عبدالله

إن حماية الحق الفكرى مسألة أخلاقية لا يمكن لأكثر القوانين تشدداً أن يفرضها على مجتمع لا يؤمن بها، ولم تترسخ في ضميره وتستقر في وجدانه بوصفها حقاً طبيعياً من حقوق الإنسان يعد تجاهله انتهاكاً على هذه الحقوق وعدواناً عليها وعملاً غير مشروع يدرجها في عداد السرقة وأكل المال الحرام، ويجعل المجاهر لهذه الحقوق يشعر بالإثم والذنب والفزى وعار الجريمة، عندما تمتد يده إلى عمل فكرى ملكه، ملطماً يخارمه هذا الشعور عندما تمتد يده لسرقة سلعة أو حلي أو متاع لا يملكه سواء بسواء. عند ذلك يصعب للمفانون معنى، ويصعب قابلية للتطبيق، ذلك أن القانون يؤكد الحقوق ولا ينشئها، فما جدوى صدور قانون لحماية الحق الفكرى في مجتمع يستباح هذا الحق من فرقه إلى قدمه، يستوى في استباحته له المنتج والمستهلك والشرطى والقاضى الذى يرى كل منهم في الجهد الفكرى واجباً لا يستحق بذله الأجر، ويرى في لمرات الأفكار ملكاً مشاعاً كالنار والماء، من حقه أن يمد يده إليه دون أن تطرق له عين؟

إيجابيات مزعومة،

إن المجتمع الذى يعتنق ثقافة استباحة الحق الفكرى، ويمارسها من دون أن يكون لهذا الحق في ضميره أى حرمة أو احترام - وهو حال المجتمع العربى والإسلامى برمته - لن يرى في استباحته لهذه الحقوق أى سلبيات



تذكر، بل هو يرى فيها محض إيجابيات تيسر العلم لطلابها، والمعرفة لعشاقها، وأنا أتمنى لديكم المضي إلى أبداً بالحديث هذه الإيجابيات المزعومة لسرقة الأفكار، قبل النصدت عن سلبياتها، فبعضها تتميز الأشياء.

وأبداً سلفاً إلى التنويه بأنني لا أعترف بأن من هذه الإيجابيات المزعومة، وأعوذا نذرع وإمسية لا تقوم بها حجة، وسوف أفتدأ واحدة واحدة، قبل أن يدور في أحد شبهة قبول لها!

## أولاً: توفير السعر

### لطلابها يسعر آخرهم

وهو ما يصقل له المجتمع، ويعد خدمة اقتصادية واجتماعية وثقافية جليلة، فكمسح في جشع النخبون الأصليين وقرصهم السحر على الأصلي، رغم ما يعرفونه عن تدني مستوى الدخل لدى الفرد، وتعقد سيل المعيشة واحتياجياتهم، وإذا كنت ستسحق تخفيض السعر على الأوعية الورقية (الكتاب) لا تتجاوز ٣٠٪ فإنها على الأوعية الأخرى السعوية والسعصرية والإلكترونية (الاشارة) والأطراس المنقطعة والكتاب (الإلكتروني) قد تبلغ ٩٠٪، بمعنى أن المستهلك يستطيع أن يحصل على الشريط أو القرص المسحوق (CD) بمشتر نصفه الأصلي، فليس الغشاق أن يطالب بالخصمية بهذه الفرصة المتاحة مهما تكن الأسباب الداعية لها. وفي تقديره هذه الفرصة الواهية هناك ما يلي:

١- هل يسوغ السعر الأرخص لأحد أن يشتري حلية أو متاعاً مسروقاً؟ ولئن فعل فإنه لن يستطيع أن يدرى وخز ضميره وشعوره بالإثم، وسوف يستمر من الناس مخالفة أن تزريه أعينهم وتوكله الستمتة، كما أنه لن ينجو من سلطة القانون الذي يُعد حيازة المسروق جريمة يعاقب عليها.

لهل تكون سرقة الأفكار والحقوق المترتبة عليها أدنى مرتبة من الحقوق المادية والعينية؟ وهل يقلل ذلك في عصر المعلومات الذي يتركز الإنتاج فيه على الأفكار؟

٢- المستهلك، إنما يقوم المادة الفكرية بقيمة وعلاها المستوعب لها، ورقياً كان أم رقمياً، على قرص مخفف (CD) أو على الإنترنت، وشبهاه أو لا يفلن إلى قيمة مضخومة العلم الذي بذل فيه مؤلفه ونشره الكثير من الوقت والجهد والمال.

إن إنتاج برنامج حاسوبي واحد يتطلب حشد عدد كبير من الفنيين، ومبرمجين ومصممين ومطالين، وتوفر الكثير من التراجم والمصادر، وتوفر الكثير من الأجهزة، ومن الأوال، ومن العمل المدوي شعوراً وسنتين، بينما لا يتطلب نسخته شعوراً ذاتية واحدة من الزبون، فكل حق الذي يملكه الذي غالباً ما يكون من نوع رديء، لا يحقق المنفعة، عبر جهاز بسيط ليس له قيمة تذكر.

العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م



## إن القرصان لا يتعامل مع الإبداع في

### أى مرحلة من مرحله، من تأليف وتحرير وتنقيح وإعداد وتصحيح وتدقيق وفهرسة

### وتصميم وإخراج، إنما يسطو على العمل بعد

### أن يستوى على سوقه، يصوره، ينسخه.

### يمسكه، ويسوقه وليس له فيه إلا الوعاء

### الذي ملأه سحتاً وما لأحراماً



إن العصر الذي تمتحه برادة الإخراخ للمنطق، لا يعلى أجهزة الرقابة على الأسفار في الدولة من واجب حماية المستهلك، ولا بد من تحقيق المعادلة بين حق الابتكار وحق المستهلك في منع النسخ في استعماله.

لكن تعدد المصادر والتراجع بين يدي الطلبة وخاصة في مراحل التعليم العالي فخصهم من ربة احتكار للفرد الواحد، فضلاً عن تنمية روح البحث لديهم، وتوسيع آفاق المعرفة أمامهم.

أما نقل المعرفة من مكان توافرها بلغاتها الأصلية، أو ترجمتها، فإن التفاوت والمنافشات العقلية والاتفاقات الدولية، كل ذلك كليل بالبعد من نزعة الاحتكار والمغالاة بالأسفار.



لقد استطاعت الهند الحصول على أذن بطبعات خاصة محدودة النطاق الجغرافي للتسويق، من كبريات دور النشر العالمية المتخصصة بالكتب العلمية، وبيعها بأسعار رخيصة جداً بالمقارنة مع الأسعار الأصلية، كما جعل الأفارقة من طريق التفاوض، والاستفادة من التقلبات والمنقطعات الدولية، على مساعدات كبيرة في مجالات نقل المعرفة والثقافة. وإن في أنظمة المؤسسات الدولية من الاستفادة في هذا المجال ما يغني عن القرصنة. كمسؤول النشر الإيجاري والترجمة الإيجارية بالسعر العادل.

## سبلات الاستباحة

### ١- عون الإبداع:

إن حرمان المبدع من استمار إبداعه، ينسحق ويحمله عجزاً عن متابعة إبداعه، فلام يبحث وحلل ويؤري زناد أفرد، ويستقرى ويستقن ويبدل ماله ووقته وأعباءه لاسترداد جديد. إذا كان يعرف أن الفرصة لبقون له بالمرصاد، ما ينطرح إبداعه حتى يتلفه ليتولوا استثمار نيابة عنه.

إن القرصان لا يتعامل مع الإبداع في أى مرحلة من مرحله، من تأليف وتحرير وتنقيح وإعداد وتصحيح وتدقيق

وفهرسة وتصميم وإخراج، إنما يسطو على العمل بعد أن يستوى على سوقه؛ يصوره، ينسخه، ويسوقه، ويسوقه وليس له فيه إلا الوعاء الذي ملأه سحتاً وما لأحراماً، يستغل بالخشم ويترك القرم للبعد خلافاً للثقافة الشرعية المعروفة (الغنى بالمطل)، كخلى لمبدع الممول حقه بالباطم! أي بعد؟! ما مستقبل ثقافة مجتمع يخلل فكره، ويغني عن سرقة جهودهم، ويكتفى بما يقدمه له الفرصة فيها؟! أغلب ظني أنه سيسقط في حمة التخلف والجهل؛ ذلك أن الفرصة كالعقل يتشبث بجسد الإبداع يمحص دمه الزكي حتى إذا بلغ نبع النشالة سلطاناً مبرمين جميعاً.

### ٢- هجرة الأمعة

فلأولاب والثقات والقدرات الفكرية رأس مال هو الأرق والأساسي والأكبر تقديراً وتوقفاً في عالم اليوم، الذي يشهول بسرعة مذهلة إلى عصر المعلومات، سرعة لم يشهدها في أي من التحولات البشرية السابقة التي كانت تتم في أمد أطول على الرغم من التغيرات الثورية التي أطلقت عليها، فسميت ثورة زراعية، ثم ثورة صناعية، تعايشتا طويلاً، وما تزال شوب تعيش عصر الزراعة لم تبلغ عصر الصناعة بعد... ولديها الفرصة الآن أن تتجاوز إلى عصر المعلومات، إن لم أعمت فكرها، وفُرت المناخ الملائم لزهار الأفكار وإعلاء شأنها وتقديرها قدرها، على طليعة ذلك صوبها من العيب بها وبخصايها من العدوان وتحريرها من الخوف والقيود.



وما لن يتوفر لها هذا المناخ الملائم، فإنها ملل كل طاقه ورأس مال آخر سوف تهاجر باهتة عن منطقت لها في جو استمتع به يعيق حرية العمل والعبادة والاحترام... وسوف تدعى على الطرف الآخر من بنتقارها ويتسابق إليها ويتوعد لها وبخبرها، بل إنها غالباً ما تجد من يبحث عنها، ويرصد متابعيها منذ أن شرعت، فيعرض عليها خصومات: منحا دراسية، وفرصاً مارة، ويستمرجها يستأثر بومها وتكولها من دون أهلها وأوطانها.

فإن هي تأبث وتتمتع، احتال لها بكل الحيل، حتى إنه ليستمر جهدها الفكرى وهي في مكانها، وقد تكلت القوة والقدرة والاتصالات لا باختيار الإبداع والأموال وتتجاوز كل الحدود والقيود، فمصبحت المعلومات البرمجيات تنتقل من أقصى المعمورة إلى أصاصع عبر الإنترنت من دون جواز مرور، ولا كيان منظور يخضع لرقابة أو رسوم جمركية أو ضرائب مالية.

### ٣- اللورد التجاري الأهم

تشكل تجارة البرمجيات أرقاماً مذهلة في ميزانيات الأمم التي أسرت في التحول إلى الاقتصاد المعرفة؛ تتضاعف إزاحة الأرقام الصاعدة، بله الزراعية... ولئن كان رأس

المال في الاقتصاد الزراعي يعتمد على خصب التربة وعلامه المناخ، ويعتمد في الاقتصاد الصناعي على توافر المواد الأولية.. وذلك كله متفاوت بين الأمم.. فإن المادة الأولية هي الاقتصاد الحضري في الفكر، والفكر مشاع بين الشعوب. مؤزع بيتها بالأسوية، مما يضع الجميع على عتبة سياق واحدة، أمام فرص متكافئة، يحوز حسب السبق فيها كل من كان الأسرع للاغتنامها.

يقول بيل جيتس صاحب شركة مايكروسوفت، الذي ارتقى مرتبة الرجل الأضنى في العالم: «لست أختص منافسة أي شركة نظيرة في العلم، إننا أضاف أن نتدح فقرة في زمن ميكناتي في مراب في زاوية مهجلة من العالم.. تتجاوز الفكر وتتلوق عليها».

هل قررت إيرلندا التحول إلى اقتصاد المعرفة، وأعدت وعدها لذلك، فخلعت إلى عصر المعلومات من بوابة التعليم، واستطاعت خلال عشرين من الزمان لفظ أن تخصص في ميزاتها التجارية لعام ٢٠٠٠، ستين مليار دولار منافسة بذلك كبريات الدول، وكان احترام الملكية الفكرية بطبيعة الحال مساعداً في الضربة شعيبا، لا يسمح فرد منه لنفسه أن يعد يد إلى عمل فكري انتهكت حرمة، ولا يطبق أن تقع عينه على انتهاك لها، فإن وقعت ونشأ ما قطع، فسرعان ما يتطور بحالته إلى القانون.. فيستأنس الوعى الاجتماعي بالفرص لإنفاذ الحقوق مع القانون الذي يلف له بالرماد لينزل به أشد العقوبات.

٤- دعم الفرصة رسمياً  
تطرح المؤسسات الثقافية الرسمية (وزارات وجامعات ومراكز ثقافية) منافساتها مشروطة بتقديم السعر الأرخص، من دون أي تخلف لحق المؤلف، فهي بذلك تتسربلسلفاً لإخراج المؤلف والناسر الأصلي من خطاب المنافسة.. فالفرصة ودهم المستهدف فيها، لإنهم الإصرار على المنافسة وتقديم السعر الأرخص لتسابق عديدة، أولها: تخلصهم من عبء حق المؤلف الذي يسقط نسبة ١٠٪ على الأقل من السعر، وثانيها، تضرهم من تخالف إصدار الكتاب أو البرامج وتصميمها وإخراجها، مما يضيف لصالحهم نسبة أخرى لا تقل عن ١٠٪، ولثالثها: عيهم بالمواسفات المادية للكتاب تخفيف تكاليف إنتاجه من ورق وطباعة وتجليد.

هكذا أسهمت المؤسسات الثقافية الرسمية في الوطن العربي في تكوين شبكات الفرصة الثقافية وتمييزها وإزدهارها.

فقد أثارت هذه الفرصة للامنية التي اتاحتها المنافسات الرسمية شبهة الكثيرين من الفطيليين والداخل من لا يتون بصلة لصناعة الثقافة والفنر للدخول في الحيلة، وتضخم عددهم، وبعد أن كانوا معدودين على أصابع اليد يستقون بقرصنتهم خزايا في الآقية ومن وراء الكواليس أيام كان سوق الكتاب يقتصر على القارئ المحدود، أصبحوا يُعدون بالعشرات والمئات، مستغلين بعلتهم الشنية، أيام سوق المنافسات، يحضرون ممارساتها مختلفين مفاهيم: ببالفهم البليضاء وحقاتهم (السمونات) حتى بلغ بهم الاستغفال بالثقافة عدم اتشاح الصفات العلمية (فقتصر) بعضهم وهو لا يكاد يبين، وحق له ذلك فهو الخنافس الأولى خطا، والمؤكذ فوزة سلفا، وسطرب منه المخلول اسماء الوزراء ومسئوب الجامعات لتوقيع العقود، وتلقى التهانى بالخدمات العظيمة التي سيؤديها للثقافة الجدية.

ولم تتفع مع المؤسسات هذه، كل التحييرات التي وجهت إليها، لتجنب الإساءة البالغة التي قدتها للثقافة الأمة، بتشييعها على أكل الحقوق ووند الإبداع، مدعية أن مسألة الحقوق قضية قانونية مردها إلى القضاء، وأن أنظمتها تفسر على تحسرى

السعر الأرخص، ولعل علاقة لها بحق المؤلف، متجاهلة أن القانون الذي ترد إليه بعدها شربة في سرقة حق المؤلف، متواطئة مع المصوص في تسهيل ارتكابه الجريفة وتسهرهم عليها، رتبكاً أساسياً لثم وند الإبداع وضور ثقافة الأمة.. لا لقوانين تعاقب على حيازة المسروق والتصرف به، وتعد الحائل كلسارق سواء بسواء.

٥- إحياء الناشر الملتزم  
يجهت الناشر الملتزم في تحسرى ثغرات الثقافة ومستجدات العلوم، يبحث عنها، يستصحبها، ينشئ السلاسل والموسوعات والمشاريع، ينقب عن مخطوطات التراث الموزية في المكتبات العامة والخاصة، يردأ أفاق المعرفة الجديدة في العلم، يحد فريفة للثقافة والتحرير والتحقيق والترجمة، وأجهزته للتحقيق والتتبع والتصحيح والإخراج، يبذل ماله في الإنتاج، يفتح مخازنه

لاستقبال ما تنتج، ويكسا تلتهمه الفراق التهم إلى المعرفة ومستجداتها، كان لك جاءه النشر بنبا إصدار جديد له، يحتفى به مثل مولود جديد، يؤذ في أنه، يخق له العقيقة، يقدمه لوسائل الإعلام، يهسبه لنذى الاختصاص، يعلن عنه لقراءه، يحمل بان يطوره ويتلقى مئالبه في طبعة قادمة وشيكة عندما يؤنّه الخازن ينقاد بطبعته الأولى.



لكن الخازن لا يؤنّه بغير ضيق المخزن وعجزه عن استقباله وإله جديد، بعد أن تكسبت فيه الوليد. يستجذب بمال حارون، وخزائن يوسف، وصير أيوب، ويتمنى لو كان له عمر نوح وسفينته يحمل فيها بنات افكره إذا فار التور، إلا من سبق عليه القول منهن.

وفي غمرة احلامه وأوامها، ياتيه التغير مهنأ: لقد رست المناصصة على فلان متخسمة ستين عنواناً من إصداراته من كل عنوان ألف نسخة، سيعمها غير الفائر المحلى، غير مبال بأضاعها للكسبة في مخازنه.

وقيل أن يبتلع ريقه ياتيه نذير الطوم بخير مفاده أن المخطوطة التي جمعت أجزاءها من أنحاء المعمورة حتى اكتملت لك، واستقرت لتحفيقها ثلاثة عشر مئة، فضيت في إنتاجها ثلاث عشرة مئة، واتلفت عليها ثلاث عشر مئلاً، لتصرها في تسعة وعشرين مجلداً، قد إيرت بكل أماته، كما أصدرتها تماماً، في أربعين، وسوق في باكستان، ووزعت في المشرق، واتلفت منها في المغرب، وسقط قسم منها في بلدان المشرق الأوسط.



وتتلاحق النذر: أرايت إلى كتاب يعك محقق من وزن ثقيل على تحقيقه سبع مئتين نذا، ليصدر في ثلاثة مجلدات، ثم نتفاجأ

جميعاً بطبعة جديدة، تحمل اسم محقق لم يسمع أحد باسمه بعد، ويكشف التحقيق عن أن مفايراً أعلاه خمسة آلاف جنيه، ومها سبعة كتب، لا يريد منه سوى أن يمسك ببعض الحجاب، يحدث من خلاها فيما بين يديه من الكتب، يعرض الهوامش والمعال.. إنه مبلغ مفر لطلاب ثانوية سيظهر اسمه إضافة إلى المبلغ الذي تسلمه على سبعة كتب بوصفه المحقق الكبير، ولا يشعر بأي حرج إن هو احتفظ بكل بصمات المحقق الشهير على الكتاب، حتى يهولته وأخطله الطبعة.

ثم ما رايك أن حاولت أن توابك تقنيات العصر، وتمازس النشر الإلكتروني إلى جانب الورقي، ثم تجد السوق وقد أفرق بمبعض البرامج التي تمت بإعدادها وإنتاجها، بأسعار تكاد تتجاوز سعر القرص (CD) النام الإلقاء.. يضرب الناشر الجاد المخلو المشتب بيلم الحق والثقافة يذا بيد، له تصدق فيه القاعدة المالية الشهيرة (العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول)، فيجر الكتاب وصناعة أنشر هل يجازي ما فزعة إن عوت غوى وأن ترشد برشدا؟ هل يتسحب؟ هل يواى إلى جبل يعصمه من الماء بقر يدينه من الفتن؟

٦- إضفاء الوازع الأخلاقي  
ما أظن أحداً من يسوع نفسه شراه كذاب مقلد أو يربطهم منشوع، أو حتى مجرد استخداه، يجهل أنه يمارس أعداءه على حق، ويفترق إثمًا، ويرتبك نذير، ويستحجب حراماً، ويكاف سحبا، يستوجب منه مخالفة الله وخز الضمير. غير أن إضفاء المجتمع، وعجز القانون، وصمت أولى النوى، وتشجيع المؤسسات المعنية.. كل هذا يشكل ثقافة تساعد الفرد على إسكات ضميره كلما استيقظ فاستكر، وعلى انتحال الأعار الشرعية واستخدام الجيل القبيح، ولى تعالها للكتاب الحال، فالضروعة تبيع المخطوطات، والمخطوطات تباح عند عموم البلى، فما صابر القيم إذا كان لدى المجتمع لكل مخلوق فزوى؟ ولماذا تقشر أبدان الناس في البلدان المتحضرة، إذا راها مثل هذه لشاهد؟ هل للاتزام بالقيم وأداء الحقوق، والوفاء بالعهود، واجتذاب المخطوطات صلة بمستوى الحضرة؟

لاشك في ذلك، وقد كان لنا هنا الالتزام قبل الآخرين عندما كنا ننسجم صهوة الحضارة.

## كتاب الزاوية



### في خطأ العلماء

قال أبو الحسن: قال الشعبي: سابت أبا سَلْعَةَ بن عبد الرحمن بن عوف فكان يبيت وبين أبي الزناد، فقال: بينكما عالم أهل المدينة. فسألت امرأة عن مسألة فأخطأ فيها.

الفألوشكي قال: قلت لأعرابي: أي شيء تقرأ في صلاتك؟ قال: أم الكتاب، ونسبة الرب، وهجاء أبي لهب.

قال الهيثم: ومن الثوكي (الحمقي): عُبِدَ الله بن الحر وكنيته أبو الاشوس.

قال الهيثم: خطب قبيصة، وهو خليفة أبيه على خراسان وأتاه كتاباً، فقال: هذا كتاب الأمير، وهو الله أهل لأن أطيعه، وهو أبي وأكبر مني.

وكان فيما زعموا ابن لسعيد الجوهري يقول: صلى الله تبارك وتعالى على محمد ﷺ.

قال أبو الحسن: صعد عدى بن أرطاة على المنبر، فلما رأى جماعة الناس حَصَرَ فقال: الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم!

وصعد روح بن حاتم المنبر، فلما رآهم قد شَفَعُوا أبصارهم، وفتحوا أسماعهم نحوه، قال: تكسوا رءوسكم، وغطوا أبصاركم: فإن المنبر مركَّبٌ صعب، وإذا يسر الله فتح قل تيسر.

الرئيسي ووجيه جارودي وماركين، ثم يكتبون في صفحة المعلومات في الكتاب أن حقوق الطبع محفوظة لهم (أي إنها محفوظة لمن سبق للمطو عليها، شأن إحياء الموت).

وعندما يضطر الناشر العربي في عقود مع الناشر الأمريكي بأن يشترط عليه تزويده بالمخطوط قبل نشره لتتم ترجمته وإصداره في آن واحد: بالعربية هنا وبالإنجليزية هناك، تلغويتم الفرصة على الفرصاة - ما أمكن - أو لتحقيق سبق عليهم ربما يفتنهم من عزيمهم. ليس لدينا من الإبداع ما نخاف عليه، إذا خطر في بال أحد أن يعاملنا بالمثل؟!

وإذا كنا نعانى من فقر مدقع في الإبداع - ونحن كذلك بالفعل - فهل استطعنا بالتسول والفرصة الأفكار أن نتحول إلى مبدعين، أم أننا أزمانا بهما فقرًا على فقر؟!

٨ - الهبوط بمستوى الإنتاج حتى عندما يحاول الفرصان تقليد كتاب، فلن يستطيع أن يحاكيه بنسبة تلحق ٨٥٪ منه من الوجهة الفنية. أما على صعيد المواد المستخدمة في الإنتاج، فإن الغرض الربحي لديه وحرصه على تحقيق أرباح سريعة يمدأ بها جيوبه على حساب الجودة، سيدفعه إلى استخدام الأرداء والألاني والأقل جودة، لتحقيق ما يستطيع من وفر في تكاليف الإنتاج من حيث نوع الورق والتجليد والتغليف.

فإذا كان المنتج إلكترونياً على قرص مضغوط (CD) فستكون الطباعة الكبرى التي ستعود على المستخدم بأوخم العواقب: أقراص رديئة بأسعار متدنية تحلق بالناقلة، وتسبح مستجبل لا يعتمد أبداً من قواعد الصمغية من (الفيروسات) التي غالباً ما تأتي على جهاز المستخدم وتُخرب برمجته، فضلاً عن حرمانه من الحصول على الإصدارات لقائبة للجسنة التي يصدرها المنتج الأصلي والخدمات التي يقدمها للمتعملمين معه.

أرجو أن يكون ما قدمت من سلابيات لفائدة استباحة حقوق التأليف ما يلقي الضوء على مخاطرها، وضرورة التحرك لاحتوائها وإحلال ثقافة وإخلاص الاحترام لهذه الحقوق محلها، وهو ما يتطلب تصافى جهود تريبوية واجتماعية وإعلامية وقانونية كبيرة، تتنوع أساليبها وتستمر مدة طويلة، نظراً لأن التغيير الاجتماعي لا يتم بين عشية وضحاها. ■

٧ - عزة ثقة العالم بنا:

لم يعد العالم جزءاً منعزلة.. لم يعد بوسع أمة أو شعب أن يضرب حوله ستاراً حديدياً ويعيش متخفلاً على نفسه.. وإذا كان الاكتفاء الذاتي يمكن تصوره في السلع المادية - على الرغم من أن هذا التصور قد تجاوز الزمن - فإنه لا يمكن أن يتصور في مجال الفكر والثقافة والعلم.

إن لدى كل أمة ثقافة وفكرًا ومعارف، تتصاح إليها الأمم الأخرى لتشرى بها معارفها وتنش أفكارها.. لا تنمو الأفكار إلا بالتعدد والاختلاف أياً من آيات الله تعالى أمث بها على عباده «ومن آياته اختلاف المستكم والونكم» [الروم ٢٣/٣٠]، وجعلها وسيلة لتعارفهم وتكاملهم «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا» [الحجرات ١٣/٤] هكذا أرسى الوحي الإلهي قواعد التبادل الثقافي وحوار الحضارات بين الأمم والشعوب على أسس التعارف والتكامل والحوار، مثلما وضع للصراع والتدافع قواعد أخرى تقوم على مبادئ الحق والعدل والمساواة بين البشر للنضج الباطل والظلم والتمييز العنصري عندما تظل برؤوسها بعيداً عن إطار الحوار والتعاون.



لما الصورة التي سترتسم لنا في أذهان الأمم الأخرى؟!

عندما يقدم مؤلف غربي على التأليف في نصرة قضيتنا الكبرى للصليين وفرض أحاديث اليهود المتدين معرّضاً نفسه لمخرمهم ونقمتهم، قد يتعاضد مع ناشر عربي على ترجمته ونشره باللغة العربية، فلا يلبث أن يرى مؤسسة رسمية مرموقة في الوطن العربي قد ترجمته وطبعته على خمسين ألف نسخة من غير إن ولا مجرد إخبار، وزعتها في أرجاء الوطن العربي قبل أن تصدر الطبعة للشرعية المأذونة، فيما أصبح لنفسى أن أسعجه (أرضية الكبار)، يزدهون بقرصنتهم ويمنون على الناس أنهم يرتادون لهم آفاق المعرفة: يندمونهم لهم بطن بخس، ويكافئون الأجنبي الذي انتصر لقضيتهم بأكل حقوقه.. فيبحث الكفالة.

وعندما يتسابق (صغار الناشرين) على إصدار عشرين ترجمة لنعموم تشومسكي وتيرى ماسان (مؤلف الضجيحة الكبرى) وداوود كولو وسبوزيتو وكارين أرمسترونغ وفاطمة

# دراما التمثيل

## الوجه الأمريكي

الكثيرون لصدام حسين يختلف في أحد الاجتماعات مع أحد «فرافاق»، فيبشر إلى محاكمته.. في ذمته على الأمل.. ومن ثم إدانته. ثم تنفذ ما حكم به.. فينتزع إلى المسدس في خاضعته حاسماً وقاطعاً.. ولسان حاله يقول ربما ما معناه بالإنجليزية: It's Over. وهي العبارة نفسها.. ولا مقارنة.. التي قالها جورج دبليو بوش معلناً من صبره قد نكذ.. وأنه ليس بحاجة إلى مجلس الأمن (الحكم).. وأن جيشه ذاهب إلى هناك «ليحسم الأمر».. هل ترون فرقاً؟! الفارق الوحيد.. ربما.. هو ما بين الدول والأفراد من فارق.. وما بين طلبة من مسمم الخافضة.. وصاروخ ينطلق من حاملة للطائرات.. أو من أراضي أبناء العمومة.. لا فارق.



ماذا بعد..؟

لا أحد قطعاً وسط الهرج والمرج وبخان الجارود يستطيع أن يعرف.. ولكن يبقى لأهب البوكر القوي يحتفظ بمسدسه على الطائفة ويكبر من أوراق اللعب في كمامه. ويبقى في المشهد راسفجلد «لسان القوة الأمريكية الطاغية» حريصاً أن تتجه أنظار الجمهور.. ولو إلى حين.. إلى حيث تتجه سباته.. «على السوريين أن يتعلموا من درس العراق».. هل تذكرون صور الصرايات التي عرضها كولين بول على مجلس الأمن في تلك الأيام قبل صلت بعبيدة بما تلاق بعدها من أحداث.. والتي حاول بها دون جدوى إقناع المجتمعين باعتبارها لبلا على امتلاك العراقيين أسلحة صاروخ شامل.. هل قد خرج الاسترالي المشوك في ذمته وحيانيته ويشعاره بالتر رئيس لجنة الأنسكوم الساسية.. ليهب بحث له عن مكان في «الجولة» المدعوة للمعرض المفتوح.. معلناً أنه يؤيد الاتهامات الأمريكية لسوريا بامتلاك أسلحة صاروخ شامل.. ولبله على هذا الاتهام.. الذي قد يكون من شأنه أن يقذف بالثقافة في آتون حرب أخرى دميرة.. أو مرة أخرى.. نحب نص تصرّحاته «صو جوية أظهرها في أن تصبب عليها صمغاً» ٩٧ ٩٩ لصاويات مقلقة تنحدر من العراق إلى الحد والمسيرة!! في الة من دليل: «وعدنا لكل القانونيين لما لحق «بالثقافة» من ابتذل العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣م



ساحة الدروس، التاسع من نيسان ٢٠٠٣

ولكن بعد أيام فقط ما اسماء جورج دبليو بوش «فتتصل» الاسريكيين العظماء.. ولى اسلحة نفسها قتي شهدت عرض الهوليوودي لتخفيته وجه طاغية يعلم الاسريكي قبل ان تسقطه الداية «الامريكية» خرج عشرون ألف مظالمهم يرفعون لافتات تعددت.. ومهايات تنوعت.. ولكنها جميعاً تلخصت في رأي واحد: «لا لاستبداد الطاغية».. ولا لاحتلال لغزاة.. وبدا ان المشهد كله لخصه إحدى لافتات في كلمتين فقط: «بوش = صدام».



ويغض النظر عما يقصد العراقيون بتشبيه طابعهم ذاهب.. بذلك «فلامر» من تكسار.. ليوزع عليهم صمغاً حلوى.. وودعود.. المستقل.. فإن هناك في بلاظ كيف يتصرف الإمبراطور العالمي الجديد؟ «لبينا قوة كاسحة».. وهو علينا أن نجعل الجميع يدركون ذلك كما يقول راسفجلد.. صر الإمبراطورية الصريح.

استغلت الولايات المتحدة بالأمم المتحدة.. ورائها كيف تجد واشتغل حرجاً في أن تصبب نفسها خصماً تجسداً.. وجاتاً في الوقت ذاته.. وهو تحسب فج لنيكتاتورية في أنشج صواها.

هل تذكرون المشهد الذي تحاكي به

«جولة» اعتزله.. والذي يجب أن يكون اسراً.. أهدافاً كثيرة».



انتبهت اللعبة.. بمعنى أو بآخر.. ولكن تبقى النتائج النهائية غامضة وغير واضحة.. تطرها اكوام القربا قتي أهملت على قيود الآف العراقيين.. ويغيبها القبار المتصاعد من مسيرة الملايين «الكريلانية» قبل أيام.. ويريكها حتماً نقص «الخبرة الاستعمارية» استمر قرون الحادي والعشرين. انتبهت للعبة.. ذهب صدام ونظامه وسقطت بغداد.. ومعها سقطت فوايت كثيرة.. وطويت صفحات وطلزت أوراق ولكن هل انتصرت أمريكا؟

ربما كان الوقت مبكراً جداً لإجابة قاطعة.. نعرف أنها ترتبط.. بحكم التعريف.. بالألعاب على الورق من ناحية.. وبالأوضاع على الأرض من ناحية أخرى.

قد يتصل بهذا.. وقد يكون غريباً.. أو لا يكون.. ولكنه يبدو لافتاً وينبغي رصد على أية حال.. أن أول مظاهر القارة للحد الأمريكي «القسري» جاء من حجاج.. وعلى إلهات عراقيين عابدين.. يفترض أن جو حصار الاتي عشر عاماً أنكمهم.. وسجن طاغية الملايين عاماً أنكمهم.. وصاروخ الخافتهم.. قف قنبلة وقنبلة وصاروخ الخافتهم..

«انتبهت للعبة».. قلها بين دمومه الصادقة الدبلوماسي المهذب محمد الدوري.. فسفير العراقي في الأمم المتحدة (لاعرف إن كانت كلمة «السابق» هنا دقيقة من الناحية القانونية أم لا).

انتبهت لعبة (الشطرنج) الدولية.. ولقي دامت ستة أشهر تحت سقف مجلس الأمن.. وأصام الملايين من المشاهدين.. انتبهت بعد أن قرر لاعبي الرئيس ذو العضلات المقتولة أن ليس من الحكمة ألا يلعب بعضلاته تلك.. ولأن رقصة الشطرنج وثأت المربعات المتساوية ليست الميدان الأنسب لإدانته.. قرر ببساطة - وعلى الملا - أن يلعب الطاولة.

ولم يكن المشهد - رغم ما بدا فيه من هرج ومرج - غريباً مما تعويناها من أفلام القرب الأمريكي.. فهذا «القام» من تكسار.. نهض ليعتبر قبضته.. ويتنطق بمسدساته.. ويخرج ليلعب المبارزة بطريقته.

انتبهت لعبة الشطرنج إن.. لتبدأ - بعد أن تبخرت لافتة الجارود - لعبة «البوكر».. ولعلها الأنسب فعلاً لرحلة تنشر فيها المراهات.. ويوجد فيها لتصابون حتماً مكائهم إلى الطاولة.

«انتبهت للعبة».. قلها الدوري على باب منزله في نيويورك.. وذكر الكثيرون الصبارة عندما راوا فسخت بروكس المتحدث الرسمي للعبة الأمريكية يخرج من جعبته - أو أكمامه - لافرق - مجموعة من «أوراق اللعب» تصل - ولتس القانون الدولي - صور مسؤولين وعلماء عراقيين.. مطوئين.. وأحياء أو أموات.. لاعرف - ليجلي باصول اللعبة وفواعدها - ما هي المصادفة التي جعلت من عديمه مساوياً بالضغط لأوراق الكوتشيت؟!)

«انتبهت للعبة».. العبارة تنحدرها أيضاً أولئك الذين يقترضون أن صدام كان - بصورة أو بأخرى - عسيلاً لا يمكن أن «لعب في قريهم».. وإن لم يقصد.. وإن راسفجلد نفسه هو الذي اتفق معه يوماً على حرب إيران الإسلامية.. بعد عهد من الود مع إيران «الشاه».. وأن سيدة أمريكية أفهمته.. أو فهم منها - ما دفعه يوماً آخر لأن يحتاج الكوت.. مثلاً.. عاصفة في الصحراء» هزت قواعد اللغية كثيرة.. وخلفت كثيراً من القدي في العيون.

ويفترض أولئك أن الرجل كان - كلاعبين غيرة - قد شاخ.. كما في طموح.. ومن ثم تسديده.. بت متجاوزة حدود اللعب.. فقرر أن يذهب.. وأن تحزن





من مظاهرات بغداد

إسقاط الديكتاتور. فيتلون عواثا من دجلة امريكية «تصادف» ان بها رافعة هيدرولائية. وجندتا يحفظ في جيبي بطم. فيقول المهمة والترمز، بنجاح. مخبأ رجاء مراسل الجزيرة، الذي كان يصف المشهد، حين تعنى الا يغفل العراقي في «عقد» الحول عناق التمثال، حتى لا يضطر لاستعانة بمن يبدونهم يستصحبون «اهل الحل والعقد» في قادم الزمان.

كان عدد الصحافيين، وكاميرات التلفزيون اكثر من عدد الفيدياديين الذين قدموا إلى الساحة الواسعة. كما يلاحظ مصور وكالة «جما» لوران فان دير ستوك. والذي راقق فرقة من الماريز منذ بداية الحرب، ولغت انتباهه - كما ذكر النيويورك تايمز - ان احدا من الامريكيين لم يطلق النار، هذه المرة بالذات، على العراقيين القامعين نحوهم في ساحة الفريديوس. رغم انه قد ادى على ذلك - خشية الهجمات الاستشهادية - طوال ثلاثة اسابيع رافقه فيها، قبل ان يصل معهم إلى ساحة العرض ليسجل بعصته: «الصورة».



ها قد تغير لوجه...  
بيكتاتور «محل» خديم (علا وجهه)  
للعدي (الصدا) يحكم العواطف الطبيعية  
لحور زمن لم يحسن صدام حسين قراءة

وذلك يكون هذا صحيحا... وهو ذلك. ولكن يبقى الاصعب منه خطورة ان تضيق وسط الصباح والغبار ورمال الصحراء الذائعة، علامات الطريق. فنحرف - وخص اهل الرأي والفكر - والقيادة - إلى نهج استقلابي قد لا يختلف كثيرا عما فعله بن لادن او بوش. ونختزل القضية كلها في الاختيار بين الدكتاتور المستبد ذي الوجه الكالح المصدى، او للحصل الغاصب يحكمه ذي اللون الزاهية. وان تخشى عيون البعض ارباقا... وباسا، فيخبرون بلاد ما بين النهرين... ما بين الفارين.



لنتهت للعبية... ربما. بوجه من الوجود.

هكذا اراد مخرجو مشهد ساحة الفريديوس ان يقولوا وان يروا: As Seen on TV

لأحد مانشاتنا. وكان ان اختاروا لتمثال الفريديوس، دون مئات غيره من التماثيل، «الصورة» النهائية. ربما (لصداقة) يقع في ساحة الفدائ، حيث يقع كل الصحافيين والتلفزيونيين اللياحين - يحكم للينة - عن المشهد والصورة... وحيث كان طبعيا ان تتسمر الكاميرات لتسعين دقيقة كاملة على المشهد «الرمزي». حيث يفشل العراقيون بالوقوف «البدائية» عن

وعزرا للدبلوماسي الاول (دوليا) السيد كوفي عنان الذي لن يلفتح المظنونون بقوته بكل تأكيد لتصرحاته الهائلة، مهما ارجح في تأكيد. حسب نفس - إلى انه «مقتن بان اي اتهام بتهديم الصام والثر لدولين، يجب انقاضي معه بموجب ميثاق الامم المتحدة».

ولي حين سنقتصر تصريحات عنان، على الاغلبية، على الاحتفاظ بكانتها - طبقا للأصول الجيروفراطية الخرجية - ضمن حافظة مستندات رسمية على أحد ارفع المنظمة العربية، يبدو ان تصريحات - او بالاحرى اشتراطات - لرئيس لوزراء الاسرائيلي ارييل شارون فجأة هي قتي سذج طريقها إلى ارض الواقع، ليقم لتعامل معها في نهاية المطاف «سقطا او رفضا» لتشكل مفرداتها مانشاتنا لصحف في مستقبل نرجو الانراه.

شارون حدد لصحيفة يديعوت احرونوت قائلة خمسة مطلب سلمنا إلى واشنطن لتضطلع بها حال لتعامل مع سوريا.

وتشمل القائمة طبقا طرد حماس والجهاد الاسلامي من سوريا فضلا عن طرد الحرس السوري من سهل البقاع اللبناني. وكذا وقف التعاون السوري مع ايران. وطرد حزب الله من جنوب لبنان، وتطبيق منظومة الصواريخ التي نصبتها (إلى ارضه) على الحدود مع إسرائيل... ووفق كل ذلك وفك التحريض الذي يستهدف الكيان العبري.

ولا تعليق... فننتباهو قال ان بغداد سطلت... و«حان وقت طلق النصار».

هل اخفا جندي الماريز عندما وضع العلم «الامريكي» على وجه صدام؟! ربما... فلعلة كان من الاصدق ان يبحث إلى جيب سترته عن العلم ذي النطين الزرقاوين والجمجمة، صامسا ارباوا للمشهد ان يكون رمزيا ودأ الأعلى عنوان للرحلة.



رغم ذلك، ويهدى ان استقلابي بن لادن وبين قسقاطين، او بوش وبين محزون، يرى العقلاء ان ليس كل ما يأتي من امريكا... ففي حين تلعن دول الجوار المظاهرات السلمية، صرخ المظاهرات العراقيين «المقوعون لأكثر من ربع قرن، في وجه جنود الماريز للجيح بالاسلح، بعد ايام فقط من احتلالهم للدينة. ورفخوا لافتات تندد بالرئيس... بوش».

آثار، يختفي خلف علم من القماش زاهي اللون. كانه خرج لتوه من حليبة Laundry في فيلاسيتيكية - براه كليون رمزا لديكتاتور «عولي» جديد. لم يختلف أحد لعرب يوما حول صدام حسين. يحول ما أحدثه من تخريب في لعلالات العربية، رغم ما نجح فيه الامريكيون من دفع بعض الجماهير لحمل صوره في المظاهرات (خربا فيهم... لا في خبا).

كما انه، ورغم ذلول اعترى الكثيرين في عائلة العربي المبني بإعلام يتنصه الكثير من النضج، ويحلق سفلوا للاص في برائن «لتوقع بالتمنى»، إلا انه - وباستقرار الواقع الصريح - لم يكن لغة من مفاجأة. اللهم إلا في استمرار المقاومة عشرين يوما كاملة، فليقل انهك الجوع والحصار. وللعقيدة القديست بفعل الطغيان والظلم، بل ما لنا كان يمكن ان تكون نتيجة حرب بين صاموخ وسيف؟ «لم تكن حربيا... بل كانت مشهزة» كما قال أحد الجنرالات فروس.

كانت لفجئة ان محسومة، وكان مشهد ساحة الفريديوس متوقفا... او مرتبنا... وكانت «الصورة» في انتظار العدسات.

ورغم ان الكثيرين كان سببهم حتمًا سقوط ديكتاتور «الرمز»، إلا ان اللذين في المشهد وما خلفه، كان صعبا عليهم ولا شك ابتلاع غصة ما في تفصيلاته من «رمزية»، وإعلام، كما كان صعبا عليهم الايروان لغة ترميزها وإخراجها هناك.

كما انهم، محل لأعبي Puzzle يعرفون ان الصورة لا تكتمل إلا بجمع اجزائها البعثة. وكان لألنا انه حتى اللغة تبدو عصبية... وأنابهة... حين لا تجد في معالجتها أمة فارقا بين ما يقوله اصحاب الحكم من «إعمار» العراق. وبين «استعمار».



وحين يقول الجنرال الأمريكي المتقاعد «جاي جازنر» الذي عينوه لإدارة العراق، حين دخوله إلى مقره في «الموصل» انه «لن يحكم العراق»... يتذكر كراتو اقتراح يو سئل لورد فومر في ذلك اليوم ليجيد من قدرن لتاسع عشر: «هل ستحكم مصر»... قال: «لا... بل سحكم من يحكم مصر».

تتمتع وجهات نظر، بتحريف قرائنها بجديد، المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يساعوننا في ذلك. وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ٦٦

#### الطاقة ومعاني التنمية الشاملة

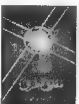
إسماعيل صبرى عبد الله  
المفاهيم العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣  
صفحة ٢٢



ثمة ارتباط يؤكد المؤلف منذ السطور الأولى بين الديمقراطية والتنمية، فلا الديمقراطية بلا تنمية. تصنف القديم المفسر والشامل للمجتمع، ولا تنمية مطردة دون حياة ديمقراطية، والمؤلف يجزم بأنه ليس في تاريخ مصر الطويل أي تجربة أو حتى نظرية فلسفية عن الديمقراطية، والعصر الليبرالي الذي عاشته مصر (١٩٣٠، ١٩٥٢) يراه عصر استخدام الملك وصاحب اليد الحديدية (محمد محمود باشا) والغاء الدستور ليحل محله دستور إسماعيل صدقي (١٩٣٠) وحل البرلمان الذي لم يتم دورته إلا بمرأى قاع حزب الأغلبية انتخاباته كما أن مفهوم التنمية ذاته تطور بدرجة كبيرة منذ الخمسينيات وحتى اليوم مما يستلزم متابعة النظريات التي ارتبطت بها والأفكار التي صاحبها، والكتاب يتحدث عن ضررات لمصطلحات الاستعمار والفنواهر الاقتصادية، مثل الاستثمار والإسماعيلية والتنمية والدعم وتجارة الدم وإزمة النفور والراسمالية التوكيدية والثروة الأذية وإيمان التسوق والركوب الراسمالي والطاقة والأمن الغذائي والثروة والتمسك الحقيقية، بأسلوب مختصر ودال في الوقت ذاته.

#### مشرق الشرق

حسين كاس ميهال الدين  
القاهرة - إعراف، ٢٠٠٣  
صفحة ٢٦



من قبل أصدر المؤلف - وهو وزير التعليم المصري - مؤلفاً عن الشخصيات التي تواجه التعليم في المستقبل وكيفية مواجهتها في هذا الكتاب، يتناول قضايا عامة عديدة، بينها التعليم بالمعنى، انطلاقاً من رغبته في تجاوز الأخطاء التي يسببها على جموع الناس في التعامل مع الواقع الدولي الذي لا تشك فيه الفلسفة،

وسأسته قوة علمي وحيدة منقطعة، جعلت دول العالم الثاني تتشمر بالاستصااق في مواجهة هذا الواقع القاتم، والمؤلف يبدأ من الشخصيات التي تواجه هذه المجتمعات، وأهلها وأهلها تحدى التقدم والتكنولوجيا الذي يتجاوز مجالات النشاط السلمي إلى الحروب، ويشير المؤلف بوجه خاص إلى ما يسميه مثلث الحرب: G.N.R. أو النزاع بين العقل البشري والعقول الإلكترونية، وهو يرى أن هذا المثلث يضمنا أمام أحضان أحلامنا من الأول أن يولى إلى هذه التكنولوجيا فأسفة الصفر والدفعة إدارة وضبط معظم الانتماء على الأرض وأن تكون هناك قوة من البشر مستقلة عن هذه الحركات، والأشكال الثاني أن يولى أمر البشرية بالكامل إلى هذه التكنولوجيا المزعجة ويقع الإنسان تحت رحمتها.

وعليه، فليس أمام الدول النامية سوى محاولة اللحاق بهذه التكنولوجيا الفائلة التي يزداد تطوراً يوماً بعد آخر. وفي القسم الثاني من الكتاب يشير المؤلف إلى سقوط الشرعية الدولية خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، مما قد يؤدي على التغيرات السلبية للعلامة التي زالت الحاجز الجغرافية والوطنية، وارتباطها بسيادة الاقتصاد الحر الذي تراجمت بشيوعه التوازع الأخلاقية لمصالح قيم لكسب والخسارة.

ويركز القسم الثالث على تواجيد وتنازع زلازل الحادي عشر من سبتمبر. وفي القسم الأخير وتحت عنوان العمل والأولويات يتناول قيم التقدم وكيف يمكن تهيئتها لندياً ودور الدولة في نقل التقنيات العالمية المعاصرة، وكيف يمكن بناء فوننا الذاتية وتنمية مواردنا، ويؤكد على أنه لم يعد لدينا سوى تعديل غليان الخصب إلى طاقة عمل، وأن تتحول المثلثية إلى مشاركة فعالة، فنحن في مستقر طرق، والغيابات محدودة.

#### العصر الذهبي للإستكبرية

جون مارلو  
ترجمة بسيم محلي  
القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣  
صفحة ٣٥٠



كانت الإستكبرية منذ انشائها إكسندر الكبير عام ٣٣ ق.م حتى غزاه

أوكتافيوس في ٣٠ ق.م ما عاصمه إمبراطورية عظيمة، كما كانت ركيز للثقافة والاجتماعي للعلم الهيكلتيكسي، ومركز الجاذبية العلم تاتيه البروتات من آسيا وأفريقيا وتجذب إليها في مصادر الثقافة والفكر من كل بلاد الإغريق، إذ كانت هي مصدر الطاقة للصركة التي تحول هذه القوة إلى حضارة وتقدم عبر للتوسط، وحتى بعد أن انتقل مركز الجاذبية غرباً إلى روما، فقد يلى للإستكبرية تقواها وسيادتها الفكرية والثقافية، وللت كما هي البوابة الرئيسية التي يمكن من خلالها أن تنتقل القوة للادية والأفكار الروحية وتراث الشرق إلى ما كان يسمى إنداك بالعالم الروماني للبحر المتوسط.

تتلل الإستكبرية طيلة ألف عام اعظم مدن العالم، فكانت أعظم للوانى، ومركز لتجارة العالمية، ومجتمع التسامح الذي لا يفرق إلى مستوى مجتمع آخر، واستحوذت مكتبتها على اعظم كنوز المعرفة الأكاديمية والبحث العلمي، وكانت مصدراً لإلهام الفنانين والأدباء في العالم كله.

#### الوطن العربي.. القوة والاستعدادات عبر التاريخ

مجموعة باحثين  
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢  
صفحات ٦١



يمثل الوطن العربي الذي نعيش على أرضه في الوقت الحاضر، حصيلة تاريخ طويل من التفاعل بين الإنسان العربي وبيئته الجغرافية التي عاش في كنفها منذ القدم، بحسب القرب أو البعد عن الوطن الأول الذي ظهر فيه العرب منذ آلاف السنين، وكان هذا الوطن بحسب ما ترحب الأبحاث العلمية هو شبه جزيرة العرب.

وهذا الكتاب الذي شارك فيه مجموعة من الباحثين المختصين، يضم ثلاثة عشر فصلاً حول مختلف الموضوعات التي تتعالج حول وفروع الفيزيائي والاقوام التي عاشت في هذه المنطقة وانتقل فيها، وهو حصيلة نوبة موسعة عقبتها بثرة الفترات العربية والإسلامي في الجمع العلمي العربي، وبين أبحاث الكتاب «الاقوام الجزيرية العربية في بلاد الإفرنج»، و«التضاريس العربية في بلاد العرب القديمة»، و«انتشار من الاقوام العربية القديمة» و«انتشار

العرب في مصر وشرق إفريقيا قبل الإسلام»، و«انتشار قبيلة عبد القيس قبل الإسلام إلى نهاية القرن الأول الهجري»، و«الهاليون في الغرب»، و«عالم هلال حبش»، و«العراق في القرنين الأوسط والأخسى»، و«بيوت العرب في الأندلس وبورها في المغرب».

وهو بذلك يلقى الضوء على الكثير من النشاط للهمة في التاريخ العربي والهوية العربية التي كثيراً ما تعرشت للعس والتشويه.

#### فهرس المخطوطات الأصلية

الكويت وزارة الأوقاف، قطاع الإنشاء والحدوث الشرعية، ٥٥٠ صفحة



يضم هذا الجزء مخطوطات القرآن وعلومه، ثم مخطوطات الحديث وعلومه، ثم مخطوطات العقائد، وتربيتها في كل موضوع بحسب حروف الهجاء متضمناً العناوين وبينان الأجزاء والمؤلف وسنة الخطوط وآخره وعيد الأوراق وعدد الأسطر وقياسها الورقة والإعدادات والمراجع ورقم المخطوط.

#### إشكالية الشرعية في الأنظمة السياسية العربية

خمس حزام وإلى  
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢  
صفحات ٢٠٦



ثمة إجماع بين الكتاب والباحثين العرب ويحضر الأجانب بين أن إشكالية المجتمعات العربية الحالية هي إشكالية شرعية، أي ضعف العلاقة بين المجتمع وسلطته ونظامه السياسي، مما يترتب عليه رجحان السلطة ونظامها على فونها في ممارسة العنف والقهر حفاظاً على وجودها وبقائها في الحكم. وهذا الكتاب يوجه اهتمامه إلى إشكالية الشرعية في الأنظمة السياسية

«تخليص الأبريز في تلخيص باريز»  
والذي كتبه عقب عودته من فرنسا.  
في باب «عورتها وثقافتها العام»  
قراءة لكتاب «أمريكا والإسلام» صراع  
الضحايا أم صراع المصالح» للباحث  
قواي جرجس، وكتاب جاريدي، «أمريكا  
مطلبة الانصاف» ونعم تشومسكي  
«ماذا يريد العم سام» وغيرها وكتاب  
أخرى يتضمنها باب «نحن والمستقبل».

أبرز قضايا السياسة الدولية المعاصرة  
من خلال المفاهيم والبنى  
هادي حضراري  
بيروت دار الكتب الحديثة، ٢٠٠٢  
١٧٥ صفحة



يتناول الكتاب السياسة الدولية  
المعاصرة من خلال أوجه الفكارب  
والفاعل السلمي والتصادم والإشكاليات  
التيويوية والمضامين الإنسانية،  
مستعرضاً المفاهيم الضالفة تداولاً  
في العلاقات الدولية، خصوصاً ما يتعلق  
بالعولمة وعصر العولمة والتجاذب الحذر  
ومتنوع المجتمع الدولي والهياكل  
الحكومية وغير حكومية والراي العام  
العالمي والأبن الجماعي والثقافوي  
والثقافي، وكذلك مفاهيم حقوق الإنسان  
وتقرير المصير والجرائم الدولية والتدخل  
لاغراض إنسانية وحقوق اللجوء، والسيادة  
والحدود، وغيرها من المفاهيم وذلك في  
سبعة فصول.

#### ليالي الحصار

بني دار الصدى، ١٣٣٠٢٠٠٢ صفحة



يضم الكتاب قصائد لحنسة من  
شعرها العراق الذين ابتعوا تحت  
الحصار المفروض عليهم منذ أكثر من  
اثنى عشر عاماً، ومن ثم فإن هذه  
الإبداعات ابن شرعي لها الحزب  
والحصار ابتدعها ذو ٤ شاعر من أبناء  
وحدة نازك الملائكة والسايك والبياني  
والجواهري والتفخي والرسالي.

يقول الشاعر حمد محمود الدويحي  
في قصيدته «إنباس»:  
«إنباس - حزارا أنوار / وأغنياتي /  
وما يتبع من الإنباس / في رثي / من  
لوحه خرجت / لنت فظلمها / سواها»

لغة ثنائية أيام حتى ولاية الرئيس  
مبارك، وتذكرني من سجون النساء مع  
صافيان كاطم ولطيفة الزيات وعواطف  
عبد الرحمن وأمنية رشيد وفريدة  
الفاش، وحوار مع السيدة جيهان  
السادات والمصور حسن دياب المصور  
الخاص للرئيس السادات، وآخرون ممن  
اسموها بالشاركة أو بالرفيقة في أحداث  
سياسية مهمه.

#### الحصاد - عاين على الخلع

أحمد الصاوي  
القاهرة مركز قضايا المرأة المصرية،  
١٠٢٠٠٢٠٢ صفحات



اعتبر كل يوم من مناصري قضايا  
المرأة أن صمود قانون الخلع إنجاز في  
مسيرة تحرير المرأة المصرية وليلها  
لحقولها، وهذا الكتاب يرصد حصاد  
التجربة منذ صدور القانون قبل عامين،  
ويقدم إحصائيات وقراءات تحليلية عن  
قضايا الخلع وقضايا التطبيق لأسباب  
مختلفة، ويعد النساء اللاتي رufen قضايا  
خلع في القاهرة ومحاكمات مصر  
المختلفة، والتكليف التي تعامل بها للقضاء  
مع هذه القضايا، وكيف تناولات الصلح  
قضايا الخلع رفضاً وقبولاً.

#### مصر في فكر العالم

مسطى نبيل  
القاهرة دار الهلال، ٢٠٠٢ ٣٢ صفحة



هذا كتاب عن كتب يضم أيقولاً  
أربعة: الأول من يحمل عنوان «مصر  
والمصريون»، ويتناول كتباً تدور حول  
مصر في الماضي والحاضر، ليس فقط  
من حيث العادات وحياتة الناس وإنما  
أيضاً في الحضارة والفن، ومن هذه  
الكتب كتاب «مصر والمصريون»  
للمستشرق غوستاف لوكس فاسيليفيا،  
وكتاب الرحالة الألماني كريستيان نيمور  
«رحلة إلى الشرق»، وكتاب مسعود  
فشار «الهجرة البدائية إلى مصر»  
وغیرها.

وتتعلق في الباب الذي يحمل عنوان  
«قضايا الشرق» دراسة صابرة عن  
جامعة واشنطن عنوانها «القوة والقلق  
في الشرق» وكتاب «قاعة الطهوای

في جرائم الشرق» بتجميع الأحكام  
القضائية التي صدرت خلال الفترة من  
١٩٨٨ وحتى ٢٠٠١ في محافظات مصر  
عنها، كما يرصد كيفية التعامل مع  
التهمةين ودور المؤثرات الثقافية  
والاجتماعية في هذا الأمر، ويضم  
حملة جلسات مناقشات في الموضوع  
ذلك شارك فيها خبراء ومختصون.  
ومن الجداول الإحصائية التي  
يتضمنها تصنيف تيرين أن السبب  
الأساسي لارتكاب جرائم الشرق هو  
الشك في السلوك حيث تبلغ النسبة  
٧٩٪، وأن نسبة قتل الزوجة للشك في  
سلوكها تبلغ ٤٦٪، والابتة ٣٤٪، والأخت  
١٨٪، وأن قتل الضحية عمداً تبلغ نسبته  
٩٠٪، أما الشروع في قتلها والذي قد لا  
يتم لسبب أو لآخر فهو ١٠٪.

#### شجرة الجوز

محمد ساموي  
القاهرة دار الشرق، ٢٠٠٢ ٥٨ صفحة



مجموعة القصصية جديدة مؤلفة  
صاحب الإسهامات المسرحية البارزة  
«القاتل خارج السجون»، «طوت علينا  
بكره»، «والتي بعينه»، «مسالمومي»،  
«أثني في البلاعة»، وهذه المجموعة عن  
أشجار الجوز وصوت المؤذن وعود  
الفلح وفار الحقل، ومردات أخرى كثيرة  
تغيرت معانيها في حياتنا.

#### من أيام عبد الناصر والسادات

سهام نهدي  
القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
٢٠٠٢ ٢١٨ صفحة



يضم الكتاب مجموعة من الحوارات  
الجرثا مؤلفة من عدد من الشخصيات  
التي تكشف عن كثير من الأحداث المهمة  
والتي كانت قريبة منها بدرجة تمكنها من  
إضافة غوامضها، منها حوار مع الدكتور  
الصاوي حبيب الطيب، الخاص الرئيس  
عبد الناصر والشاهد الوحيد على لحظة  
وفاته، وحديث مع الدكتور ميلاد حنا عن  
تذكراته داخل السجن الذي قضى فيه  
فترة اعتقاله في أحداث سبتمبر ١٩٨٠،  
ولقاء مع الدكتور صوفي أبو طالب رئيس  
محاسب الشعب لحظة اغتيال السادات  
والذي كان رئيساً لمصر بحكم الدستور

العربية، وكيفية مواجهتها مع التركيز  
على الجرائز كنموذج، وهو يضم فصولاً  
أربعة: الأولى في الشرعية، والثاني عن  
مصادر شرعية الأنظمة العربية، والثالث  
عن إشكالية الصراع والشرعية في  
الجزائر، والرابع عن مستقبل الشرعية  
في الأنظمة السياسية العربية.

#### المنهج الراديكالي في إدارة المشروعات

جون سي. ريدنج  
تعريب أيمن الأرمني  
الرياض مكتبة المسبكان، ٢٠٠٢  
٢٧٥ صفحة



صارت للمشروعات والمعاملات التي  
تواجهها فرق العمل في إدارة المشروعات  
أكثر تعقيداً مما كانت عليه، بالإضافة إلى  
الاضطرار للتقديرات على أي فريق عمل  
مكلف بتبليغ مشروعات معينة للخروج  
بإحلال حقيقي، ويبيد السؤال المطروح  
هو: كيف نستطيع فرق العمل أن تنهض  
بمستوياتها في المناخ التجاري الحالي  
الذي يتطلب التحرك فواكبة التطورات  
للشعارة.

والمؤلف يرى أن فرق العمل اليوم  
أصبحت بحاجة إلى إعادة التفكير في  
الأسلوب الذي تنهضه لتحقيق أهدافها،  
ويلتزم منهاجاً جديداً للعمل هو الأسلوب  
الريادي، القائم على التفكير الإبداعي  
وتشجيع المجازفة وتنمية الخبرة  
والشعارة التي يحتاجها فريق العمل  
لتحقيق النتائج المرجوة، وهو يقدم  
مجموعة من التمارين والنماذج  
التطبيقية للرغمين في الاستفادة من هذا  
المنهج.

#### جرائم الشرق

مجموعة باحثين  
القاهرة مركز قضايا المرأة المصرية،  
٢٠٠٢ ٩٦ صفحة



يدعو الشرق، ترمق فراح عشرات  
النساء، ليس فقط لأنهن تجرن وتجاوزن  
وهكن استعار ما تعارف المجتمع على  
حمايته، وإنما في كثير من الأحيان -  
لأنهن ارتكبن ما يظن الرجال أنه يمس  
الشرق.

هذا الكتاب يمثل إحدى محاولات  
رصد وتحليل مظاهر العنف ضد النساء



بالمناسبة للشركات التي ترغب في  
الحفاظ على ربحاتها.  
هذا الدليل يبين كيفية القيام بعملية  
التحقيق على نحو دقيق والطرق الخاصة  
بإجراء عمليات التفتيش، إنها  
استراتيجية عملية لإجراء التحقيقات  
وصولاً لفضل النتائج.

■

## السيطرة على الإعلام

عدم تشومسكي  
تعريب أمة عبد الحفيظ  
القاهرة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢،  
١٠ صفحة



تسعة مقالات لمؤلف الذي عرف  
بمواقفه السياسية المتطرفة للاستعمار  
بأشكاله المختلفة والمؤيدة للديمقراطية  
والسلام العالميين، إضافة إلى كتاباته  
في تخصصه الأصلي كاستاذ لللغويات،  
ولي في كتابه يكشف عن الدور البالغ  
التأثير للإعلام في طمس الحقائق  
والعمليات الدعائية التي تتجاوز الأثر  
العقل للواقع على الأرض.  
وعناوين دراساته هي: الإنجازات

الهائلة للبرويجندا، ديمقراطية لشاهد،  
العلاقات العامة، إدارة الرأي العام، ثقافة  
الانشقاق، استعراض الأعداء، انشقاق  
النصور، حرب الخليج، الصحفي القادم  
من المربع.

■

## الحرب الكونية الثالثة

السيد ياسين  
القاهرة دار ميريت، ٢٠٠٢، ١٠٠ صفحات



لغة إجماع بين اليساريين في  
العلاقات الدولية والمراقبين للتحولات  
العالمية الأخيرة، على أن أحداث العام  
عشر من سبتمبر ٢٠٠١ تمثل طليعة  
تاريخية في مسار النظام العالمي لراهن،  
وأن عام ١١ سبتمبر ليس هو  
العالم أيتها، وقد أثبتت التوقعات التي  
أعلنت هذا الحدث الجلل، صفة ما ذهب  
إليه المراقبون.  
المؤلف، وهو معسوف يعيشونه  
السياسية والاجتماعية للعامة، يرصد  
تلك التحولات ويحلل ظواهرها، بادئاً  
بمقدمة عن حركة النظام الدولي من  
الوضي الطليعة إلى الهيمنة للفتنة، ثم

خمس الأقسام يتناول فيها الحدث ذاته  
(الهادي عشر من سبتمبر)، ويشرح  
قاهرة الصراع بين الإسلام والغرب،  
ويحلل كذلك خطاب المعلقين بين تبرير  
الصبر ومعارضتها، ويؤمل لحوار  
تدلى حول مشروع خطاب مصر في وجه  
المعلقين الأمريكيين، ويشير إلى اسم  
يختص بأحداث سبتمبر وإرغامات  
إمبراطورية أمريكية.

والساسة الأساسية هذا أن التحولات  
والتغيرات الكبرى في تاريخ الإنسانية لا  
تحدث فجأة، بل تسبقها مقدمات وخبرات  
متراكمة طويلة تقود إلى النهاية إلى  
الذروة، غير أن شدة حدثاً ياراً - أو أحياناً  
تتجلى ربما بعدا التحول، وغذا بالضبط  
ما جرى، فقد كانت عملية تلك كبرى  
تجري في أعقاب انهيار النظام الاشتراكية  
وتداعي الاتحاد السوفيتي وسقوط نظام  
الطليعية الفخفية الذي حكم العالم في  
أعقاب الحرب العالمية الثانية، عملية  
التفتت تلك بدأت عام ١٩٨٩، ودخل  
العالم فيما يسميه اليوم حالة من  
الفوضى الطليعية، وشيخاً فاشياً،  
ويتداعيات الأحداث ويختلط  
صانعها، بدأت الحرب الهيمنة للفتنة،  
بالتفرد الولايات المتحدة بزعامة العالم،  
وموجرت أحداث سبتمبر حيلة كرامية  
مسيوة على نفس المؤمنين والعرب، وبدان  
الفرصة مهية لتسفين الهيمنة، وتأكيد  
التحول الجديد وإبراز الوجه المسمحت  
لأمريكا التي انتقلت من دور العالم  
العظمى الوحيدة إلى دور الإمبراطورية  
الكونية، وهكذا برز شمس المرحلة  
الجديدة من ليس صمتاً فجاً شتاً،

وتحولت رغبات أمريكا وقراراتها إلى  
أوامر جاهزة للتطبيق فوراً، ودوما حاجة  
إلى إجماع دولي أو موقف إيجابي مدعوم  
بقرارات من مجلس الأمن والأمم المتحدة،  
وظاهر هذا التحول بأية للحيان في  
حربها ضد العراق برغم كل الاعتراضات  
من دول كبرى وصديقة في إطار هذه  
الفترة الأساسية تدور أبحاث الكتاب  
ومفاته.

■

## من دفتر أحوال الاقتصاد المصري

محمود عبد الحفيظ  
القاهرة دار الهلال ٢٠٠٢، ٢١٠ صفحات



قليلة هي الكتب التي تبيّن  
المعطيات الاقتصادية في بلدنا العربي  
العادي ويتناولها مع كونها ذات تأثير  
مباشر على حياة اليومية.  
ويقلون هم المختصون القادرون  
على تحويل الأرقام وجداول الأوزانات  
إلى صيغيات أدبية راقية تحقق للمتعة  
والفائدة معاً، بين هؤلاء الاقتصادي  
الراحل رمزي زكي والدكتور حلال أمين  
ومؤلف هذا الكتاب

## أجندة لويس شيها - أحيانا - ما يفيد!

أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر في  
محاولة للهم، لا يتعرض لأحداث، لغة  
لربيب الصلة بما كونه يفترض في النطق  
ويحلل الأفكار التي تلف وراها  
واستناداً إلى إحاطة شاملة بكتابات  
لويس ويتضمنها اليهودية العنصرية  
ومواقفه العملية لآراء العرب والمسلمين،  
يرفض الدكتور روف عباس - وهو  
أساذ تاريخ مرموق - كثير من أفكار  
لويس ويهددها علمياً، وبينما أنه  
يتعامل مع الإسلام والجنسية الإسلامية  
الإسلامية كتكتة واحدة، فلا يرى فيها  
سوى تركيا والدولة العثمانية، غاضباً  
بالصبر عن تناقضات وإفراقات مهمة في  
الجماعات الإسلامية على التصام ولحقها  
الجغرافية، ومنها اعتبار الإسلام ديناً  
يرفض الآخرين ويحاديهم ولا يقبلهم إلا  
عبيداً لا يستحقون المواطنة، وإلجاءه إلى  
لويس الإسلام والمسلمين معكوساً  
بمركزية أوربية وصهيونية مفقطة  
تحكم رؤاه وتحكم في تركه.  
غير أن ما يلفت في هذا الكتاب، أن  
أكثر لتقادات الدكتور عباس في غير  
موضوعها، وأن أن محررته وكتابات  
لؤلؤ السابقة فقط على قرائته للكتاب  
مسألة عن سواها، فاستأنف بما ليس  
فيه.

مثلاً يرى الدكتور عباس أن لويس  
أخذ الإسلام في الإمبراطورية  
العثمانية في يده للغرب بوصفه خطراً  
يهدد وجوده، وأن الخطأ هو في الإسلام  
ذاته الذي يرفض الآخرين ومعتقدهم، فيما  
يرفض لويس بعد اللؤلؤ ويؤكد على أن  
أصحاب المعتقدات الأخرى عوملوا في  
ديار المسلمين بأفضل مما عوملت به  
الأقليات الأخرى في الغرب.  
وفيما يؤكد الدكتور عباس أن لويس  
يصف الإسلام كعقيدة ويمده سبياً في  
تخلف للمسلمين، نجد لويس يقو بأن ذلك  
لو كان صحيحاً ما كان للمسلمين أن  
لماضي إنجازات في حقول اللجالات  
والقائموا بفرامهم التي أفاضت فلام  
الصور الوسطى في أوروبا، وبدلاً من  
السؤال: ماذا فعل الإسلام بالمسلمين؟  
ينظر لويس السؤال بطريقة مغايرة.  
ماذا فعل المسلمون بالإسلام؟  
ويشكل عام، لسان الإنجزة، التي  
يقدمها برنارد لويس فيها الكثير مما  
يرده علقلاً، فالرجل ينجير إلى جنابة  
غياي الحرة، ويمده سبياً لكثير من  
معتقدات اليهودية والإسلامية والاقتصادية  
والاجتماعية، وهل شأن من يجادل في أن  
غياي الحرة سبب ما أتت إليه أحوالنا؟  
والرجل يدعونا أن نتوقف عن إلغاء

تبعات تخلفاً على الغير، سواء كان  
هذا الغير استعماراً غريباً أو صهيونياً  
أو أمريكياً، ولفتني معه، فما جرى قد  
جرى وإن يفيد كثيراً للبحث عن  
الجاني، بقدر ما يسجدي اكتشاف  
طرائق لتصحيح الخطأ، وهو يحذرنا  
من الاستمرار في هذا الطريق الذي  
تجرنا إليه الحكومات للمستبد، كونه  
يفض الظفر عن طغيانها وانعدام  
فعاليتها ويحلل النظر إلى الآخرين.  
يتضمن هذا لويس نصاً: إذا  
استطاعت هذه الشعوب أن تطرح  
إحساسها بالظلم وبإثبات ضحية، وأن  
تضوي خلافاتها، وتعمل على تكاتف  
مقاتلاتها ومواجهها ومواردتها لتتحقق  
أهداف إبداعية مشتركة، سوف تميد  
الشرق الأوسط إلى ما كان عليه، مركزاً  
رئيسياً للحضارة.  
هذا بعض ما يرد في «روشته»  
برنارد لويس، وفيه مكاتفة حارحة  
لكتفه صحيحة ولا يجوز ردما.  
يقول العزيز الحكيم: «لا  
يجرمكم شأن قوم إلا أن تعدلوا  
أعداءه أو أقرى القوي».  
وجاه في الآخر، «الحكمة ضالة  
لؤلؤ ينشدها أنى جدها»  
عماد الغزالي

## أين الخطأ؟

برنارد لويس  
ترجمة محمد خاتمي  
تقديم روف عباس  
القاهرة دار سطور، ٢٠٠٢، ٢٦٨ صفحة



منذ صدور ملة هذا الكتاب الدنيا  
وشغل الناس، فمؤلفه واحد من كبار  
المستشرقين الذين يصقلون في الغرب  
بوصفهم «خبراء» في شؤون الإسلام  
والمسلمين وهو واحد من معتد  
بتصوراتهم وأفكارهم عن الإسلام لدى  
صناع القرار ومخططي الاستراتيجية  
الخربية، حتى أنه «استدعى» كما  
يقول الدكتور روف عباس في تقديمه  
إلى واشنطن ٦ مرات منذ سنوات  
البرجيز للالاسات سريعة مع كبار  
المسؤولين بالبيت الأبيض  
والبيتكون



# Music is the Weapon of the Future: Fifty Years of African Popular Music

(لوسيفي في سلاح المستقبل)  
Frank Tenaile  
Translate: Hope Sandrine  
Chicago Review Press, 2002.  
320PP, \$18.95

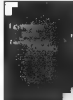


في هذا الكتاب يقدم الصحفي الفرنسي فرائك تينايلي للتحقق في الموسيقى العرقية ثلاثين نجماً من نجوم الموسيقى الشعبية الأفريقية، من غرب إفريقيا ووسطها إلى شرقها وجنوبها. ويقتل فرائك تينايلي كل نجم باستعرض حياته المهنية والشخصية، والخلفية السياسية والاجتماعية التي ظهرت فيها موسيقاه. بل ويبين الكتاب كيف أن الموسيقى في كثير من الأحيان كانت عملاً من أعمال التمرد السياسي والتفكير الاجتماعي، وجزءاً من الحركات السياسية المعارضة للاستعمار أو العنصرية أو الحكم الديكتاتوري.

يضم الكتاب النجوم الذين ظهروا في الخمسين عاماً الماضية، ومنهم من أصبح

# Egyptology at the Dawn of the twenty - first Century

(علم المصريات في فجر القرن العشرين)  
Edited by Zahi Hawass (3 vols)  
Auc press, LE. 150 (Each Volume)



يتكون هذا الكتاب من ٣ أجزاء وهو يضم الأبحاث والأوراق القيمة للمؤتمر الدولي الثامن لعلماء المصريات الذي انعقد في القاهرة عام ٢٠٠٠ ويحتوي الكتاب الذي حرره الدكتور زاهي حواس أمين المجلس الأعلى للأثار في مصر على مجموعة متنوعة لإبحاث علم المصريات تتناول شتى نواحي علم المصريات التي أصبح يدرس يتم تدريسيها في كل جامعات العالم تقريباً ويحتوي الكتاب على مراجع عديدة ومتنوعة ويضم بين دفتيه سموراً وخرائط معظمها نشره للمرة الأولى. وتل جزء من أجزاء هذا الكتاب يباع بشكل منفصل.

له شهرة عالمية مثل يوسو دونور من السنغال، وإيلانو من نيجيريا. ويعد الأخير من أبرز المؤثرين في الأجيال النيجيرية الشابة، وتعتبر موسيقاه موسيقى إلى حد كبير، وهو صاحب مقولة أن «الموسيقى في سلاح المستقبل» قبل أن يموت عام ١٩٩٧ بسبب الإيدز.

اكتساب لاهتم فطرياً بالثقافة السياسية والاجتماعي للموسيقى الإفريقية الجديدة وإنما يحل شكل الموسيقى نفسها وتنوعها ومزجها بين القديم والحديث في ألوان تفرز العالم كله مثل الجاز والفانك والموو والراب.

# Not Quite one of us.. The Past and Future of Michael Portillo

(ليس واحداً منا تماماً - ماضي ومستقبل مايكل بورتيلو)  
Timothy O'sullivan  
Quartet, 2003, £20.00

يحل هذا الكتاب هو مايكل بورتيلو أحد زعماء حزب المحافظين البريطاني المعارض وزير الدفاع الأسبق وهو شخص مقهر لجند بشكل كبير ومضطهد اعتماد غير عادى من جانب وسائل الإعلام البريطانية منذ بداية الشعبية في القرن الماضي، لقد كانت كل التوقعات

تنبئ بأنه سيكون زعيماً للمحافظين ورئيساً لوزراء بريطانيا. لكن تسرعته الشديد وتغلبه الواضح وتفرقه في موقفه من أوروبا القدر مقعد البرلماني في انتخابات أول مايو ١٩٩٧ التي أخرجت المحافظين عن الحكم وأدت بالعمل للمرة الأولى منذ ١٨ عاماً وكان على بورتيلو. وهو من أصل إسباني هاجر لوه إلى بريطانيا خلال الحرب الأهلية الإسبانية. أن يتظاهر عدة سنوات ليخول له مقعد برلماني ويعود لمجلس العموم عن دائرة تشيلسي في لندن، لكن بورتيلو الذي كان نجم التيار المحافظ في حزب المحافظين تخلى عن بعض أفكاره بعد منغله في انتخابات ١٩٩٧، ولذلك ابتعد عدة كثير. ولذلك لم يتمكن من الفوز بزعامة الحزب بعد استقالة وليام هيج من زعامة الحزب عقب الهزيمة في الانتخابات البرلمانية البريطانية الأخيرة ولما فاز بإعادة نائب برلماني متشدد هو إيان دنكان سميث لكن صفع أداء سميث جعل بورتيلو يشن هجوماً حاداً عليه في محاولة لزعزعة موقفه. ويتحدث الكتاب عن فرص بورتيلو في زعامة المحافظين ويثير إلى أن هناك من يعتقد أن الفرصة لزاماً ساحة بينما يؤكد كثيرون أن بورتيلو لن يكون زعيماً للمحافظين ولن يصبح رئيساً لوزراء بريطانيا على الإطلاق لقد مضى منه منذ سنوات

# هل خرجت الجزائر من بحيرة التطرف؟

الجهنمي بعراق البلاد في دواية عدم الاستقرار، ويطلق القضاء على مستعمل سياسي.

إن دراسة الأزمات المثلثة والثلثين من الاستعمار الفرنسي للجزائر مهمة للجزائر لتفسير الأوضاع الحالية، فقد أصبحت حالات تلك الفترات الطويلة أحداث حسان بلغت الذروة ويقتل أكثر من مليون جزائري خلال حرب الاستقلال، ويتم المؤلف في الوقت نفسه النظام الذي حكم البلاد بعد ذلك بإزاحة القانون جانباً وفرض حكم شعولي.

مؤلف الكتاب يبدو متفانياً إلى حد ما بأن الجزائر بدأت تجد مفرحاً، فعلى الأقل هناك مقاومة فطرية ظهرت بعد انتخابات مايو ٢٠٠٢، وهناك بعض الاعتدال في المواقف إن الجزائر ما زالت في حاجة إلى إعادة تأسيس نفسها دون تدخل خارجي.

# لورانس جوفى

عن الإصدار الدراسي  
مارس ٢٠٠٣

لكن ذلك لا يعني تيرة الجزائريين أنفسهم، فالمؤلف يائي باليوم عليهم أنهم انقسموا شعباً وطوائف من الانفصاليين البربر والمعتدلين غير المستعدين لحلول وسط والإسلاميين الذين يعتقدون أن الحق معهم إلى العروبيين القوميين. إلا أن من ذلك هو أوليجارية التكنولوجيا - العسكر التي حكمت البلاد.

إن هناك نقاشاً كبيراً حول الإغواء المفاجيء من جانب الجيش للنسر الذي حلقته الجبهة الإسلامية للإفلات في انتخابات عام ١٩٩١. فقد ربح معسكر بما اعتبره إقبالاً للبلاد من الأصوليين المتطرفين والجهنمي الآخر انته الجيش بإلغاء إرادة الناهجين.

الواقع، كما يقول روبرت، يقع في وسط هذه الإرباب، إن جبهة الإنقاذ ترى نفسها وارثاً طبيعياً لجبهة التحرير الوطنية، وليس عدواً لها، كما أنها، أي جبهة الإنقاذ، أجدها ما تكون عن الحكم الطيفرأسي الديني فهي تدعم التحرير الاقتصادي، لكن الرئيس الشاذلي بن جديد رئيس البلاد في ذلك الوقت تهم

عانت البلاد من واحد من أكثر الصراعات وحشية في العالم، ونتيجة حركة طاحنة بين الجيش والمتطرفين غرقت الجزائر في بحيرة اعتكاف بعماء ١٢٠ ألف شخص معظمهم من الأبرياء بالإضافة إلى حوادث اقتصاب وتجنيد أطفال وغيرها.

ويأتي نشر هذا الكتاب «ميدان قتال» الجزائر ١٩٨٨-٢٠٠٢ في توقيت مناسب، فالمؤلف هيو روبرتس فخور في الشئون الجزائرية يرى أن تحليل العرب التمسيلي للمماتية في مواجهة الأصولية هو المسؤول عن تغذية الأزمة الجزائرية والإطفاء في حله.

إن السيسامين الفرنسيين فرووا رؤيتهم الخيالية للمماتية على الجزائر خلال فترة استعمارهم، وأعتبر اليساريون الأوروبيون نضال الجزائر ضد الاستبداد الطوري الفرنسي بطلاً، لكنهم سرعان ما بقوا الانتماء بهذا البلد، كما أن علماء الأنثروبولوجيا أساموا قراة تركيبة الجزائر المعقدة. ومن جانبهم اعتاد الحثمين الاقتصاديون أن اعتكاف الجزائر للامال يمكن أن يحل كل شيء.

# The Battlefield.. Algeria 1988-2002

(ميدان القتال.. الجزائر ١٩٨٨، ٢٠٠٢)  
Hugh Roberts  
Verso, 2003, £ 17.00



احتل الجزائريون خلال الأسابيع القليلة الماضية واجهة الأحداث في الغرب، لكن لاسلك لأسباب خاطئة، فقد عثرت الشرطة البريطانية على كتيبات من غاز قاتل مع جزائريين مسلمين في لندن، ثم طعن جزائري ضابط بوليس بريطانيا طعنة قاتلة في مانتسستر، وهناك الصائدان انعكاس للوضع الذي عاشته الجزائر خلال الأزمات واجهت عرش المماتية، فقد

الحلقة. وهو يوجه تصانص لصناع السياسة الخارجية الأمريكية في كيفية التعامل مع هذه البلدان على المدى الطويل للوقوف في الحرب الباردة ضد الزملاء. هذه البلدان هي أفغانستان والسعودية وإيران وباكستان والجمهوريات الخمس الوسطى إلى جانب بحر قزوين والقوقاز. يرتز الكتاب أيضاً على روسيا وعلى مستقبل المنطقة الذي ستكونه خطوط اتصلي البترول وقضايا حقوق الإنسان:

**The Code of the Warrior: Exploring Warrior Values Past and Present**  
(مستور الحارب كاشف في قيم الحاربين في الماضي والحاضر)  
Shannon E. French  
Rowman & Littlefield, 2003,  
304PP, \$24.95



يستعرض هذه الكتاب الأخلاق التي حكمت الحاربين عبر التاريخ. المألفة تعتقد أن الحارب في حاجة إلى إلهة أخلاق لكي يحافظ على إنسانيته ويكون أكثر كفاءة في القتال وينفذ وحيه في تضامنه. وهي تحاول في كتابها اكتشاف هذه الأطر الأخلاقية التي وضعتها الثقافات والحضارات المختلفة لحاربها وجنودها. وهي تستخدم الأدب في دراستها إلى جانب الدراسات التاريخية، حيث نجد جزءاً من مبادئها في الإيذاء على سبيل المثال يتناول الكتاب أخلاق الحاربين عند اليونان والرومان وقبائل الفايكنج وكذلك لفرسان المائدة المستديرة ومقاتلي الساموراي في اليابان والتونج لو في الصين.

**The Monuments of Egypt and Nubia**  
(آثار مصر والنوبة)  
Ippolito Rosellini  
Auc press, LE, 100, 2003



مؤلف هذا الكتاب روسوليني ولد في إيطاليا عام ١٨٠٠ ودرس آثار مصر العدد الثاني والخمسون - مايو ٢٠٠٣

هذه النماذج من وجهة نظره لآثار مثل النسيبة الأخلاقية والنسيبة الثقافية، وأن التكتيب الضخم الذي يقع في مجموعة من علاقات القوة التي تخلق من أية قيم. وهو يرى أن الجامعات بهذا الشكل أصبحت قاصرة بتولية الترخيب على العفدة الصناعية العسكرية التي تحكم السياسة الخارجية الأمريكية.

**A Travelers Guide to the Geography of Egypt**

(دليل السائح إلى جيوغرافيا مصر)  
Bonnie M Sampell  
Auc press, LE, 70, 2003



يصف هذا الكتاب وادي النيل في مصر وتلك الدلتا والصحراء والحداد وعلاوة على ذلك، فإنه يقدم دليلاً للسائح، المهم بالتحضر من قرب على مصر، عن تاريخها من منظور مختلف. وهو يتحدث على مقدمة حول المفاهيم الجيوغرافية الخاصة بمصر ويقدم أمثلة توضح كيف أثرت جيوغرافية مصر على حضارتها. كما يضم مجموعة من الخرائط والرسوم التوضيحية والصور التي تساعدنا جميعها على تكوين رؤية متكاملة حول جيوغرافية مصر. وعدد الرسوم التوضيحية ٧٤، منها ٣٦ ملونة.

**The Dust of Empire: The Race for Mastery in the Asian Heartland**

(عبار الإمبراطورية سباق السيادة في قلب آسيا)

Karl E. Meyer  
Public Affairs, 2003, 256PP., \$26



المؤلف هو رئيس تحرير مجلة "فورلد بوليتسي جورنال"، كما أنه عضو مجلس تحرير صحيفة "نيويورك تايمز" منذ مدة طويلة. يكتب كارل ماير عن دول من بلدان شرق ووسط وجنوب آسيا، وهي الدول التي لها أهمية خاصة بالنسبة للولايات المتحدة في هذه

التي وقعت في ١١ سبتمبر، وإنما يسبب ردود الفعل الأمريكية منذ اليوم التالي. يتخذ التكتيب الضخم الذي يقع في أكثر من سبع مئة صفحة شكل السجل اليومي، فهو يتناول مجموعة متنوعة الشخصيات الحقيقية التي تمثل لطاعات مختلفة من المجتمع الأمريكي ليرصد رد الفعل لديها وكيف باتت بالاحداث والارت في الواقع الجديد لأمريكا.

من ضمن هذه الشخصيات، يوجد: الضحايا والإبطال وكذلك المستفيدين والمستمرين لازمة، مثل شركات بيع أجهزة التمتص والمراية.

ويتناول برييل شخصيات عامة كما يتناول شخصيات سياسية مثل جون اسكروفت، وهو بين مقارن الظلم الذي تعرض له كثير من العرب والمسلمين بعد الاحداث على يد السلطات الأمريكية بتفاصيل مفصلة.

**Harvard and the Unabomber: The Education of an American Terrorist**

(هارفارد والأبومر - التكتيب الذي تلقاه أرماني أمريكي)  
Alston Chase  
Norton, 2003, 352PP., \$26.95



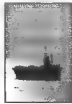
«أوتابومر» هو الاسم الذي أطلقتته الصحافة على الإرهابي الأمريكي نيد كازنسكي الذي أدى الكشافة عنه والفحص عليه في عام ١٩٩٦ (إلى قوة في المجتمع الأمريكي).

لقد قام هذا الأمريكي الأبيض خريج جامعة هارفارد بارسال ١٦ رسالة مملعة بالقتال من سنة ١٩٧٨ وحتى سنة ١٩٩٥، أسفرت عن مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة ٢٩ بشخصاً. هذا الكتاب يلقى الضوء مرة أخرى على هذا الإرهابي لا باعتباره مضطرب عقلياً أو نفسياً كما فعلت وسائل الإعلام الأمريكية، ولكن باعتباره نموذجاً لظواهر كثير من الشباب الأمريكي المكلف. فقد كان كازنسكي يربطاً في دراسته للرياضيات وقد قام بعملياته الإرهابية بدافع من مواقفه الناقدة للمجتمع الصناعي الحديث، حتى أنه كتب مائستو يشرح فيه أفكاره. لهذا كانت رسالته المملعة موجهة بالأساس للجامعات الأمريكية.

يلقي مؤلف هذا الكتاب ضوءاً مختلفاً على هذه القضية، فهو مثل الإرهابي كازنسكي مخرج من جامعة هارفارد الشهيرة، وهو يرى أن كازنسكي ضحية عصر الضرب الباردة وتاريخها من النماذج والمقررات الدراسية. فقد رسخت

**Breathless to Casablanca**

(منقط الأنفاس إلى الدار البيضاء)  
James Douglas  
Tracy Evans  
Welcome Rain, 2003, 448PP., \$15.00



صعدت هذه الرواية أول مرة في ألمانيا في شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٠، ويعدد عام بالضيف كان المؤلف السويسري خايمز دوغلاس صاحب الرواية يشغل ثانوي الصف في لغات النمسا وسويسرا، في روايته التي تدور في عالم الجاسوسية والإجرام والمكثوبة باللغة الألمانية تبدو وكأنها نبوءة مكررة لما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١. بل أن عملاء من جهاز الف ب آي الأمريكي قاموا بالاتصال بالمؤلف بعد حدوث الهجمات بعدة أيام بسبب هذا التشابه المثل بين أحداث الرواية وبين هجمات سبتمبر.

تدور الرواية حول محاولة زعيم إرهابي يرتبط بمنظمة القاعدة يدعى يوسف بن جولد إغراق حاكمة الولايات الأمريكية «روزفلت» في مضيق جبل طارق. وفي محاولة منه لتحويل الانتباه عن هذه العملية يقوم جولد بتجنيد سبني تجاري وأدري في نيويورك، ويتشدد في حي مانهاتن حيث يوجد مكتب لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

وتتصدى روائي سويسري في الرواية يدعى بولسكي للإرهابي الخطير يوسف بن جولد بعد سلسلة من الأحداث تتضمن اختطاف طائرة أمريكية محملة بشخصيات أمريكية مهمة.

**After: How America Confronted the September 12 Era**  
(ما بعد كيف واجهت أمريكا عصر ١٢ سبتمبر)

Steven Brill  
Simon & Schuster, 2003,  
736PP, \$29.95



مكتب الصحفي الأمريكي ستيفن بريل عام سبتمبر ١٢ سبتمبر، أي التخفير الذي حدث في أمريكا والذي أنقذها في عصر جديد. لاسبب الأحداث



**Dark Star Safari: Overland From Cairo to Cape Town**

(سafari التجب الاسمر من القاهرة إلى كيب تاون بن)

Paul Theroux  
Houghton Mifflin, 2003,  
472PP., \$28.00



رحلة باليسر في شرق إفريقيا، من القاهرة شمالاً إلى كيب تاون جنوباً. قام بهذه الرحلة منذ عامين الكاتب الأمريكي المعاصر بول ثيرو الذي اشتهر بكتابة أدب الرحلات، وبلافتات بول ثيرو عن بلدان القارة اسوداء اممية خاصة لانه قام بهذه الرحلة من قبل في الستينيات، اى عندما كانت القارة تنحدر من الاحتلال الاوروبى وى اوقت عهدها بالاستقلال. يقول ثيرو ان وجد افريقيا في هذه الرحلة «أكثر جوعاً وقلقاً، وأقل تعليمياً، وأعمق تشاؤماً وفساداً» مما كانت عليه منذ أربعين عاماً.

تلك لأن ثيرو يلتقي بشكل حد فرق الجنسية التي تعمل في بلدان القارة المختلفة اى اطار تقديم الخدمات السياحية، ليسوى بين ان اسرول هذه العنوتات تفقد كلا من للناج والممول له. الجدير بالذكر ان المؤلف زار الارب مصرى نجيب محفوظ في منزله أثناء مروره بالقاهرة وكتب عن ثقافته به في هذا الكتاب، كما انه زار أيضاً الاربى ثاين جورديسر من جنوب افريقيا والحافزة هي الاخرى على جولة توبل في الارب.

**Crescent**

(هلال)  
Diana Abu-Jaber  
Norton, 2003, 352PP., \$24.95



رواية الشابة لندبا أبو جابر، وهي كاتبة أمريكية من أصل عربي - ثور الرواية حول فسمه بد تجمع بين «سورين» التي تعمل في مدينة لسكولات العربية في أحد المدارس في مدينة لوس أنجلوس، واستأذرت لدراسات لشرق الانى يدعى «حليف». يتبع من أحداث الرواية أن «حليف» منفى من العراق، وأن لذاء معجوس في سجون صدام حسين

بونايرت بالعاب دبلوماسية استمرت ثلاثين شهراً، تقبل هذه الصلفة يعامين كانت الولايات المتحدة وفرنسا على وشك الانسحاب من حرب من أجل ميناء نيو اورليانز، وكان توماس جيفرسون الذى راس الولايات المتحدة عام ١٨٠١ الذى وعى بأن مستقبل الولايات المتحدة يقع في هذه الولاية التي تمر بها الملاحة في نهر الميسسيبي وتصب في ميناء نيو اورليانز. ثم اكتشف جيفرسون أن بونايرت اتفق اسبانيا سراً بالتخلي عن لويزيانا لصالح فرنسا وأنه قد أرسل جيوشه للاستحواذ على الميناء. كان الحل الوحيد أمام جيفرسون هو المقامرة: اى إلقاء نابليون بونابولت فى الحرب من أجل هذا الميناء وهو يعلم انه ليس في جيشه أكثر من ألف جندي. ومع ذلك فقد قام بدخا نابليون وحقه يصدق ان الولايات المتحدة تستطيع ان تنسحر في تلك الحرب.

**Leap of Faith: Memoirs of an Unexpected Life**

(قفزة إيمان منكرات حياة غير متوقعة)  
Queen Noor Al Hussein of Jordan  
Miramax, 2003, 467PP., \$25.95



مذكرات الملكة نور، آخر زوجات ملك الأردن الراحل، الملك حسين، تحكي الملكة نور في البداية عن نشأتها في الولايات المتحدة، حيث ولدت «دولسا حبيب» لأسرة أمريكية ثرية من أهل عربي مسيحي، وكنت «دولسا» قد أنهت دراستها في برستون وهدت عملها في مجال التخطيط العمراني عندما انتقلت بملك حسين حيث كانت تربطه علاقات عمل مع والدها الذي يعمل في مجال الطيران. كانت في السادسة والعشرين من عمرها، وكان لك في الحادية والأربعين، وكان قد فقد زوجته الثالثة في حادث اليم. بعد قليل أسلمت «دولسا» بعاما الملكة نور، وتزوجا في صيف ١٩٧٨.

في الجزء الثاني من الكتاب تتناول مذكرات الملكة نور ذلك حسين وجوهود من أجل الوحدة العربية والعلاقات السليمة مع إسرائيل، فتروي تفاصيل عدد من الاجتماعات التي تمت الرئيس عرفات وصدام حسين رؤساء أمريكيين. وتتحدث مذكرات الملكة نور بوفاة الملك حسين عام ١٩٩٩.

الأروبي وحتى صعود الولايات المتحدة كقوة إمبريالية في المنطقة منذ مرحلة الحرب الباردة.

**Emotional Longevity: What Really Determines How Long you Live**

(طول العمر العاطفي، ما يحدد فعلاً كم من العمر تعيش)  
Norman Anderson  
Viking, 2003, 318PP., \$24.95



المؤلف هو رئيس جمعية الأطباء النفسيين الأمريكية، وهو يعتقد انه ان الأوان لتبني رؤية جديدة للصحة والطب من أجل فهم ظاهرة طول العمر أو التمتع.

فبدلاً من الرؤية التقليدية للصحة البدنية يقول أندرسون ان التفاعل بين ستة عوامل هو الذي يفسر الاختلافات في طول عمر البشر. هذه العوامل هي: الهولوجية والنفسية والسلوكية والاختصاصية والدينية والروحية والعاطفية. فالأولى تصمم على انه يجب ان يكون هناك صلب بين عقلى شخص وبعض الانشغاف من الأمراض لصحة جيدة مثل الأزمات القلبية بينما يظل أشخاص آخرون تحت وطأة المرض.

**Jefferson's Great Gamble: The Remarkable Story of Jefferson, Napoleon and the Men Behind the Louisiana Purchase**

(مقلرة جيفرسون الكبرى: قصة المخافة لجيفرسون ونابليون وصلفة شراء ولاية لويزيانا)  
Charles Cerami  
Sourcebooks, 2003, 320PP., \$22.95



صدر هذا الكتاب لبوكت ذكرى مرور مائتي عام على صلفة شراء ولاية لويزيانا الأمريكية. اشترك في هذه الصلفة عدد من الشخصيات السياسية الأمريكية مثل جيفرسون ومايديسون ومونرو، استأفوا ان يخذوا نابليون

وسام في شك شرة اللغة الهيروغليفية، وفوق ذلك كله فإن إسهامه الأكبر لعلم الحضريات يتمثل في هذا الكتاب «آثار مصر العنوية». ويعد المؤلف من الجيل الأول لعلم الحضريات الغربيين الذين تهوروا في القرن التاسع عشر، وعقب رحلة طويلة قام بها مصر مع مجموعة من الباحثين الآخرين، يقدم المؤلف إسهاماً فريداً للتصريف بالآثار المصرية القديمة. ويضم الكتاب ١٢٠ رسماً توضيحياً.

**The New Arab Family - Cairo Papers**

(الأسرة العربية الجديدة)  
Edited by Nicholas S. Hopkins  
Auc press, LE. 15, 2003



هذا الكتاب هو طبعه منقحة لجموعة من الأوراق مطبوعة لخمسة القاهرة السنوي الخامس الذي انعقد في مايو ٢٠٠٠. وتركزت الأبحاث المقدمة في هذا المؤتمر على الزواج والعلاقات والوضوعات والصله ويشكل خاص النواحي السكائى او الديموجرافية. ويغطي الكتاب معظم دول العالم العربي لكنه يركز بشكل خاص على مصر، وبالإضافة إلى ذلك، فإن الأوراق تقدم أبحاثاً عامة حول موضوع السكان من مناطق مختلفة في العالم العربي.

**The Crisis of Islam: Holy War & Unholy Terror**

(أزمة الإسلام: حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس)  
Bernard Lewis  
Modern Library, 2003, 144PP., \$19.95



أحدث ما كتبه المستشرق برتارد لويس بعد كتابه الذي نشر في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر. هذا الكتاب صدر الشهر الماضي وهو يعد نسخة مطبوعة من مقال نشر المؤلف في مجلة «نيويوركر»، وهو لا يعالج أحداثاً جديدة وإنما يتناول ما يراه جذور عدم التوافق بين المسلمين والغرب منذ الحملات الصليبية وخلال الاحتلال

# نوء

## الحرب وموسم الهجرة إلى الديمقراطية

■ إن يلف الحرب بعد صدمة الحرب وما أسفرت عنه من نتائج أدت إلى تغيير بغداد، وسقوط النظام العراقي، والتهيار مؤسساته، وفرار أو قتل قياداته، ووقوع العراق أحد الأركان الأساسية في النظام العربي. تحت سترة احتلال أمريكي من طراز جديد، أعاد عقارب الساعة إلى مرحلة ما قبل الاستقلال؟

بعض الذين صفوا لسقوط نظام صدام، وانتجازه سياسياً وعسكرياً وعقائرياً، لم يدركوا أن سقوطه لم يؤد إلى سقوط الفكر الصدامي، كنظام سياسي في العالم العربي، وأن السقوط الحقيقي كان يمكن أن يتحقق بشرطين: أن يتم ذلك بيد الشعب العراقي وبنائه، في تغييرات جذرية في المجتمع العراقي نفسه، بإقتلاع الشعب ثمارها، وبإبعاد حاضره ومستقبله بكامل إرادته واختياره الحرن، بإقتلاع الفروقات التي يسمها الشعب لنفسه، وبإزالتها عليها، والتخلي الثاني أن تعمل صدمة السقوط على عمقها في النظام السياسي العربي على نحو ما أدى سقوط حائط برلين إلى تغيير جذري كامل في النظم الشيوعية التي حكمت دول أوروبا الشرقية، فألقتها من أسر النظام الشمولي، وحررتها من الجمود العقائدي، ورفضت مبدأ على صمدان الحربية والديمقراطية، لتصبح بعد مرور عشر سنوات جزءاً لا يتجزأ من تيار عالمي واسع يتحرك في اتجاه واحد نحو التقدم، ولا يبدو أن أيًا من الشرطين قد تحقق أو يسببه إلى التحقيق.

لقد أحدث استخدام القوة العسكرية الأمريكية العربية بكل عنفوانها، حالة نشر بين النظم الحاكمة في العالم العربي، سوف يجعلها أكثر حرصاً على حماية نظمها داخلياً من عوامل التغيير والتحوير من ناحية، وأكثر التمسكاً بآليات شروط القوة الكبرى المهيمنة من ناحية أخرى، وتؤكد عنقودها العربية الحاكمة أن تكون على يقين من أن تحول أمريكا من هدف نزع لبلصة الدمار الشامل إلى أنهم العراق بحد ذاتها، إلى هدف إزاحة النظام الصدامي مثلاً، في شخص صدام وإلحاح معه، لم يكن يستهدف إزاحة النظام السياسي العراقي على يد الشعب العراقي، فعم الديمقراطية والحرية وينعم بكراته لنهوية من حزب البعث، بقدر ما كان

يستهدف نزع شوكة مستحصنة في جنب النظام العربي، الذي قدم منذ حرب الخليج الثانية بعد تحرير الكويت أوراق استثماره كاملة للولايات المتحدة الأمريكية. فما إذاً يمنع من أن تستمر الأوضاع السياسية القائمة في العالم العربي، إذا استجابات الأنظمة للمطالب الأمريكية وخطها الاستراتيجي؟



لقد قامت معظم الدول العربية حسياساتها، منذ اللحظة التي تأكد فيها عزم أمريكا على ضرب العراق وربما قبل ذلك، على أساس مالة أمريكا سرّاً أو علناً، ومسايرتها في تحقيق أهدافها، وهو نوع من التقيف العربية المرفوعة في التاريخ الإسلامي، القلعة على مداهنة الخصم الأقوى تجنباً لشروره وانتقامه وأملاً في تليده ودمه، فليذهب صدام ونظامه إلى الجحيم مقابل أن يتقدم الأمريكان على حالهم، وربما مع بعض الإجراءات الشككية، وعمليات التجميل السياسية، والإصلاحات التشريعية التي تقوم على إصدار قوانين لا تلتفت.

ومنذ بعض الوقت خطت نظم سياسية عربية عديدة في هذا الطريق. فقامت تعددية سياسية وبدون تعددية حزبية حقيقية. وإذا كانت هناك أحزاب فليس ممسوخاً لها بتداول السلطة، وسمنت بحرية التعبير فأصدرت الصحف وأطلق الأقمار الصناعية والفخائلات ولكنها ظلت مقيدة بما تسمح أو لا تسمح به السلطة، وسارعت معظمها إلى إصدار دستاير ولكن هذا لم يمنع من تجاهل نصوصها أو تعديلها بحسب الطلب.

ولماذا يصيب العرب بعض الملحقين الأمريكيين عن شعورهم لأن سقوط حائط بغداد العراقي، لم يفتح الشفرة التي من الأمريكيون أنهم قادرون على فتحها في النظام العربي، وزادت عهشتم لا أحد أن يصعد أنهم جاءوا لتحرير العراق وفتح الحرية والديمقراطية والسلام في العالم العربي، بل زاد عهه، الملققة القوة العسكرية الأمريكية التي أسقطت النظام الصدامي، ولم تن فيها تحرير الشعب العراقي بقدر ما أراوا فيها استعماراً

أمريكياً صريحاً أطاح باستقلال دولة عربية كبرى، وأصبح يهدد استقلال دول عربية أخرى ويتوعدّها بغرض شروط لا قبل لها بها. هذا الاستعمار الجديد يستخدم نفس الحجج التي استخدمها الاستعمار، في القرنين التاسع عشر والعشرين، ونصم عينيه ثروات شعوباً، وأسواق تجارية، وممرات مائية، ومواقع استراتيجية.

هناك واقع جديد يهدد استقلال جميع الدول العربية، ولا يغفل الأمريكيون يتحذرون عنه ويؤكدون على أن هذا الواقع الجديد الذي فرضته القوة العسكرية الجديد لا يملك أحد مقاومتة أو معارضة، بل ولا خيار أمام شعوب المنطقة وحكوماتها، غير التكيف معه، وقد سارعت بالفعل دول عربية كثيرة إلى إبداء استعدادها للتكيف ولو جزئياً، ليس عن التنازع بضرورة التغيير وليس عن اغتيال كامل وإرادة حرة، ولكن تجاوراً مع ما يعلبه الواقع الجديد خوفاً على استقلالها أو ما تبقى منه.



إذاً هذه العفلات الصعبة لا تلك التي للثقافة في العالم العربي أن تتوقف عن التفكير في التجارب السياسية العربية، ولما شلت لا تملك شلت تجربة ثورة يوليو وحركة القومية العربية؟ ولما شلت تجربة البعث الاشتراكي بينما تحي في العراق وسوريا؟ وإذا أخفقت التجربة الإسلامية في السودان ومازالت تتخبط في إيران؟ كل التجارب السياسية العربية الإسلامية منيت بهزيمة منكرة على يد قوى خارجية أو على يد قوى داخلية فر كبتها مع، وظل الجسد العربي منتخفاً مجروحاً، وعمل بأمراضه، عاجزاً عن إقنهوش من رفقة العدم، ولم يستطع المتفكرون أن ينهضوا بدورهم في تحديث مجتمعهم، ربما زائد العرب كراه في الأموال وعلقات البترول وفي القصور الفاخرة ومظاهر السلطة والسياسي القمع وإجراءات الأمن، ولكنهم زادوا فقراً في الحرية والديمقراطية والتعليم والعلم والارتفاع بمقايير شعوبهم، ومازالت للنطقة العربية هي اللقب الأسود في مضمات حرية الشعوب وتقمتها.

لقد كورت «الصدامية» أخطاء ثورة يوليو بل زادت عليها، لأنها حولت الشعب العراقي إلى آلة عبياء، تجدد شخصاً واحداً بمك العبقرية والإلهام، وترك تحت أقدام نظام لا يعرف الرحمة مع خصومه ولا يعرف التسامح مع اتباعه، ولا يؤمن بحق الشعوب في مشاركة السلطة، ولا يتشور عن استخدام الغازات السامة في قمع معارضيه.

غير أن استخدام القوة العسكرية من قوة خارجية أيضاً مرفوض، لأن الحرب لا تقل قسوة عن الطغيان السياسي، فهي تدمر الإنسان بنفس الدرجة وتقتل روحه، وتعمل إبداعه، وتخلط جهلاً من الرزقة والانتهازية بين الذين يمالئون السلطة الأجنبية في محاولة للاستفادة من وراثتها، وإزاحة سلم الحكم سعيّاً وراء الثروة والنفوذ وليس من أجل شعوبهم، وهو الصبر الذي يتظاهر شعب العراق تحت الاستعمار الأمريكي، كانا يصبح حتماً على الشعب الثقافي والسياسي أن تؤمن بضرورة التغيير وتعمل على تحقيقه، لا يهم إذا كانت الضغوط الأمريكية تسمى إلى تغيير النظم التعليمية والنظم السياسية بحجة أنها مصدر الإرهاب والتخلف والتخلف الذي فرض على العالم العربي هذا الوضع المنه الذي لا يقوه يسقط نظامه على يد ثورة أجنبية، فقد يكون ذلك صحيحاً ومطلوباً ولكن المهم أن لا نقتنع نحن بضرورة التغيير، في النظم السياسية وفي التعليم وفي الفكر الديني وفي مجالات الثقافة والفن، وإذا كان موسم الهجرة الديمقراطية للحرب قد بدأ، فليكن ذلك بيدنا وليس بيد غيرنا، فقد سلطت أي مسوغات لتأخير الديمقراطية بحجة أن مجتمعاتنا لم تنهها لها بعد، ولا صلاصنا تفعل ونحن لا نعرف كيف ولا متى تنتهي المحنة التي قضت على استقلال العراق، ووضعت العالم العربي سوى أن نخلف في نتيجة واحدة هي أنه إذا مرت هذه الحقبة على يدنا، فليكن نهاية للنظم السلطوية السائدة، فقد يخرج العالم العربي من سبات التاريخ إلى غير رجعة؟

سلامة أحمد سلامة

# أحدث الإصدارات من دار الشروق



## تغلب من

دار الشروق ٨١ شارع سيبيهو المعصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر تليفون ٤٠٢٣٣٩٩ ومكتبة الشروق ١٠ ميدان طلعت حرب تليفون ٣٩١٢١٨٠ ومكتبة الشروق ٠ ميني هورست أمام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ تليفون ٥٧٣٥٠٣٥

كما يمكنكم شرائها إلكترونياً [www.e-kotob.com](http://www.e-kotob.com)

مصاريف مدرسة سلمى  
شراء شقة أحمد

توفير معاش شهري بعد جواز الأولاد

وثيقة الأمان

الحياة رحلة طويلة.. فأمن مستقبلك وخطط له جيداً.

اشترك الآن في البرنامج الادخاري الجديد من البنك العربي "وثيقة الأمان" الذي يساعدك على تلبية احتياجاتك المستقبلية. وتحصل من خلاله على عائد مغزى في نهاية مدة الوثيقة.

مثال:	إدفع شهرياً مبلغ	وأحصل بعد ١٠ سنوات على مبلغ	أو أحصل بعد ٢٠ سنة على مبلغ
١٠٠ جنية	١٨.٧٢٨ جنية	٥٣.٣٤٥ جنية	
٢٠٠ جنية	٣٧.٤٥٦ جنية	١٠٦.٦٩٤ جنية	
٣٠٠ جنية	٥٦.١٨٤ جنية	١٦٠.٠٤٢ جنية	

وفي حالة الوفاة "لا قدر الله" يحصل المستفيدون الشرعيون فوراً على كامل قيمة الوثيقة المستثمرة

#### بالإضافة إلى المميزات التالية:

- مدة الوثيقة تتراوح من ٥ إلى ٢٠ عاماً بأقساط تبدأ من ١٠٠ جنية شهرياً
- إمكانية الحصول على السداد في نهاية المدة على دفعة واحدة أو على دفعات لمدة تصل إلى ١٥ سنة.
- التأمين مجاناً على صاحب الوثيقة بكامل قيمتها.
- إمكانية الاقتراض بضمان الوثيقة
- إمكانية إسترداد المبالغ المدخرة بعد مرور عام طبقاً لجدول الاسترداد.

لتمزيد من المعلومات خصصنا لكم هذا الرقم الجديد

19100

في خدمتكم ٧ أيام في الأسبوع من ٩ صباحاً حتى ٩ مساءً

البنك العربي  
ARAB BANK



رؤية جديدة



www.arabbank.com